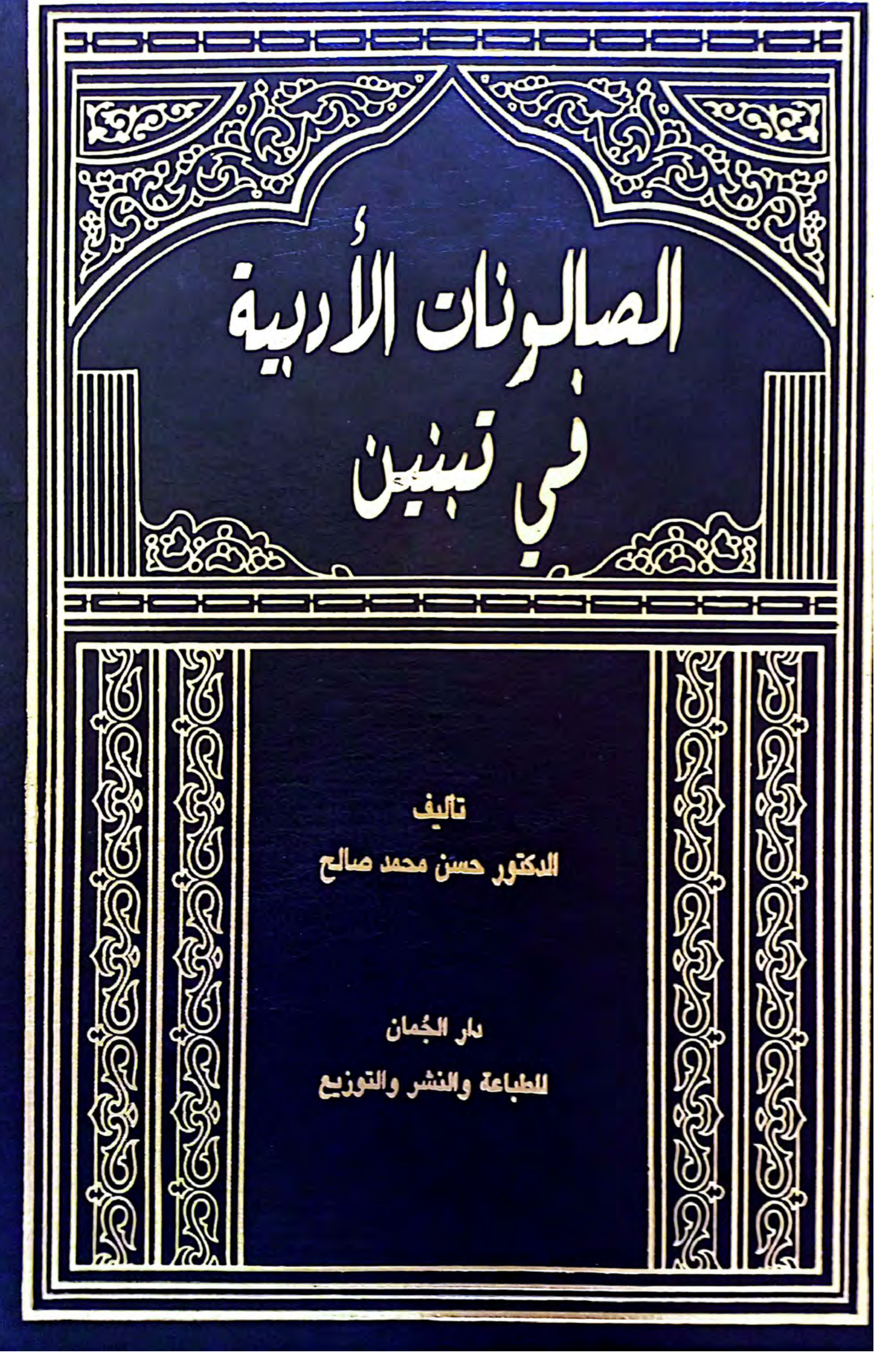
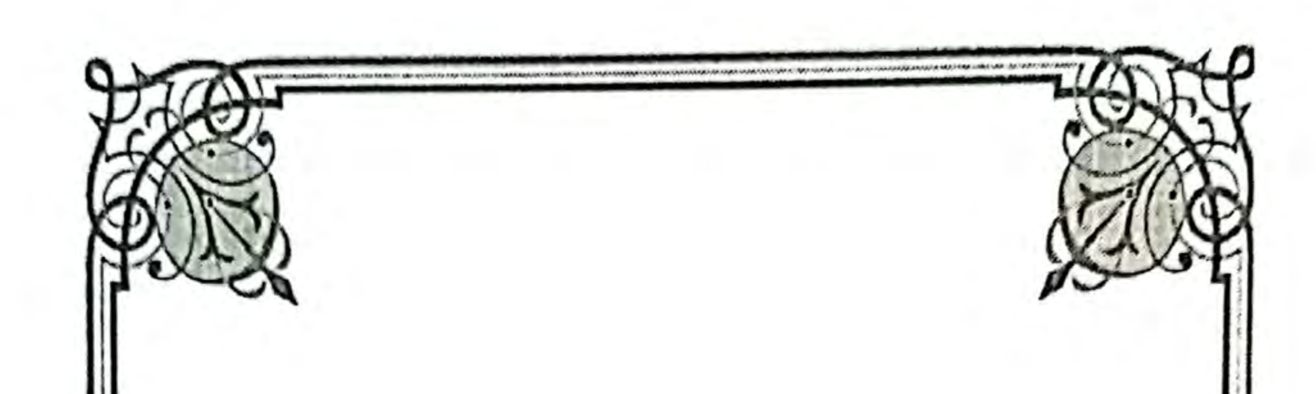

الصالونات الأدبية
في تبنين
تأليف
الدكتور حسن محمد صالح
دار الجُمان
للطباعة والنشر والتوزيع

الصالونات الأدبية في تبنين

شرح وتحقيق

الدكتور حسن محمد صالح

دار الجمان للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١



إهداء

يا يوسف الحسن يا سبط النبيين   يا من به زين الرحمن تبنين

إلى من جمع بين طيب الأرومة وكرم الأصل

إلى من أعطى الشعر في تبنين حقّه والأدب مستحقّه

إلى روح السيد يوسف مصطفى صالح

أهدي هذا الكتاب



مقدمة

تبنين وزمن الشعر:

في زمن سادت فيه الضبابية وعدم وضوح الرؤيا، وفي حقبة اشتدّت بها العواصف وتزايدت الأخطار على الجبل العاملي، اشتدّت الحاجة إلى شعراء يتّسمون بالحنكة والفطنة وسرعة البديهة، شعراء يفعلون الحدث ويتفاعلون معه، دون أن ينفعلوا به، شعراء يقودون الأحداث ويسيّرونها دون أن تقودهم أو تجرفهم في حركتها وانعطافها، أو أن يضيعوا في منعطفاتها، هؤلاء هم شعراء البلاط التبنيني، وقد كانوا هم وحدهم الذين استطاعوا حمل أمانة العامليين وأجيالهم الصاعدة، لأنهم كانوا يحملون طموح كل فرد من أبناء تبنين وأبناء عاملة.

وإذا حاولنا الإطّلاع على شعر هؤلاء الشعراء، نجد أنهم مغمورون هم وشعرهم، ولو لم يتصدّ السيد محسن الأمين في كتاب أعيان الشيعة ويلقي الضوء على البعض منهم أو يذكر لنا نتفاً من أشعارهم، وكذلك ولده المؤرخ السيد حسن الأمين الذي زوّد القارىء العاملي والعربي بكتاب خاص عن شعراء البلاط

التبنيني، جعل عنوانه: «عصر حمد المحمود» وحمد المحمود هو زعيم تبنين وباني نهضتها الأدبية والشعرية والسياسية فباستثناء هذين الباحثين، لم يقم أي كاتب أو باحث آخر بالإشارة إلى هؤلاء الشعراء وإلى هذه الحالة الشعرية في تبنين.

وحين نقرأ النماذج الشعرية التي نظمها شعراء البلاط التبنيني خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، نجد أنها مصنوعة باتقان شديد، بذل الشعراء فيها مجهوداً كبيراً وحاول نقشها وتلوينها بعواطفهم ومشاعرهم، فخرجت صوراً منقوشة تنبض فيها الحياة، مشحونة بالتجربة الشعورية والإنسانية العميقة، مع عمق ثقافي ناضج، وخلفيات معرفية موروثة، وشّحوا فيها قصائدهم ومنظوماتهم.

والصورة الشعرية المحسوسة أشبه بطاقة كهربائية متجمعة في وحدة أو وحدات مترابطة، ما أن يلامسها القاريء حتى ينتقل إليه التيار الشعوري في سرعة البرق، فيهزّ كيانه، ويفجّر فيه ما تراكم في ذاكرته.

إلاّ أنّ هذه الحالة الشعرية الفريدة من نوعها، التي قامت في تبنين، في التاريخ العربي المعاصر، في أواخر عصر الإنحطاط، سبقت عصر النهضة قبل أن ينهض، بأكثر من مئة سنة.

وكانت قصائد هذه المجموعة مليئة بالصور الشعرية المحسوسة والمجسّمة، وهي إن لم تكن محسوسة تماماً، فلا يستطيع المتلقّي والسامع أن يعتبرها شعراً، خاصة أن عمقها

الشعري، كان ينبع من عمق إحساسات هؤلاء الشعراء الوجدانية من مشاعر وأحاسيس، خلّفتها تجاربهم الحياتية. وعندما تتفجّر هذه المشاعر، تصير بدورها طاقة شعورية خلاّقة تظهر عبر الكلمة المموسقة، والقصيدة المنظومة، في توشيحات وترصيعات شعرية جميلة.

وإذا استرجعنا هذه القصائد التي نظمها الشعراء العامليّون في مدح أو رثاء أو مباسطة في بلاط ناصيف النصّار وحمد البك ومحمد بك وعلي بك الأسعد، نرى أنها كانت صافية من الأوشاب والأكدار، منطلقة على سجية كل شاعر، خالية من المكبوتات، بل كان الشاعر يبوح بكل مكنوناته العاطفية، مما أضاف إلى رصيدنا كمتلقّين، تجارب جديدة تحدّدت عظمتها بقدرتنا على الإلتحام بها كتجربة شعرية ذاتية، فالتجارب الشعرية شأنها شأن الأجسام الغريبة، التي يزرعها الأطباء في الأجساد، تعويضاً عن أعضاء تالفة أو مفقودة، فقد يلفظها الجسد ولا يقبلها، وإن زرعها نطس الأطبّاء.

أما إذا كانت هذه التجارب الشعرية متوافقة وموائمة لمشاعر وأحاسيس المتلّقي، فقد يقبلها الذوق والفكر والإحساس. وإذا أعدنا قراءة هذه القصائد التي قيلت في مدح أو رثاء زعماء تبنين ورجالاتهم، نجد صدق التجربة وحرارة الإحساس وصفاء العدسة الرائية، ورقّة العبارة وقوّة السبك وعمق الخبرة باللغة ومفرداتها، حيث أن كلّ ذلك، سبغ على هذه القصائد قدرة على الإلتحام بتجاربنا الذاتية، وأزال الغربة والتغرّب عنها، وقرّبنا من الإلتحام بها وبقائلها.

وهذه التجارب الشعرية الوافدة على البلاط التبنيني، لم تكن تختلف كثيراً عن تجارب شعراء تبنين، ومع ذلك، فقد أحدثت نوعاً من التفاعل بين التجارب الشعرية الوافدة، وبين تجربة شعراء تبنين المقيمة.

وقد اشترك هؤلاء الشعراء جيمعاً، المبدع منهم ومتوسط الإبداع والمبتديء، باستخدام المادة نفسها في عملية الإبداع الشعري، وكان ما يمتاز به أحدهم عن غيره، هو مهارته الشخصية في التعامل مع مجموعة من الصيغ الفنية التي اكتسبها عن ما سبقه من شعراء في العصور العربية المتقدّمة.

من هنا أكتسبت هذه المهارة عند شعراء البلاط التبنيني أهمية قيّمة، لإنها سمحت لهم باستخدام كافة وسائلهم التقنية، لغة ومعجماً وتجربة فنية، استخداماً إبداعياً لا يعتمد فقط على الذاكرة بشكل آلي، بل يحاول المواءمة بين الذات والموضوع، وإبراز الفعل ورد الفعل، بين الشاعر وموضوع شعره.

وهذا يجرّنا إلى الإشارة عن سعة خيال هؤلاء الشعراء وسعيهم الدائم إلى الدقّة والغزارة اللغوية الصحيحة، والبعد عن استخدام المترادفات، لأنّها وإن كانت تؤدّي الوظيفة العروضية المطلوبة، لكنّها تبعد القصيدة عن التنوّع ضمن الوحدة.

وكلّ هذه الملامح الفنيّة المتقدّمة، نمت وترعرت في منتديات وصالونات أدبية، تكونّت في تبنين في عهد زعمائها وأمرائها من آل الأسعد وفي بيوتات وجهائها وأعيانها وشعرائها وأدبائها.

وكان لكل صالون من صالونات تبنين الأدبية مميزاته وخصائصه وشعراؤه باستثناء صالوني حمد البيك وعلي بك الأسعد، فقد ضمّ هذان الصالونان، تقريباً نفس الشعراء.

والصالون الأدبي، ليست ظاهرة جديدة في تاريخ الشعر العربي، فقد عرف العرب قبل الجاهلية، الأسواق الأدبية كسوق عكاظ، وسوق المربد الشعري، والسوق لا يختلف عن الصالون الأدبي، سوى أن الأول تتم فيه المساجلات الشعرية في الساحات العامة والثاني في ديوان أو قصر خاص بأحد الملوك أو أحد الأمراء. ومن ثم كان الصالون الأدبي على مر العصور، يتم في بلاطات قصور الخلفاء والسلاطين والأمراء حتى ظهر في أوروبا في ألمانيا وفرنسا، فاشتهر فيها صالون مدام دي شتايل في فرنسا، ثم انتقلت ظاهرة الصالونات الأدبية إلى البلاد العربية فعرف منها صالون مي زيادة الأدبي وكذلك كانت زينب فواز تحاور وتراسل من بيتها في مصر، حيث كان حجابها يمنعها من الإجتماع بالشعراء والأدباء.

وقد استمرّت ظاهرة الصالونات الأدبية مسيطرة على الحالة الأدبية والشعرية في تبنين والجبل العاملي حتى أوائل السبعينات في القرن العشرين، حيث تراجعت أمام تقنيات الإعلام الحديثة من راديو وتلفزيون وسينما وفيديو وكومبيوتر وانترنت، إضافة لواقع الإحتلال الإسرائيلي للشريط الحدودي المحتل والمحاذي لتبنين وقرى الجوار، مما جعل أي تجمع إنساني أوبشري، يبقى تحت رحمة القصف العشوائي المقيت.

اثر موقع تبنين الجغرافي والعسكري والسكاني على الحالة الشعرية في الجبل العاملي:

جاء توسط قلعة تبنين بين ثلاثين قرية وبلدة، تحيط بها من جميع الجهات، في أعلى تلّة من تلال منطقة بلاد بشارة، ليعطيها ميزة خاصة بها تميّزها عن كافة القرى والبلدات المحيطة بها. وقد زادها هذا الموقع رونقاً وجمالاً جعلها تتباهى به أمام القرى المحيطة بها والمنتشرة على التلال المقابلة لها.

ومن أهمّ حسنات هذا الموقع، قربه من تواجد العامليين مما جعل، أبعد قرية من القرى المحيطة بها لا تبعد أكثر من ربع ساعة لراكب الدابة أو الخيل، وهذا يعني أن سهولة الوصول إلى قلعة تبنين وقصورها، سهّل تواجد الشعراء والأدباء في بلاطات تبنين، وجعلهم يتكوكبون حول زعمائها وأدبائها الذين شكلوا مع هؤلاء الشعراء ظاهرة فريدة من نوعها في بر الشام، في وقت خبا فيه نور الشعر، وتحجّر العقل العربي، ونضبت القرائح، وضحلت المواهب.

لم ينعكس الموقع الجغرافي لقلعة تبنين وقصورها على الوضع الشعري والسكاني، فقط بل كانت له منعكسات سياسية وعسكرية، ساهمت في مد سلطة زعماء تبنين ونفوذهم على الجنوب العاملي كلّه وعلى شمال فلسطين وصولاً حتى الجولان وحوران. مما خلق من هذا النفوذ، تجمعاً شعبياً سياسياً وعسكرياً أيضاً، تفرّد بمميزات وعلاقات حميمة، بين زعماء تبنين وأهل الجوار، كما شكّلوا جيشاً شعبياً مسلحاً تسليحاً كاملاً، يد كل

فارس منه على مقبض سيفه، ورجله في ركاب جواده، ينتظر الطارش أو الصوّات الآتي من تبنين، كلّما دبّ زعماؤها الصوت على أهلهم وربعهم في هذا الجوار.

وقد قدّر القناصل الاوروبيون جيش ناصيف النصّار ومن بعده حمد البك وعلي بك الأسعد بثمانية آلآف فارس شاكي السلاح، لا يتحركّون إلا بامر منهم.

وقد انعكست هذه الميزة السياسية والعسكرية على الحالة الأدبية والشعرية في قصور تبنين، وشكّلت مادة دسمة لقصائد هؤلاء الشعراء ومنظوماتهم. يقول الشيخ إبراهيم الحر الصوري في وصف معركة البحرة ووصف أبي حمد:

ما أبطل حكم الجور سوى	صمصام أبي حمد البطلِ
بحر يحبوك بلجّته	والبحر ضنين بالوشلِ
مقدام ذكر وقائعه	في كلّ زمانٍ لم تزلِ
سَلْ يوم البحرة ما فعلت	كفّاه بفرسان الدولِ

ويقول في وصف الشيخ ناصيف النصار في المعركة نفسها:

أكرم بالخيل إذا وفدت	إذّاك بناصيف البطلِ
ميمون الطلعة مقتدرٌ	يغشى الهيجا بقلب علي
وهنالك شتّت شملهم	ذو الطول فعادوا كالثمل

وقال الشيخ إبراهيم الحاريصي يصف معركة الدولاب:

اربط الفرسان جاشاً إن سطا	ما ابن قيس عنده ماذو الخمار
كم تلقّى لليالي حادثاً	أنسيتم يوم من تبنين غار

أبصر الدولاب منه وقفةً   يومه في جنح ليل من غبار

الشعر سلاح سياسي:

لم يخرج زعماء تبنين عن من سبقهم من زعماء وملوك وسلاطين، من حيث استعمال الشعر والكلمة المنظومة، للدفاع عن قضاياهم وخطّهم السياسي. فشاعر البلاط التبنيني كان صحافي عصره، يدافع عن خط الزعيم السياسي الذي يمثله، وقد لاحظنا كيف ان الشاعر عبد الغني النابلسي، شاعر ظاهر العمر الزيداني، هاجم العامليين، بعد انهزام صاحبه في معركتي البصّة والدولاب. أمام زعيم تبنين وجبل عامل الشيخ ناصيف النصار. أليس وهو القائل مخاطباً العامليين:

انسيتم يوماً بملحم أولغت   بكم السيوف وأشبعت أشبالها
وبيوم مرجعيون لولا تذكرون   كماته وضرابها وقتالها
يا عصبة جاءت بما لا ينبغي   ولربما جنت النفوس نكالها
كنتم له يمنى فخانت أختها   لا خير في يمنى تخون شمالها

فالشاعر النابلسي يذكّر العامليين بالوقائع العسكرية التي هزمهم فيها سيّده الشيخ ظاهر العمر، ويمننّهم بالمواقف الداعمة لهم وبالفوادح التي منعها عنهم، ويتّهمهم بالنكران وعدم العرفان بالجميل، بل وبالخيانة، ويعود ويذكّرهم بأنهم كانوا في السابق قبل هاتين المعركتين طرفين او يدين في جسم واحد، وهم اليمنى، أي الاهم في الجسم، ولكن اليمنى خانت اليد الشمال، فلم يعد يرتجى منها خير.

ويردّ عليه شاعر البلاط التبنيني الشيخ إبراهيم الحاريصي، فيفنّد أقواله وادعاءاته قولاً وادعاءً يلي الإدّعاء، ويدافع عن زعيم تبنين ناصيف النصار وعن مواقفه ويتّهم الشيخ ظاهر العمر بالإبتداء بالعدوان، ويؤكد للزيادنة، أن حرب الشيخ ناصيف النصار كانت حرباً دفاعية، هدفها حفظ الأمن وسلامة مواطنيه ليس أكثر. ومن أقواله مدافعاً عن تبنين وزعيمها:

يـا لـلـرجـال لـمـحـنـة لا يـرتـجـى

غـيـر ابـن نـصّـار يـحـلّ عـقـالـهـا

ناصـيف مـن يـحـمـي الـثـغـور ومـن بـه

أبـدت سـمـاء الـمـكـرمـات هـلالـهـا

ويصف عسكر تبنين بقوله:

شوس تمدّ من السيوف قصارها ... يوم الوغى ومن الرماح طوالها

سارت على اسم الله غير مطيعة ... أهـواءهـا يا لـلـعـشـيرة يا لـهـا

جرد تـقـول الـعـاصـفـات إذا غدا ... هـذي بنـاتـي من يـجـول مـجـالـهـا

ويصف الشيخ ناصيف وكرّه وفرّه فيقول:

وافـى بـهـا فـي يوم تربيخا وقد ... جاست خيول الدارعين خلالـهـا

طافوا عليـهـا بـالـصـوارم والقنا ... فـكـأنّـهـم قـطـع الـغـمـام حـيـالـهـا

فـسـطـا ونـادى لا فـرار فـادبـرت ... تـلـك الـجـمـوع ونـالـهـا مـا نـالـهـا

عافت هـنـالك خيـلـهـا وسـلاحـهـا ... والرعب من تلك السروج أمالـهـا

ويرتد للزيادنة فيرّد لهم الكيل كيلين والصاع صاعين فيقول لهم:

يا عصبة رأت الجميل وما وفت ... وبـنـت عـلـى نـيّـاتـهـا أفـعـالـهـا

وتعمّدت سفك الدماء وما رعت | سنن النبي حرامها وحلالها

ويذكّرهم بالأيام التي نصرهم العامليّون والشيخ ناصيف فيها ولولاه لما كانت زعامة سيّدهم الشيخ ظاهر العمر استمرّت:

انسيتم أيام سخنين التي | لم ينسكم طول المدى أهوالها

جافت جفون كماتنا طيب الكرى | فيها وعافت عذبها وزلالها

ألقت على ابن العظم كلّ عظيمة | فرأى أشد نكاية ما نالها

والصقر لولا الخوف من عقباننا | ما أزمعت عن أرضكم ترحالها

حتى خلت لكم البلاد وأوترت | من كان يبغي حربها ونزالها

وينهي الحاريصي قصيدته بمناشدة الشيخ ظاهر العمر ـ أبو سعيد ـ كي يتدارك هذه الفتنة بين الحيّين: تبنين وعكا، فيقول:

يا فتنة تأبى العقول وقوعها | ألقت على متن الهدى أثقالها

فيها ذهاب الدين والدنيا وما | يسطيع غير أبي سعيد زوالها

ونحن نكتفي بهذا القدر من النصوص الشعرية لكي لا نقع في التكرار والإطالة، وإلا فإن أغلب القصائد التي قالها هؤلاء الشعراء فهي قصائد، سياسية تدافع عن خط زعماء تبنين السياسي وشرح مواقفهم من كل حدث عسكري أو سياسي كان ينطلق من تبنين أو يفد إليها.

ولم يكن الشاعر صوت عصره في السياسة فقط، بل حتى في المواقف والآراء الدينية المخالفة لراي أهله وزعمائه. وما قصيدة الشيخ إبراهيم الحر الصوري التي يرد بها على الشيخ عبد الغني النابلسي عندما تسطع أفكاره الدينية وتجلياته الصوفية إلا

خير دليل على ذلك. كذلك قصيدته التي ردّ فيها على شاعر الدروز أحمد دبوس، بعد انهزام الامير يوسف الشهابي في معركة البحرة.

آل الأسعد والشعر:

لن نتحدّث في هذا الفصل عن شعر آل الأسعد، لإنه يدخل في باب الحركة الأدبية والشعرية في تبنين، كونهم أبناء تبنين، فسيأتي الحديث عن شعر شعرائهم وهم: حمد البك، وعلي بك الأسعد وشبيب باشا الأسعد، ولكنّنا سنتحدّث عن رعايتهم للشعر والشعراء في قصور تبنين، وعن قيادتهم لحركة شعرية عاملية متطوّرة ومتقدّمة عن الحالة الأدبية والشعرية في لبنان وبر الشام بأشواط.

إذا سلّمنا جدلاً أن الجد الأول لآل الأسعد، الذي سكن قلعة تبنين، هو محمد بن هزّاع الوائلي، أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي، حسب ما روى حفيده شبيب باشا الأسعد في مقدّمة ديوانه، فإننا لم نستطع الوصول إلى أي نص أو قصيدة شعرية لهذه العائلة، حتى ظهر الشيخ ناصيف النصّار في قصور القلعة.

وقد روت لنا كتب التاريخ العاملي، اهتمام الشيخ ناصيف النصّار بالشعر والشعراء، وتشجيعه لهم، وتذوّقه هو نفسه الشعر. وقد روى لنا الأديب الدكتور محمد العبد حمود في البحث الذي كتبه في مستدركات أعيان الشيعة عن الشيخ ناصيف النصّار أن الشيخ ناصيف، استشهد بابيات لأبي فراس الحمداني، بعد أن استطاع أن يحل مشكلة مستعصية بين زعماء العشيرة، مما يدّل

على علو قدره في حفظ الشعر وتذوّقه له، وهذه الأبيات هي[1]:

إنّا إذا اشتدّ الزمان	وناب خطبٌ وادلهمْ
الغيث حول بيوتنا	عدد الشجاعة والكرمْ
للقا العدى بيض السيوف	وللندى حمر النعمْ
هذا وهذا دابنا	يُودَى دمٌ ويُراقُ دمْ

ومن شعراء البلاط التبنيني الذين اختصوا بمدح الشيخ ناصيف وشرح وقائعه العسكرية ومواقفه السياسية شاعران: الشيخ إبراهيم يحيى الطيباوي والشيخ إبراهيم الحاريصي.

ومن قصيدة للشيخ إبراهيم الحاريصي يمدح فيها الشيخ ناصيف فيقول:

إليك فريدة رقّت وراقت	بجيد الدهر قد أمست حليًا
هدية شاعر داعٍ مُراعٍ	أجاد بك بن نصار الرويا
فتى حاريص مغناه ولكن	تلقّى العلم وفراً من جويا
وفي تبنين ما يرجو وأنتم	له ذاك الرجا ما دام حيًا

وقد ذكرنا تصدّي الشيخ إبراهيم الحاريصي والشيخ إبراهيم الحر الصوري للرّد على شاعر ظاهر العمر الزيداني عبد الغني النابلسي.

أما الشاعر الذي اختص بالشيخ ناصيف مدحاً ورثاءً وأكثر، هو الشيخ إبراهيم يحيى الطيباوي، فقد نظم العديد من القصائد،

---

(١) ناصيف النصار، بحث بقلم محمد حمود، مستدركات أعيان الشيعة، مجلد٢، ص٢٦٩.

التي رثى بها الشيخ ناصيف وهجا الجزّار ووصف الحالة التي حلّت بتبنين وقصورها وبزعمائها وبالعاملين جميعاً بعد مقتل الشيخ ناصيف. وقد مدح الشيخ ناصيف والشيخ محمود النصار - أبو حمد - وهو القائل بالشيخ محمود:

أبـي حـمـد حـامـي الـبـلاد ومـن جـرى
نـدى كـفّـه فـي شـرقـهـا والـمـغـارب

أنـامـلـه فـي الـحـرب خـمـس صـواعـق
وفـي السلـم لا تنفكّ خـمـس سـحـائـب

ويقول في وصف زعماء تبنين:

رمـاحـهـم مـثـل الأفـاعـي وخـيـلـهـم
تـدبّ عـلـى وجـه الـثـرى كـالـعـقـارب

هـم الأسـد فـالـخـطيّ فـي الروع غـابـهـم
وأسـيـافـهـم مـحـمـرّة كـالـمـخـالـب

وقـائـعـهـم سـود وسـمـر رمـاحـهـم
مـن الـغـارة الـشـعـواء حـمـر الـذوائـب

بـدور كـمـال فـي بـروج مـنـيـعـة
تـصـول بـأمـثـال الـنـجـوم الـثـواقـب

وقال الشاعر الطيباوي في وصف ورثاء الشيخ ناصيف:

وكـان لـهـا مـن آل نـصـار صـارمٌ
صـقـيـل وسـهـم لا يـطـيـش ولـهـذمُ

هو الليث بل أعدى من الليث في العدى
هـو الـغـيـث بـل أنـدى بـنـانـاً وأكـرم

هو البدر وافاه المحاق وإنّما
يكون خسوف البدر وهو متمّمُ

قضى في ظلال المرهفات مطهّراً
وأي شهيد لا يطهّره الدم

فجعنا به والشمس في رونق الضحى
فلم تُمْسِ إلاّ والبلاء مخيّمُ

ويصف حالة أهل تبنين والعامليين بعد مقتل الشيخ ناصيف النصار فيقول:

وعاشت يد الأيام فينا فمجدنا
وبالرغم مني أن أقول مهدّمُ

ولست ترى إلا قتيلاً وهارباً
سليباً ومكبولاً يُغَلُّ ويُرغمُ

وكم عالم في عامل طوّحت به
طوائح خطب جرحها ليس يلأمُ

فاصبح في قيد الهوان مكبّلاً
وأعظم شيء عالمٌ لا يعظّمُ

ويصف أحمد باشا الجزار ويهجوه بعد تملكّه قلعة تبنين وقصورها، فيقول:

تملّكها، والملك لله، فاجرٌ
سواء لديه ما يحلّ ويحرمُ

عِتِلٌ زنيمٌ يُظهر الدين كاذباً
وهيهات أن يخفى على الله مجرمُ

وقد نظم الشيخ ابراهيم يحيى العديد من القصائد والمنظومات التي ترثي الشيخ ناصيف وتصف حالة قصور تبنين وقلعتها وحالة جبل عامل من بعده، وقد اثبتناها كلها في مكانها في هذا الكتاب.

بلاط تبنين الشعري صورةٌ مكبَّرةٌ عن بلاط سيف الدولة الحمداني:

تحت عنوان «عصر حمد المحمود» والحياة الشعرية في جبل عامل، سطَّر المؤرِّخ والأديب السيد حسن الأمين كتاباً تتمحور أغلب عناوينه وأبوابه حول الحياة الأدبية والشعرية في قصور قلعة تبنين.

وبعد ان سلَّط السيد حسن الضوء على مواقف زعيم تبنين حمد البك، العسكرية والسياسية يقول: «هنا في ساعات النصر يبرز الشعراء ملتفِّين حول حمد، مندفعين في تهنئته والإشادة بانتصاراته، والتغنِّي بأمجاد الجبل العاملي. وحمد إلى جانب مكانته، كان شاعراً. فاجتمع للشعراء: أمير تتشوَّقه المدائح، وشاعر يفهم ما يقولون، وأمجاد مغرية بالمدح. فالتقى في قصر حمد مجموعة من الشعراء، لم يلتق مثلها إلاَّ في قصور الملوك السابقين»[١].

وبالعودة إلى قصائد هذه الكوكبة من الشعراء التي اجتمعت في قصور قلعة تبنين، نجد انها كانت حالة فريدة من نوعها في حياة الشعر العربي والشعر في بر الشام، لإنّها ادّت إلى اجتماع أكثر من ثلاثين شاعراً حول زعيمي تبنين حمد المحمود وعلي بك الأسعد، في وقت،

---

(١) عصر حمد المحمود، حسن الأمين، ط١، بيروت، دار التراث الإسلامي سنة ١٩٧٤، ص٤٨.

كان الشعر العربي غارقاً في الألغاز والأحاجي والتشاطير والمباسطات الإخوانية، التي لا علاقة لها بالشعب وهمومه ومشاكله وطموحاته.

ويضيف السيد حسن في وصف هذه الحالة فيقول: «ويخيّل إليك وأنت تراجع شعر تلك الفترة أنّ حياة مصغّرة لسيف الدولة الحمداني قد انبعثت في الجبل.. وإذا كانت مدائح شعراء سيف الدولة، تظلّ غير ممجوجة لأنّها في جوهرها إشادة بانتصاراته على الروم، وتغنّ بالوقائع العسكرية العربية، وملاحم شعرية رائعة، فكذلك هي مدائح شعراء حمد المحمود الوائلي، وكما كان سيف الدولة شاعراً، ذوّاقة، فكذلك كان حمد. وكما كان الأول فارساً مقداماً، فكذلك كان الثاني»[1].

وعندما يتحدّث السيد حسن عن الشاعر حبيب الكاظمي يشبّهه بمتنبي البلاط التبنيني ويشبه البك بسيف الدولة فيقول: بعد استعراض إحدى قصائده في مدح حمد البك «نحن نحس هنا أننا أمام شاعر من شعراء سيف الدولة، يتحدّث عن معاركه ومنازلها، ووقائعه وأماكنها، ويتحدّث بانتصاراته وهزيمة عدوه».. ثم يقول: «في مكان آخر هذه صورة مصغّرة لمشهد من مشاهد البلاط الحمداني، تتمثّل هنا في هذا البلاط الصغير يعرضها لنا، لا شاعر حمد الأول، ولا متنبي البلاط الوائلي، بل واحد من شعراء الصف الثاني (الشيخ علي مروة)، الذين رأينا أشباههم في بلاط سيف الدولة»[2].

---

(١) م. س. ص٤٩.

(٢) م. س. ص٦٠.

وفي حديثه عن متنبّي قصور تبنين الشيخ حبيب الكاظمي يقول: «وهنا يبرز الشبه من جديد بين الأميرين، الحمداني والوائلي، بعد أن برز الشبه بينهما في الشاعرية واحتضان الشعراء. ثم يبدو الشبه أكثر بروزاً في تباري شعراء حمد بوصف معاركه».

هذا الوصف الذي وصف به الأديب السيد حسن الأمين لبلاط تبنين الشعري وللحركة الشعرية التي شكلها زعماء تبنين مع كوكبة الشعراء التي التفّت حولهم، هو إشارة إنصاف لهذه الحركة الشعرية، لإن دارسي تاريخ الأدب والشعر في لبنان وبر الشام، تجاهلوا هذه الحركة وهذه الظاهرة الشعرية، في الوقت الذي كانوا يبحثون عن قبسات وإضاءات مفقودة، لنور الشعر والأدب على مستوى العالم العربي بأكمله. ونحن نستطيع أن نقول بعد قراءة قصائد هؤلاء الشعراء، أنّ جبل عامل تقدّم على جبل لبنان في ميداني الأدب والشعر في هذه الحقبة، فإذا أخذنا شعر الشيخ ابراهيم يحيى وشعر الشيخ ابراهيم الحاريصي، وهما من شعراء القرن الثامن عشر، وأخذنا نفتش عن أي شاعر في لبنان أو بر الشام أو حتى مصر والمغرب العربي، لن نجد أي شاعر بمستواهما الشعري وقوة سبكهما، فناصيف اليازجي ونقولا الترك وبطرس كرامة، يعتبرون من شعراء القرن التاسع عشر وهم من أشهر شعراء لبنان وبرّ الشام على الإطلاق.

وكان زعيم تبنين حمد البيك، هو اوّل من شجّع الشعر والأدب في تبنين والجبل العاملي، فجمع حوله ثلّة من الشعراء وأجرى عليها الارزاق والجرايات. وكانوا شبه مقيمين في قصور

تبنين، يرافقونه في حلّه وترحاله، وحربه وسلمه، ومعاركه ومواكبه، حتى نظموا فيه من الشعر والقصائد، ما لم ينظمه شعراء آخرون، عبر التاريخ العربي، بزعيم آخر، وحتى سيف الدولة الحمداني. وكلّ هذه القصائد، جاءت من غرر القصائد ومن عيون الشعر، إن كانت مدحاً، أو وصفاً لوقائع عسكرية، أو وصفاً لمعارك أو رثاءً.

وقد كان هو نفسه شاعراً، وسوف نتحدث عن شعره في الكتاب المخصص للحركة الأدبية والشعرية في تبنين.

أما حفيده وخليفته علي بك الأسعد، شاعر تبنين وزعيمها وفارسها، كان بالإضافة إلى نظمه الشعر، ناقداً له ينقده نقد الصيرفي الخبير. وكذلك تكوكبت حوله مجموعة من الشعراء العامليين، فاق عددها، عدد الشعراء الذين كانوا يحضرون صالون عمه حمد الشعري.

وروى السيد محسن الأمين عن الشيخ ابراهيم صادق أنه بات ليلة في قصور قلعة تبنين بضيافة علي بك الأسعد. وكان الجو حارّاً وقد كثر البعوض والبراغيث، مما أطال سهره وسهر علي بك، ولم يستطع النوم، فقال الشيخ إبراهيم صادق شعراً:

أتخشى لسع (برغوت) حقيرٍ ... وفي أثوابك الغرّاء ليثُ
فلا يدنو لك (البرغوت) إلاّ ... لأنّك للورى برٌّ وغوثُ

فأجازه علي بك الاسعد على هذين البيتين جائزة سنّية.

فإذا كان زعيم تبنين يجيز على البيت والبيتين جائزة سنّية،

فكيف كانت جوائزه على القصائد والمطوّلات:

يجيبنا عن هذا السؤال الشيخ عباس القرشي الذي قال:

زرت ابـن أسـعـد فـانـهـلّـت أنـامـلـه
علـيّ مـن جـودهـا بـالـوابـل الـغـدق

حـتـى انـصـرفـت بـلا إذن، ولا عـجـبٌ
إنّـي خشـيت علـى نفسـي مـن الـغرق

وقال أيضاً في كرم علي بك وإغداقه الأعطيات على الشعراء:

أبـا الـسـعـود إن يـغـض مـاء الـنـدى
فـإنّـه مـن كـفّـك الـيـمـنـى نَـبَـعْ

أو يُـورَ فـي داجـي الـخـطـوب ثـاقـبٌ
فـإنـه مـن رأيـك الـوارى سَـطَـعْ

لـو يـقـتـدي بـظـنّـك الـجـاهـل فـي
مـا قـدّر الله عـلـى الـغـيـب اطّـلـعْ

إن الـذي بـاراك فـي شـأو الـعـلـى
بـه الـعـثـار مـولـع أي ولـعْ

مـحـوت بـالـعـدل الـذي سـرت بـه
مـا نـقـش الـجـور وخـطّـت الـبـدعْ

ووصل الأمر بالشاعر القرشي، أن نسب العجز للذات الإلهية، لوقوفها عاجزة عن حماية المال وصيانته من كرم علي بك الأسعد على الناس وعلى الشعراء فقال:

أبـا الـسـعـود لـو أنّ الـمـال يـحـرسـه
مـن راحـتـيـك قـضـاء الله مـا سـلـمـا

هـذا عـلـيٌّ إذا جـار الـزمـان ولـم
يـكـن سـواك بـه مـا بـيـنـنـا حـكـمـا

وقال يلاطفه ويذكّره بوعده له بجائزة مالية:

عـلـيٌّ يـا ابن اسـعـد لا تـلـمـنـي
فـلـيس عـلـيٌّ فـي عـيـنـي مـلامـه

اراك وعـدتـنـي ومـطـلـت وعـدي
اظـنّـك مـنـجـزي يـوم الـقـيـامـه

وقال يمازحه ويذكّره بوعوده التي انقلبت رأساً على عقب وأصبحت جسداً بلا رأس بعد أن كانت رأساً على جسد:

لا عـذر لـلـمـتـنـاسـي عـهـد صـاحـبـه
وإنـمـا الـعـذر بـيـن الـنـاس لـلـنـاس

كـانـت مـواعـيـدكـم رأسـاً عـلـى جـسـد
مـا لـي أرى جـسـداً مـنـهـا بـلا رأس

أمـسـت مـواعـيـدكـم مـرضـى ولـيـس لـهـا
نـفـسـي فـداكـم سـوى إنـجـازهـا آسـي

ولـو كـلّـفـت نـفـسـي مـن ابـن أبـي
الـسـعـود مـا لـم يـطـقـه سـائـر الـنـاس

لـشـاهـدت عـيـنـه مـنّـي أخـا ثـقـةٍ
كـمـا يـشـاء عـلـى عُـدْمـي وإفـلاسـي

وبعد وفاة زعيمي تبنين علي بك الأسعد ومحمد بك الأسعد انفرط عقد جمان الشعر وتناثرت حبّاته في الأصقاع العاملية، ولم يترك علي بك الأسعد وريثاً يدرك أهمية الشعر والشعراء في المعارك السياسية والعسكرية، رغم أن هذا الوريث، كان شاعراً وابن شاعر وهو شبيب باشا الأسعد.

كنا قد أشرنا في كتاب تاريخ تبنين السياسي ان شبيب باشا حرد وحزن من العلماء ومن العامليين الذين حكموا وقضوا بينه وبين ابن عمه خليل بك الأسعد، وفصلوا بينهما، بأن يبقى شبيب باشا في تبنين، ويغادر خليل بك مع زوجته وولديه إلى قصر الطيبة. فترك شبيب باشا تبنين وقصورها، وهاجر إلى استامبول، حيث قضى فيها أكثر من ٢٩ سنة، رجع بعدها، فكان عقد الشعراء قد انفرط كما قلنا.

وبوجود شبيب باشا كزعيم لتبنين وللجبل العاملي، لم يتقدم عليه أي وجيه آخر من أبناء العائلات التبنينة الأخرى لرعاية الشعر والشعراء فيها، ولكن بعد تركه تبنين في الحرب العظمى نهائياً واختياره صيدا والعاقبية مسكناً، قام وجهاء وأعيان تبنين برعاية الأدب والشعر في المنطقة، أمثال السيد يوسف مصطفى صالح الذي أقام صالوناً أدبياً في بيته، والشيخ محمد بري، الذي كان يجمع الشعراء والأدباء في خيمة التين المشهورة والتي أقام مكانها رئيس مجلس النواب المحامي نبيه بري فيلّته المعروفة والتي ما زالت قائمة حتى اليوم.

علاقة الشعراء العامليين بزعماء تبنين:

لم تكن العلاقة بين الشعراء العامليين وبين زعماء تبنين علاقة مادية أو علاقة كسب مادي، بل كانت علاقة حميمة، تتجاوز كل كسب مادي لتصل إلى مستوى علاقة الإحترام المتبادل، فزعيم تبنين، كان القائد والشاعر والفارس والمقاتل والعالم الديني، وكان

على الشاعر العاملي أن يقف إلى جانب هذا الزعيم ويشرح وجهة نظره العسكرية والسياسية ويدافع عنها، دفاع المقتنع ودفاع صاحب القضية لا دفاع المتكسّب والمدفوع الأجر.

فإذا أعدنا النظر في قراءة القصائد التي قيلت في مدح أو رثاء زعماء تبنين، من قبل هؤلاء الشعراء، لوجدنا أن الصفات والنعوت التي وصفوهم بها، تجاوزت حد الإنسان العادي، وصعدوا بهم إلى مدارك الملائكة والأنبياء. وهذا الشعر لم يوصف به إلا أئمّتنا، المعصومين عترة النبي وأهل بيته، فقارب هؤلاء الزعماء في مراثي ومدائح شعراء عاملة عترة النبي وأهل بيته في أوصافهم فناصيف النصار برأي الشيخ إبراهيم يحيى:

هو الليث بل أعدى من الليث في العدى

هو الغيث بل أندى بناناً وأكرمُ

هو البدر وافاه المحاق وإنّما

يكون خسوف البدر وهو متمّمُ

أما ولده محمد الناصيف وابن أخيه محمد المحمود وصاحب القلعة وابن عمهم سلمان بك، في نظر السيد حسين مرتضى:

وصاحب القلعة الشماء ماجدهم محمّد خير مطعان ومنحار

محمود خلق وأخلاق كوالده

الضاري أبي حمد والشبل كالضاري

ومنهم الندب سلمان الذي شهدت

بفضله الناس من باد ومن قاري

أماجد رفع الرحمن قدرهم وأظهر الفضل منهم أيّ إظهار

ويقول الشيخ علي زيدان في وصفهم:

فرع من القوم الأولى استنموا العلى
ولهم من المجد السنام الاعظم

وعن حمد البيك:

علمٌ تحجّ إلى حمى ساحاته	عرب بكعبتها تلوذ واعجم
مولى تقول له الرياسة والعلى	الأمر أمرك والزمان مُسلِّمُ
يا كعبة الآداب والعلم الذي	واديه من سيل الفضائل مفعم

أما الشاعر حبيب الكاظمي نزيل جويا فقد خاطب حمد البيك كأنه أحد الملوك:

وتخطّى المجد أعناق الورى	فإذا حلّ بناديك أقاما
واصطفاك الملكُ عيناً ويداً	وحباك الله نصراً واحتشاما

وهو أسد ينقض كالبرق اللامع والضوء الساطع:

ضيغم صال فلو شاهدته	لشهدت البرق يقتطُّ الظلاما

أما الشيخ علي السبيتي فهو يقول على لسان حمد البيك وزعماء تبنين متفاخراً بمواقفهم أمام السلطان عبد المجيد:

سننّا كل نعمى في البرايا	بأعناق الملوك غدت وساما
ملكنا الكعبتين فظلّ كلٌّ	لكعبتنا خضوعاً واستلاما

وهو يعني بكلمة «كعبتنا» تبنين.

أما الشيخ سلمان قعيق فهو يعمل بقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إحيوا أمرنا غفر الله لمن أحيا أمرنا»، فهو يرى أن ذكر حمد البيك وزعماء تبنين من آل علي الصغير فرض وسنّة:

وذكركم في الدهر فرضي وسنّتي
وفي قربكم لي جنة الخلد والمأوى

منحتكم مني المديح تودّداً — ولست لرفد في مديحكم أهوى
ولا غرو أن أبقى به الدهر مولعاً — فذكركم عندي هو المن والسلوى

لقد سعدت أرض حللتُم بربعها
وليست بغير الوبل من كفّكم تروى

ويصف الشيخ علي مروة قلعة تبنين في عهد حمد البيك فيقول:

في منزل ترف بالزهر متّصف — بالعزّ مكتنف بالأهل والحشم
أبناء ناصيف حقاً ليس يجهلهم — إلا حليف عمى عن واضح اللقم
إن كنت جاهلهم فانزل منازلهم — واسأل مُنازلهم عن يوم بأسهم

عزّت نظائرهم، طابت سرائرهم
تزهو عناصرهم في الأعصر الدهم

أما بروج عكة عند الشيخ علي مروة، قال عنها أنّها خرّت ساجدة أمام حمد البيك:

واسأل بروجاً زلزلت وهوت — من عكة لما ان احتشدا
خرّت له في الحال ساجدة — والسور تعظيماً له سجدا

أما السيد موسى عباس فيرى فيهم:

أولئك قوم ما لهم من حمائل — قد اقتسموا المجد اقتسام الغنائم
وذكرهم في الناس ما زال باقياً — وآثارهم مثل النجوم النواجم

ويخاطب حمد البيك بقوله:

ويا حاكماً بين الأنام بعدله — ويا منصف المظلوم من كلّ ظالم

ويا مورد الأبطال في هوّة الردى ويـا تـارك الامـوال غـنـمـاً لـغـانـم

ويـا نـاهـب الأرواح فـي حـومـة الـوغـى

ويـا تـارك الأجـسـاد طـعـم الـقـشـاعـم

وقال فيه أيضاً:

تـعوّد بـسـط الـكف حتـى لـو أنّـه ثـنـاهـا لـقـبضٍ لـم تـطعه الانـامـل

وقـال فـلـم يـتـرك مـقـالاً لـقـائـلٍ وإن الـصـواب الـحـقّ مـا هـو قـائـل

أما علي بك الأسعد في نظر حبيب الكاظمي فهو:

فـي عـدل كـسـرى فـي شـجـاعـة رسـتـم

فـــي جـود حـاتـم فـي ذكـاء لـبـيـد

أما قصور قلعة تبنين فهي قصور في نجم الجوزاء وهو أعلى نجم في السماء.

رفـعـت بـهـامـة الـجـوزاء قـصـراً ولـم يـر قـبـلـه فـي الـنـجـم قـصـر

كـأن الـقـلـعـة الـشـمّـاء مـنـه سـمـاء كـواكـب والـقـصـر فـجـر

أما السيد كاظم الأمين فيرى فيهم:

هـم القوم كـل القوم بـأسـاً ونـائلاً وحـلـمـاً وآدابـاً غـنـىً وتـعـفّـفـا

هـم آل نـصـار الـذيـن سـيـوفـهـم تبثّ لهم مجداً على النجم مشرفا

أولـئـك اتـبـاع الـنـبـي وخـلّـص الـوصـيّ

وأركـان الـلـذي بـهـمـا اقـتـفـى

وشـيـعـة أهـل الـبـيـت حـقّـاً كـمـا أتـى

بـه الـنـصّ عـن مـولـى بـه الـكـون شُـرِّفـا

فذاك هو الفضل المبين لدى الملا كفاهم به فخراً على غيرهم كفى

ويعتبر حمد البيك واحد الدنيا ولا مثيل له:

مضى واحد الدنيا وما جد أهلها ... فقولوا على الدنيا إذاً بعده العفا
له كسفت شمس المعالي ولم تكن ... على غيره شمس المعالي لتكسفا

أما السيد محمد الأمين مفتي بلاد بشارة فيرى في زعماء تبنين:

ما غاب بدرٌ منكم إلا بدا ... بدر به (يجلى) ظلام سدوف

ويتوجّه إلى علي بك الأسعد بقوله:

يا سيف عامل يا كفيل خطوبها ... وأمانها من حادث ومخوف

أما الشيخ ابراهيم صادق فيتساءل بعد موت حمد البيك:

من (للممالك) ساعد ومساعدٌ ... (ولأنت) طالعها السعيد الأسعد
من في ثغور المسلمين مرابط ... رصداً وأنت بها الرصيد المرصد
من للرعية سائس من للشريعة ... حارس من للسبيل مُمهّد
هو ذلك الملك الكريم ومن غدا ... للمولجين يلوح منه الفرقد

ويتوجه لعلي بك الأسعد مخاطباً:

يا أيها الملك المطاع ومن له ... زمر الخلائق بالمكارم تشهد
صبراً وتسليماً وإن عظم الردى ... وقعاً فمثلك في العزا يتجلّد

ويخاطب علي بك الذي لم يرض آباؤه ارتقاء قلعة تبنين فاستبدلوها بظهر المجرّة:

يا واحد الدنيا وأكرم من له ... جمل المدايح والثناء تُرَكَّبُ
وابن الألى ملكوا العلى وتسنّموا ... مرقى له ظهر المجرّة مركب
من آل نصّار الذين فخارهم ... كالشمس إلا أنه لا يحجب

أما الشيخ علي مروة فيرفع من وتيرة المدح، فيقول مخاطباً تبنين وأهلها:

ذريني للعلى أسعى فإني وجدت إلى طريق المجد بابا
وها أنا سائر من فوق عنس تجوب بي الفدافد والهضابا[1]
إلى تبنين من حجّت إليها جميع الناس خاضعة رقابا

وعندما تصل إلى تبنين:

ترى ملكاً تفيض يداه بحراً كأنّ بكلّ أنملةٍ سحابا
ترى العظماء مطرقة لديه كأنّ على رؤوسهم العقابا

وحبيب الكاظمي يرى أن:

الخيل خاضعة على أبوابهم والرعب يعدو في القلوب ويقتل
وهم الأولى اتخذوا العلاء مطيّةً لم ينزلوا عنها ولم يتحوّلوا

وزعيمهم تركع له السيوف والرؤوس سواسية:

فالقضب ترجع بالحنيّ على الثرى
والهام خاضعة له بسجود

وكذلك:

إن الجواهر تصدى بالسنين ولا يصدى ثناهم ولو مرّت به الحقب

ولعظيم قدره وعلو شأنه:

سيف بن ذي يزن مشى بركابه ولديه قحطان تسير وحمير

---

(١) العنس: الناقة والدابة المعدّة للركوب. الفدافد: جمع فدفد: وهو الطريق الوعر.

وإذا خاطب الشعراء زعيم تبنين فهم يخاطبونه بقولهم:

من للخيول إذا جالت سوابقها — من للجموع إذا نادى مناديها

من للسيوف إذا صالت بوارقها — من للرماح إذا هزّت عواليها

من للضيوف إذا وافتك طارقة — بالزاد والمال والأخلاق تفريها

من للملوك إذا ما أزمة عرضت — وحار كلّ لبيب في تقاضيها

أما الشيخ علي زيدان فهو يتساءل ويسأل عن زعيم تبنين حمد البيك:

سل المُلْك عنه والملوك فكم بنى — له في العلى طوداً وكم شاد جانبا

ومن ذا لشمل الملك يرعى سوامه — إذا ما غدا بالملك راعيه لاعبا

ومن ذا لآذان الليالي مشنّفاً — يزيّن أجياداً لها وترائبا

فتى سلب الأزمان بيضة ملكها — ويسلبها الراجي إذا جاء طالبا

أيعقل أن يكون كرم زعيم تبنين إلى هذا الحد وهذا الوصف؟

وزعماء تبنين:

لقد خلقوا للعز والبذل واللقا — وقد أخذوا منها سناماً وغاربا

أما الشيخ محمد حسين مروة فهو يرى فيه:

هناك أرى مولىً بتبنين عاملٍ — مآل بني الدنيا إذا العام أجدبا

وهو:

إذا هو أعطى ما له لا يشوبه — بمنٍّ ولا يفتكر بمن راح أو غدا

أما أخوه الشيخ عبد المطلب مروة فهو ينصح:

إن ما مررت بربع تبنين الذي قد فاق للجوزا علاً وصعودا
فانزل فسيح رحابه وانظر تجد للجود بحراً مترعاً موروداً

أما السيد عبد الله الأمين فهو يرى زعيم تبنين:

علم بصدر قناته قام الهدى وبه استقام إلى الرشاد المنهج
والعدل في أبياته والمجد في أسيافه والعزّ عنه ينتج
به تزدهي تبنين زاهية كما يزهو بمطلول الرياض بنفسج

أما الشيخ محمد علي عز الدين فيرى فيهم:

قوم هم حفظوا الديار وأوردوا حوض الردى من قد أراد نكالها
وتداولوا ملك البلاد ودوّخوا من رام يلبس دونهم سربالها
وتملّكوا أقيال كلّ قبيلة فغدوا لكلّ قبيلة أقيالها[1]

أما الشيخ محمود مغنية فهو يرى في زعماء تبنين وأهلها:

هم القوم مجّوا صفوها وسواهم تباعد عنه عذبها وصفاها
إذا ركبوا الجرد العتاق وقوّضوا يضيق بهم رحب الفضا وفلاها

صالون حمد البيك الأدبي:

عرفت بلاطات قصور تبنين قيمة أثر الشعر والشعراء في الدفاع عن وجهة النظر الفكرية والسياسية والعسكرية، من أيام الشيخ ناصيف النصار، فقد كان شاعرا الشيخ ناصيف، الشيخ ابراهيم يحيى والشيخ ابراهيم الحاريصي، من شعراء هذه البلاطات، ولكن شدّة

---

(١) الأقيال جمع قيل أي وجيه أو زعيم القبيلة والعشيرة.

الهجمة على تبنين والجبل العاملي، من قبل حكام جبل لبنان ودمشق، اغرق الشيخ ناصيف في هموم الدفاع عن جبل عامل، ولم يعطه الوقت الكافي لأن يعلّ وينهل من منابع الشعر والأدب، ولا أن يعطي الإهتمام الكافي للشعر والشعراء.

ولكن عندما تسلّم حمد البيك زعامة تبنين والجبل العاملي، وبعد طرد المصريين، والإعتراف به زعيماً وحيداً لجبل عامل من قبل الدولة العثمانية، راقت له وللعامليين الأيام بعد كدر، وصفت له الأوقات، فأعطى للشعر حقّه، وللأدب مستحقه، فكان صالونه الأدبي في قصره داخل قلعة تبنين، يضاهي، بل يفوق صالون سيف الدولة الحمداني في حلب، ومنتدى هاورن الرشيد، وملتقى المأمون، فجمع وتجمّع حوله أكثر من عشرين شاعراً، يتذاكرون الشعر والقريض، وينظمون المطوّلات الشعرية، ويجيزون ويستجيزون.

وقد أثْبَتُّ كلّ القصائد التي قيلت في مدح الشيخ حمد أو في وصف معاركه ومواقفه السياسية والعسكرية، وكذلك التي قيلت في رثائه، فكانت جمّاً غزيراً من عيون القصائد، وغرر المنظومات.

وحمد البيك نفسه كان شاعراً، ولن نتحدّث عن شعره في هذا الكتاب، لإنه سوف ياتي الحديث عنه في كتاب يختصّ بالحركة الأدبية والشعرية في تبنين.

صالون علي بك الأسعد الأدبي:

بعد وفاة حمد البيك، لم يتوقّف الإهتمام بالادب والشعر والشعراء في تبنين، بل انتقلت راية هذا الفن من حمد البيك إلى

خليفته ووريثه علي بك الأسعد. فكان لصالون علي بك الأدبي في قصره في قلعة تبنين لون وطعم اختلفا عن لون وطعم كل الصالونات والملتقيات الأدبية التي عرفها تاريخ الخلفاء والسلاطين العرب.

كتب عنه الشيخ محد تقي الفقيه وعن اهتمامه بالأدباء والشعراء فقال: «لقد أعاد للناس عهد معن بن زائدة وأضرابه من أسخياء العرب، فقد أجزل العطايا للقريب والبعيد، والصغير والكبير، والحاضر والبادي، وقد امتدحه الشعراء بالجيدات الطوال، وقد أسهب الكتّاب ممن عاصره، وتخلّف عنه في تعداد مآثره ومفاخره ومكارمه. وقد كان العلماء والأدباء يعيشون بفيض مداه. فكان يقطعهم الإقطاعات، ويمدّهم بالمرتبات، وينقذهم من النكبات. وقد كانوا يعززّونه ويمجّدونه. وكانوا همزة الوصل بينه وبين الطبقات الدنيا. وكانوا لسانه الناطق أمام الجماهير وبينها»[1].

وفي وصف صالون علي بك الأدبي يقول الشيخ محمد مهدي مغنية: «كنت في قلعة تبنين بعد عيد الأضحى والمرحوم علي بك الأسعد في دسته (صالونه)، كالمعتمد بن عباد في قرطبة أو سبتة. وهناك جماعة من أهل الفضل وطلاّب العلم، هذا لعطاياه، هذا لسجاياه، وأحدهم السيد مهدي بن يوسف البغدادي مولداً وموطناً إلى جانبي. وهو ذكيّ فطن حاذق عارف بسائر الفنون

(١) جبل عامل في التاريخ، محمد تقي الفقيه، ط٢، بيروت دار الأضواء، سنة ١٩٦٨، ص٤٣٩.

والأحوال، فساقني الحديث معه إلى ذكر الفضل بن يحيى البرمكي والحسن بن سهل، وروى على لساني البيتين المشهورين:

تقول بنيّتي لما رأتني أشدُّ مطيّتي وأُقيم رحلي
أبعد الفضل ترتكب المطايا فقلت نعم إلى الحسن بن سهل[1]

فسألني السيد مهدي: أتقدر أن تحولها في علي بك! قلت نعم! وانشدتُ قائلاً:

تقول بنيّتي لما رأتني أشدُّ مطيّتي وأردت أسعد
أبعد الفضل ترتكب المطايا فقلت نعم إلى البك بن أسعد

تمّت هذه المحادثة وعلي بك مشغول بفصل القضايا وتصريف أمور الناس، ولكنه لم يفته التعليق فقال لنا: ان الأديب الذكي لا يستعير محاسن غيره، فوافقه الحاضرون، مما دفعني إلى نظم قصيدة طويلة مدحته بها ووصفت فيها موقفه من اسماعيل خير بك الذي خرج عن طاعة الدولة».

وكتب الشيخ إبراهيم صادق عن بعض ما يجري من مناكفات أدبية وشعرية في صالون علي بك الأسعد فقال:

«ومما حدثني به الحافظ الشيخ محمد حسين مروة المتوفي من عهد قريب ان علي بك الأسعد الشهير، دعاه يوماً مع رسول خاص ملحاً عليه بالإسراع. ولما تقدم إلى محل إقامته في تبنين، قال له علي بك عن بعد وقبل ان يصل ليقف أمامه: هل يقال إشْتَوَرَ

---

(١) راجع، اعيان الشيعة، م. س. مج ١٠ ص ٧٠.

(من الجذر شَوَرَ)، قال له الشيخ محمد حسين: نعم، وأخذ يسرد عليه من محفوظاته، الشعر الذي ورد شبه هذه اللفظة عن العرب، فسرّ علي بك الأسعد سروراً عظيماً، وأجازه جائزة سنية».

وسبب اهتمام علي بك بهذه اللفظة، هو انتقاد بعض أعضاء صالونه الأدبي واعتراضهم عليه لاستعماله هذا الفعل في قصيدته الهائية التي جاء فيها:

ألا بلّغي يا ريح عنّي تحية يعطر أرجاء الربوع عبيرها

ومنها حيث وردت اللفظة:

ألم تعلم الأقوام ان بني العلى
إذا اشتورت في الخطب أنّي مشيرها

وختامها:

ففينا بني الأعمام عزٌّ ومنعةٌ لعاملة إذاً ما مجير يجيرها

وقد طلب المعترضون من علي بك تغيير هذه اللفظة، فصعب عليه الإنتقاد، لثقته بحسن موضعها من البيت الشعري، فاستنجد بالشيخ محمد حسين، فأنجده وأكد حسن اختياره[1]

ومن الأوصاف والنعوت التي اختص بها علي بك الأسعد قول الشيخ عباس القرشي فيه:

زرت ابن أسعد فانهلّت أنامله
عليّ من جودها بالوابل الغدق

---

(١) راجع العرفان، المجلد السادس، سنة ١٩٢٠.

حـتـى انـصـرفـت بـلا إذن، ولا عـجـبٌ
إنّـي خـشـيـت عـلـى نـفـسـي مـن الـغـرق

تصوّر كيف أن الشاعر يهرب من كرم مضيفه وممدوحه خوفاً من الغرق في بحر جوده. لعلمي أنّه لم يسبق الشاعر القرشي على هذه الصورة الشعرية أي شاعر قبله من شعراء العروبة والإسلام.

وبعد وفاة علي بك الأسعد، وانتقال الزعامة إلى ولده شبيب باشا الأسعد، وبالرغم من أنه كان شاعراً من أهم شعراء تبنين وجبل عامل، لكنه لم يهتم بالشعراء ولم يقم له صالوناً أدبياً في قصور القلعة، كما ان خليل بك الأسعد، انتقل إلى الطيبة ونقل الزعامة العاملية إلى قصر الطيبة، لكن زعامة الأدب والشعر لم تخنبُ جذوتها في تبنين، بل نزلت من علياء بلاطات قصور القلعة، إلى مجالس وصالونات وجهاء تبنين وأعيانها، فكان منها أربعة صالونات أدبية وهي:

صالون الشيخ محمد بري الأدبي، وصالون السيد يوسف صالح وصالون الأستاذ نبيه بري وصالون الحاج سعيد آغا فواز، أو بالأحرى ملتقيات وجهاء وأعيان تبنين الأدبية.

ولم تتفرّد تبنين بالطاقات المبدعة من شعراء وأدباء وعلماء وزعماء في صنف الرجال فقط. بل كان لها السبق في صنف النساء. فكان من حظها ظهور الشاعرة والأديبة زينب فواز في أواخر القرن التاسع عشر، وأول القرن العشرين. ونحن لسنا بصدد الحديث عنها وعن نشاتها وأدبها وشعرها وكتبها، بل سنتحدث عن الشعراء والأدباء الذين مدحوها وقرّظوا كتبها وأدبها وشعرها، ويبقى الحديث

عنها وعن أدبها للكتاب المخصّص للحركة الأدبية والشعرية لأبناء تبنين أما هذا الكتاب فهو مخصّص للأدباء والشعراء من خارج تبنين، والذين كان لهم علاقة بزعمائها وأدبائها وشعرائها ووجهائها وأعيانها.

وعندما نشرت أديبة عصرها ووحيدة دهرها زينب فواز، كتابها الدر المنثور، مدحه الأديب المصري محمد زهران فقال عنه وعنها:

«من أمعن فكره، ونظر بنبراس عقله، علم جلياً أن من أهم ما يقتني، وأنفس ما يُدّخر، نشر المنافع العمومية، والسعي من أجل الخدمة الإنسانية، فإن بها يتحقّق معنى الإنسان، ويكون قد ارتقى أوج الكمال.

وكذا ينال الجزاء العظيم من كانت له المنافع المتعلّقة بالعلوم الأدبية، الموشّحة بالنبذ التاريخية، فإنّها تكون أجلّ وأسمى. ولما كانت الست المصونة، وربّة اليراع البارع، وصاحبة الذهن اللامع، نادرة العصر، وغرّة جبين الدهر، زينب فواز، وكتابها المسمّى بالدر المنثور في طبقات ربّات الخدور، فائقاً في هذا الباب، أحببت أن أشاركها في ذلك الفضل، فالتزمت بطبعه على نفقتي، قياماً بواجب الإنسانية، فإنّه وأيم الحقّ، كتاب جليل، قد اشتمل على حكم جليلة، ومزايا جزيلة، بها يُهتدى إلى الرشد، وتستنير سماء الحق. وفي ذلك يتنافس المتنافسون»[1].

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، زينب فواز، ط١، القاهرة، سنة ١٩١٣هـ. ص٣

والأديب زهران، لم يقدم على مساعدة زينب فواز في التزامه طبع الكتاب، لو لم يجد به منافع إنسانية ومميزات جعلت منه ومنها، ظاهرة فريدة ومتالقّة في سماء حالكة الظلمة.

أما صاحب جريدة النيل، حسن حسني الطويراني فقد قال عن الكتاب أنه «جميل المقصد، ظريف المبدأ والغاية، سديد المال، ثمين المضمون، عالي الأمل، مبرور العمل، جمع إلى رشاقة الأسلوب، لطف المفاد، وضم إلى حسن السياق والترتيب، جمال العبارة وكمال الترتيب.

وعن زينب فواز قال: البارعة الكاتبة الشهيرة، ربّة الفكر والقلم، اللذين طالما زيّنا الأوراق، وطارا بجناحي شهرتها الفاضلة في الأفاق. فنثني على هذه السيدة الثناء الجزيل، ونشكر مسعاها بكل لسان وشكر جميل، فلا برحت زينة العلم والأدب، ولا زالت مشكورة عند، كل من قال وكتب.

وخاطبها شعراً بقوله:

بدا درّها المنثور بالفضل زينب	فيا حبذا الدرُّ النثيرُ المرتَّبُ
جَلَت لعيون الفكر آثار حكمةٍ	عرائسها تزهى وبالفضل تخطب
حكى الفلك الأعلى فكلّ صحيفةٍ	به أفق فيها من الزهر موكب
حوى حسنات الدهر بين سطوره	وقدّمها ذاك اليراع المهذّب
فلا برحت للفضل بالفضل زينبٌ	تقول مقال الفاضلين وتكتب

وكيف لا نزهو ونفتخر بأديبتنا وابنة بلدتنا زينب فواز، عندما نجد الشعراء يخاطبونها ويضعونها مع الملوك والسلاطين في مصاف واحد. فالسلطان والملك ينثر العدل والأمن والأمان على رعيته وزينب فواز تنشر لواء العلم والأدب وبهما تفوق سلطان

مصر المحصورة سلطته في القطر المصري فقط، بينما زينب فواز «فذكرها في جميع الكون منثور».

وهذا الكلام قاله الأديب الشاعر عبد الله فريج، حين خاطب سلطان مصر الخديوي عباس باشا وساوى بينه وبين أديبتنا زينب فواز في قصيدة واحدة حيث قال:

الشرق لا تعجبوا إن عمّه النورُ
فالشرق بالنور منذ الدهر مشهور

لا سيّما في زمان ساده ملك
بالحلم والعلم والآدب مخبور

عباس باشا الذي عمّت مآثره
فالكل منها بفضل الله مغمور

به غدت مصر كالجنات يانعة
فراح يحسدها الولدان والحور

والعلم إذ خفقت أعلامه شرفاً
به انجلى عن ظلام الجهل ديجور

ألم تروا قاصرات الطرف كيف غدا
محض الثناء عليها وهو مقصور

أضحت تباري رجالاً في العلوم ولم
تته بعجب وذيل الفخر مجرور

وقد سمت بينهنّ اليوم غانيةٌ
وحظّها في بني الآداب موفور

أعني كريمة فوّاز التي برعت
بالفضل فينا ومنها السعي مشكور

لم ينكر الفضل منها في الورى أبداً
إلا حسودٌ حليفُ الغيِّ مغرور

وحسبنا تحفة منها قد اشتهرت
فذكرها في جميع الكون منشور

مؤلّف فيه بالسحر الحلال أتت
فكل ليث به في الناس مسحور

به نرى فاضلات الشرق من عرب
كلٌّ لها خبر في العلم مأثور

لها جزيل الثنا منّا عليه كما
لها من الله أجر فيه مأجور

أما الأديب والكاتب محمد الحسيني مصحّح الكتاب قال في خاتمة كتاب الدرّ المنثور يصف أديبتنا زينب فواز بقوله:

«إنها السيدة التي تشرّف بها بيت السيادة، والفاضلة التي بثّ اللطائف لها عادة. النجيبة الجهبذية، والذكيّة الألمعية، العالمة الشهيرة، والفائقة النحريرة. سيدة من اتسم بالكمال وامتاز. الست زينب فواز. أدام الله كمالها وبهجتها. وأطال في بيت المعارف حياتها ومدّتها.

وخاطب الشاعرة بقوله:

خود بدت للناظرين جسان — يصحو لضوء جبينها الوسنانُ
أم هذه دُرَرٌ نظمن بعسجد — بَهِجٌ تحار بحسنه الأذهان
سفرٌ حوى من كل لطف جمّه — تشفى بطيب حديثه الآذان
كنز تجمّع فيه كلُّ بديعة — ونفيسة تغلو لها الأثمان

بحر عميق ليس يدرك غوره | الدر يخرج منه والمرجان
نظمت فرائده بنان خبيرة | بالنظم يحكم صنعها العرفان

وعن زينب فواز يصفها بقوله:

فهّامةٌ نحريرة وذكيّة | شهدت بجودة ذهنها الأعيان

وعن آل فواز يقول:

الست زينب فرع دوحة سادة
شادوا العلا في الأكرمين وزانوا

أما الأديبة والكاتبة عائشة تيمور فقد طالبت الفحول بالسجود لزينب فواز كما سجدو لعزّة محبوبة الشاعر كثير فقالت تخاطبها:

سجدت لعزةٍ بالبطيح فحول | لما تحلّى جيدها المصقول

وعن الكتاب وصفته بقولها:

هذا هو الدرُّ الذي غوّاصه | بعزيز آيات الثنا مشمول
إذا ذاك من صَدَفٍ وهذا جوهرٌ | لفظته أذهانٌ ذكت وعقول
دُرٌّ كدريٍّ زهت أنواره | «يشهد» بها المعقول والمنقول

واتجهت نحو نساء عصرها تهنّئهنّ بزينب فواز وكتابها:

هنّوا ذوات الخدر بالفوز الذي | يعلو على سحب البها ويطول
ولقد علت طبقاتهن وزانها | بتفاخر بعد الخمول قبول
لله درّ طباق زينب أصبحت | بدراً له بين الأنام هلول
مذ أسفرت عن أهل جوهر عفّة | قد كان قبل سطورها مجهول
فعلى العفيفات الثناء لفضلها | ما جُددّت في العاملين فصول

وكتب عنها الأديب المصري أنور الجندي فقال:

«لقد قدم إلى مصر من الشام كثيرون، ومن بينهم فتاة صغيرة، ورفعت رأسها لتحمل أمانة الكلمة وتحاول ان تقولها: إنها زينب فواز، التي لم تنصرف إلى العروض كعائشة تيمور ووردة اليازجي، ولم تكن صاحبة صحيفة كهند نوفل واسكندرة افرينو ولبيبة هاشم، وإنما كانت كاتبة، بارعة الأسلوب قادرة على الأداء، على نحو يشهد لها بالتفوّق.

وكان جمال الدين الأفغاني قد أعلن صيحة الحريّة للمرأة... ومنذ ذلك الوقت بدأت كلمة الحرية تعلو، قبل أن يقولها قاسم أمين بسنوات، ومنذ عام ١٨٩٢، أخذت زينب فواز، تنشر رأيها في جرأة وحرية.

وفتحت لها صحف مصر والعالم العربي أبوابها: النيل، اللواء، رائد النيل، المؤيّد، الأهالي، أنيس الجليس، مجلة الفتاة، لسان الحال، جريدة الشام. وفي خلال سبعة عشر عاماً، كانت تكتب من بيتها، بجرأة وحيوية، لم تدع حدثاً ولا موقفاً يتصل بحرية المرأة ونهضتها، دون أن تبدي فيه الرأي المبني على الدراسة والرؤيّة. كان هدفها الدفاع عن «حقوق المرأة» ووجوب تعليمها، والنهي عن العوائد السيئة وحضّها على التقدّم واكتساب المعارف.

وينهي أنور الجندي مطالباً «أبناء صيدا وجبل عامل أن يتناولوا زينب فوّاز بدراسة علمية كبرى»[1].

أما الكاتب المصري حلمي النمنم، فقد قدّم لكتابه عن زينب فواز

---

(١) راجع: العرفان، المجلد٥، سنة١٩٦٤، أنور الجندي مقالة بعنوان زينب فواز، ص٥٥.

بقوله: «في صيف ١٩٩٠، كنت أقوم بالبحث في دار الكتب المصرية حول الكتابات التي صدرت عن المرأة قبل ظهور كتاب قاسم أمين - «تحرير المرأة» - وبينما كنت أراجع بحثاً للشيخ حمزة فتح الله عن حقوق المرأة في الإسلام، وجدته يشير في أحد الهوامش إلى مقال بجريدة المؤيد لكاتبة اسمها «زينب فواز» بعنوان «تقدم المرأة».

كان الإسم مفاجئاً لي، فلم أسمع ولم أقرأ عنه من قبل، وكان عنوان المقال غريباً ان تتحدّث فيه كاتبة عن تقدّم المرأة وتدعو إليه سنة ١٨٩٢م. وهكذا رحت أقلّب صفحات «المؤيد» لأجد المقالة تتلوها أخرى، ومن «المؤيد» إلى صحف معظم تلك الفترة، ولأكتشف أنني أمام اسم لامع، يعامل بتقدير، ويقدّم إلى القرّاء باحترام شديد، على صفحات تلك الصحف»[1].

واكتفينا بنقل ما كتبه الآخرون عن زينب فواز تاركين الحديث عن أدبها وشعرها للكتاب المخصّص لشعراء تبنين.

انفراط عقد الشعراء بعد انتقال الزعامة إلى الطيبة:

بعد المداخلة السابقة التي أثبتنا من خلالها أن هذه الكوكبة من الشعراء العامليين، الذين تجمّعوا حول زعيمي تبنين حمد البيك وعلي بك الأسعد، لم يعرفها التاريخ العربي والإسلامي من قبل، حتى في حلب أيام سيف الدولة، فشعراء سيف الدولة في حلب، لم يتجاوزوا عدد أصابع اليد، بينما شعراء البلاط التبنيني، إذا أحصيناهم، نجد أنهم

---

(١) حلمي النمنم، زينب فواز، الرائدة المجهولة، القاهرة، دار النهر، ط١، سنة١٩٩٨، ص٧.

تجاوزوا الثلاثين شاعراً، بل نستطيع أن نقول أن شعراء عاملة كلهم، يضاف إليه الشاعر العراقي البغدادي الشيخ حبيب الكاظمي، والشاعر الحلبي السوري عباس القرشي والشاعر الدمشقي سليمان الصولي، وربما اختلفت مستويات شعراء البلاط التبنيني، هم كلهم كانوا أعضاء في صالون حمد البك وعلي بك الأسعد. وهذا لا يعود إلى ضعف شعراء قصور تبنين، بل يعود إلى الحقبة والمرحلة التي تمثّلها كلتا المجموعتين، فشعراء سيف الدولة كانوا يمثلون حقبة العصر الذهبي للشعر العربي، وحقبة شعراء بلاط تبنين، مثّلوا مرحلة عصور الإنحطاط والتحجّر والتخلّف، ليس في الشعر فقط، بل حتى في كل مناحي ونواحي الحياة الإجتماعية والعقلية والفكرية في التاريخ العربي.

وبالرغم من هذا التخلّف والتحجّر الذي كان يلف العالم العربي والإسلامي، فقد أبدى الشعراء العامليون المتجمّعون في قصور تبنين إشارات وقبسات فكرية وشعرية، تدلّ على مدى رسوخ أقدامهم في الشعر، وأبدوا تقدّماً وتطوّراً يميّزهم عن معاصريهم من شعراء لبنان والشام والقطر المصري. فإذا قارنا بين شعر الشيخ ابراهيم يحيى والشيخ ابراهيم الحاريصي والشيخ ابراهيم الحر مع شعر الشيخ ناصيف اليازجي، وبالرغم من اعتبارهم من شعراء القرن الثامن عشر واليازجي من شعراء القرن التاسع عشر، فنجد ان شعرهم يمتاز بالسلاسة والليونة والحيوية والوضوح ويقارب شعر اليازجي في الشاعرية.

وهذه الحالة الفريدة اختصت بتبنين كموقع جغرافي وإنساني أكثر من اختصاصها بزعمائها من آل الأسعد. فبعد

انتقال خليل بك الأسعد من تبنين إلى الطيبة، انفرط عقد هؤلاء الشعراء ولم يعد يجمعهم جامع. ولم تعد تسمع بالمجالس الأدبية والشعرية في الطيبة. بينما استمرّت هذه المجالس والمنتديات في تبنين، ولكنها نزلت من علياء قصور قلعتها، إلى ساحات وبيوت وجهائها وأعيانها.

فبعد انتقال آل الأسعد نهائياً من تبنين إلى الطيبة والتامرية وصيدا والعاقبية والزرارية وعدلون، استمرّ وهج الأدب والشعر في تبنين، ولم يخبُ، وبدأ الشعراء العامليّون يجتمعون ويتجمّعون في تبنين في أربع نواد أدبية هي:

١ـ خيمة الشيخ محمد بري.

٢ـ منتدى السيد يوسف صالح الأدبي في بيته أو في منشر الدخان.

٣ـ فيللا الأستاذ نبيه بري.

٤ـ دكانة الحاج سعيد فواز.

عدا هذه النوادي الأدبية، التي كانت استمراراً للمنتدى الأدبي داخل قصور القلعة، ظهر من تبنين نفسها ومن أبنائها شعراء موهوبون أمثال الشيخ حسن بري والشيخ أحمد بري والشيخ محمد علي بري والشيخ يوسف بري وعلي أمين رستم وعلي حسن مقلد ومحمد حسن مقلد ومحمد يوسف مقلد ونمر دكروب والشيخ عبد الله بري والشيخ ابراهيم بري، وشاعرات مشهورات أمثال زينب فواز.

الشعر ينزل من بلاطات قصور القلعة إلى ديوانيات الوجهاء والأعيان:

بعد ذهاب آل الأسعد من تبنين وتركها، وانتقالهم إلى الطيبة والزرارية وصيدا والعاقبية، لم تنتقل معهم الصالونات والمنتديات الأدبية. كما ان عقد الشعر الذي كان يلف عنقهم لم ينفرط بل بقي في تبنين. ولكنه نزل من القلعة إلى صالونات ومنتديات الوجهاء والأعيان. ومن هذه المنتديات والصالونات: صالون الشيخ محمد بري الأدبي وكان يقيمه في خيمة التين التي أقام مكانها حفيده المحامي نبيه بري سنة ١٩٥٦ ـ فيلا مشهورة في تبنين -.

صالون السيد يوسف صالح الأدبي: وكان يقيمه تارة في الحديقة وطوراً في ديوانه في المنزل وصالون الحاج سعيد فواز، الذي كان ديوانية أكثر منه صالون أدبي، وصالون الأستاذ نبيه بري الأدبي وهو آخر صالون أو ملتقى أدبي عرفته تبنين، ولم يقم بعده أي صالون أو ملتقى أدبي. بسبب هجوم الإذاعات والتلفزيونات وتقنيات الإعلام المرئي والمسموع على مجتمع القرية، وحلولها محل اللقاءات والسهرات والندوات الأدبية.

صالون الشيخ محمد بري الأدبي:

ولد الشيخ محمد بري وترعرع في تبنين، وكان فقيهاً عالماً متبحرّاً في علوم الفقه والدين والأدب والشعر والنحو. وكان مثله مثل أي عالم أو شاعر، يعتاش من وراء الزراعة والإنتاج الزراعي التي لم يكن من دخل للفلاح والإنسان العاملي إلا عبره. وكان الفلاح يزرع كل ما يحتاجه من قوت يومي ولا يشتري بما يفيض لديه من إنتاج سوى

الكاز والسكر والرز. أمّا بقية احتياجاته فكان ينتجها بنفسه من أرضه وزرعه وضرعه. وكان الإنتاج الصيفي من تين وعنب يعتبر الإنتاج الرئيسي في حياة الفلاح إضافة إلى زراعة شتلة التبغ. فكان يقيم خيمة من القش أو القصب في كرمه. يقيم فيها صيفاً يحرس ويراعي إنتاجه من تبغ وعنب وتين. وكانت خيمة كل مزارع ترفع وتشاد حسب صاحبها، وكل ما كانت كبيرة، ونظيفة ومرتبة كلّ ما كانت تدلّ على عز وجاه صاحبها. وكانت خيمة الشيخ محمد بري أكبر هذه الخيم، مغطّاة بأغصان الرند (الغوردل) التي كانت تعطي رائحة جميلة تزيد الجلسة الشاعرية جمالاً فوق جمال. وكانت الخيمة من الداخل محاطة بركائز مطلية بالطين الأبيض. «وكانت تتميّز خيمة الشيخ محمد بري عن غيرها من الخيم، ليس لكبر حجمها فقط بل لأنّه زرع حولها دوالي العنب، وأسند أغصان هذه الدوالي على أعمدة من خشب وشبكها بعضها إلى بعض، بعد أن ربط الأعمدة بمرس الكتان. وأصبحت الخيمة مغطاة بالدوالي من جميع الجهات باستثناء المدخل. وعندما تنضج عناقيد العنب، تتدّلى من سقف الخيمة كثريات الذهب. وبالنسبة للركائز. كان الشيخ محمد يضع عليها مفارش رقيقة تعرف لدى العامة بالطراريح ويوضع فوق هذه المفارش مساند»[١].

وتقع هذه الخيمة في الناحية الشمالية من بلدة تبنين، خلف القلعة في موقع مطل على خلة حرجية تعرف بخلة آل البري، أغلب أشجارها من السنديان والملول والبطم. وموقعها بحد ذاته آخّاذ

---

(١) محمد عطا الله دكروب ـ مخطوط بعنوان تبنين: صور ومشاهد. ص٢.

ومشرف من الناحيتين الشمالية والشرقية إلى اللانهاية في نظرة الرائي.

والشيخ محمد صاحب الخيمة، ليس وحده الذي كان يحمل لقب شيخ، فهذا اللقب هو من الألقاب الموروثة من العهود الإقطاعية كالبيك والباشا والأفندي. وكان لقب الشيخ قبل هذه الألقاب هو اللقب الأعلى والأفخم، فزعيم تبنين الأوحد ناصيف النصار، كان يطلق عليه لقب الشيخ ناصيف، و«الأستاذ نبيه بري كان يطلق عليه لقب الشيخ نبيه، لإنه ورث هذا اللقب عن آبائه وأجداده وكل آل البري يطلق عليهم هذا اللقب «فكلمة شيخ تطلق على السواد الأعظم من آل البري سواء كان أحدهم يعتمر العمامة أو لا يعتمرها، باستثناء الرئيس نبيه بري، الذي اختار الزعامة السياسية والأدبية على الزعامة الدينية، رغم أن والده كان يعرف بالشيخ مصطفى بري»[١].

ووصف الشيخ حسين جميل بري إحدى هذه الندوات واللقاءات التي كانت تعقد في الخيمة ومن هم عناصرها وأعضاؤها فقال: كنت شاباً يافعاً، ومررت بالقرب من خيمة جدي الشيخ محمد، فوجدت ابن عمي الشيخ جعفر أحمد بري خارجاً منها وبيده ورقة، فسألته عنها: فقال لي: إن الشيخ محمد نجيب مروة أتى إلى الخيمة باكراً قبل الثانية بعد الظهر وأعطاه ورقة كتب فيها هذين البيتين من الشعر:

خليليّ إن الشاي طابت كؤوسه

وفي الحيّ أضحى مجلس الأنس عامرا

---

(١) م. س. ص٤.

هـلّـمـوا إلـيـنـا قـد تـروا مـا يـسـرُكـم
قِرى الضيف والشيخ النجيب محاضرا

ولم يرو لنا الشيخ حسين إذا كان هذان البيتان من نظم جدّه الشيخ محمد بري أو من نظم الشيخ محمد نجيب مروة. وقال له أن جدّه طلب منه أن يأخذ هذه الرقعة، ويمرّ بها على كلّ من ملحم أمين رستم وحاكم محكمة تبنين الصلحية، القاضي محمد الكنفاني وبيت خليل حراجلي حيث يقطن أبو نواف، فائز غندور وهو أحد موظفي المحكمة. وإلى بيت الحاج يوسف عجمي حيث كان يقطن المحامي حسين الدادة، ثم إلى بيت عبد الحميد الصباغ (بيت المرحوم حسين حراجلي)، حيث كان يقطن كامل الزين (كاتب المحكمة)، ثم إلى بيت محمود عجمي حيث كان يقطن المباشر في المحكمة عبد الحسين العبد الله. ثم إلى بيت الكاتب محمد جلّول. ويروي الشيخ حسين عن لسان الشيخ جعفر، أنّه أخذ هذه الورقة متذمّراً وهو ويقول: كأنّ الشيخ محمد نجيب يريد أن يجمع هيئة المحكمة في خيمة جدّه وفي هذا الوقت بالذات.

وكان من رواد هذه الصالون الأدبي، الأستاذ مصطفى فران وأخوه القاضي علي فران، وكلاهما شاعران ينظمان الشعر، ولكل منهما ديوانه المخطوط وكذلك حفيدا الشيخ محمد، الشاعران الشقيقان، الشيخ عبد الله بري والشيخ ابراهيم بري.

وقد ذاع خبر هذا الصالون الأدبي أو الخيمة في المنطقة والجوار، وبدأ يقصدها الشعراء والأدباء والعلماء والمثقفون وقد عرف منهم رشيد نخلة قائم مقام صور، محمد علي الحوماني، الشيخ علي

مهدي شمس الدين، محمد نجيب شمس الدين، محمد نجيب مروة، السيد حسن محمود الأمين، وإضافة إلى شعراء تبنين من آل بري وفران ومقلد ورستم ودكروب وشعراء بلدة السلطانية الحاج حسين قصفة والحاج ابراهيم قصفة والسيد حسن فخر الدين والسيد حسين فخر الدين، القاضي محمد الكنفاني والأستاذ مبدّى الخوري وسرحان سرحان وحسن عواضة، وعبد المطلب مرتضى. والسيد كاظم الامين والسيد محمد صفي الدين، والأستاذ علي بزي، والشيخ علي صالح من بلدة ياطر.

وروى الشاعر الأستاذ مصطفى فران إحدى القفشات الأدبية التي كانت تتمّ في هذا الصالون الأدبي فقال:

«كنا أول عهدنا بالدراسة والتعلّق بالشعر والأدب، وكانت تشدّنا خيمة الشيخ محمد وشعراؤها فكنت انا واخي القاضي علي فران، والشيخ ابراهيم بري والشيخ عبد الله بري، طلاباً، نسبق الجميع إلى الخيمة، وبينما كنا نحن الأربعة موجودون داخل الخيمة، وإذا برجل ذي هيبة ينزل عن فرسه ويربطها ويدخل الخيمة، فيلقي التحية، والتفت إلينا، وبنبرة قوية قال: عرّفوا عن أنفسكم. فقال له الشيخ عبد الله بري الآية الكريمة: ﴿**إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّا**﴾. أي أنه شبّه نفسه بعيسى بن مريم عليه السلام. فهز الرجل رأسه. والتفت إلى الشيخ ابراهيم وقال له وأنت: فأجابه الشيخ ابراهيم: أما أنا فإبراهيم الخليل، فقال القادم طيّب: والتفت إلى الأستاذ مصطفى فران وكان أصغرهم، وقال له وأنت فأجابه الأستاذ مصطفى، أما أنا فالنبي المصطفى، ثم التفت إلى أخيه الأستاذ علي وقال له وأنت

فأجابه الأستاذ علي فران، أما أنا فعليّ بن أبي طالب. عندها التفت صاحب الفرس إلينا وقال أما أنا فربكم الأعلى. وضحك وضحكنا كلنا. ثم عرّفنا عن أنفسنا وعرّف عن نفسه فإذا هو الشيخ نجيب شمس الدين من بلدة مجدل سلم. جاء مبكراً ليجد له متكئاً أو فسحة في هذا اللقاء الأدبي الشيِّق.

ولم يكن الصالون الأدبي، للأدب فقط، بل كان اللقاء يناقش أمور الأدب والشعر والسياسة والدين والفقه وشؤون القضاء المدني والشرعي الديني.

وبعد وفاة الشيخ محمد بري، انتقل الكرم الذي كانت تنصب فيه الخيمة عن طريق الإرث لوالد الأستاذ نبيه بري. المرحوم الحاج مصطفى بري وكان الأستاذ نبيه بري يسمع بأخبار هذه الخيمة أو قل هذا الصالون الأدبي وهو الذي نشأ شاعراً وأديباً، وبين الشعراء والأدباء، فقرّر أن يبني مكانها ڤيللا تضم صالوناً أدبياً كبيراً. وكان طموح نبيه بري الشعري والأدبي يوازي حجم طموحه السياسي. فأقام مكان هذه الخيمة ڤيللا كبيرة، وأقام فيها صالوناً أدبياً مشهوراً. وهو لم يكن له من العمر عشرون سنة. ولنا عودة لصالون الأستاذ نبيه بري الأدبي.

وقد وصف الشاعر محمد يوسف مقلد هذه الخيمة ووصف تبنين وصيف تبنين فقال: «إنها ملهمتي أغلى وأحلى خواطر الصيف في الصبا والكبر... إنّها «مسقط» شعوري ومهبط شعري الأول... وليلها، آه من ليلها! كم له على روحي من أياد غرّاء...

أنا حتى اليوم وسأبقى ما حييت، أعيش بروحية أماكن

«تمشاية» الصيف في تبنين: دورة المستشفى، ودورة الحصن (الكنيسة)، والقلعة، وطريق العين، وصدّيق، وسطيحة الشيخ علي بري وخيمة الشيخ محمد. ثم يصف هذه الأماكن بقوله:[1].

محاريب حسن، كن إذ كنت عابداً
تمنيت لا صلّى بها عاشق بعدي

ليال لها تيك المآنس مُثُّلٌ
لعيني وقلبي جمعك النّد للنّد

أحسّ لها في أجمع النفس رعدة
كأنيَّ منها للِّقاء على وعد

نجوم رجاء يعلم الليل أنّها
سميري وأطيافي على القرب والبعد

لقد ألعجت ذكراك حبّي وقرّبت
فمي في ربى «صدّيق» من وردة الخدِّ

ويصف ليلة من ليالي كرم الشيخ محمد بري فيقول:

أيا ليل الكروم وما أحيلى
لديك العيش يا ليل الكروم

دُجاك يضمنّا ولنا حديث
لرقّته يطير مع النسيم

وفي وصف الخيمة يقول:

خيام للحسان الغرّ حولي
تطالع كل ذي وجه وسيم

نفت عنّي الهموم فلست أدري
خيام التين أم غرف النعيم

سكون الليل للشعراء وحيٌ
تنزّل من سماوات النجوم

---

(١) العرفان، المجلد ٤٦، سنة ١٩٦١، ص١١٤.

سلاماً يا ليالي التين إني مُناي بأن أدوم وأن تدومي

وعندما قام الأستاذ نبيه بري بإزالة الخيمة لإقامة فيللا مكانها تأسيساً لمشروع صالونه الأدبي، لم يمهله الشاعر محمد يوسف مقلد، فرثى الخيمة بقوله:

ولكن هيهات... فالأيام تغيّرت، ومواسم التين بارت، وكرومه يبست، وخيامه اندثرت، وماضي الصبا ولّى، ويرثيها شعراً فيقول:

أماكننا في «خيمة الكرم» بعدنا
معطّلة خرساء مجدبة قفرا
وتلك الدوالي عُرِّيت بعد بيننا
وكانت بنا أيام تبنين لا تعرى
سلوا التين.. هل إلا، بنا كان زاهياً
وهل كان لولانا مرابعه خضرا
ليالٍ لنا غرٌّ، إذا هي عاودت
رفعنا له أعلام أفراحنا شكرا

ويقول أن اسم هذه الخيمة، «هو اسم علم لخيمة كانت مشهورة في حارة آل بري، منذ ٢٥ سنة وقامت مكانها اليوم، فيللا جميلة لنبيه بري»[١].

وقد علمت من بعض المعمرّين في تبنين ومن أقارب الأستاذ نبيه بري الذين رافقوا والده يوم عاد من أفريقيا انه حاول إجباره على ترك المحاماة والعمل بتجارة الألماس وأنه فتح له محلاً مستقلاً عنه،

---

(١) راجع المصدر السابق، ص٧.

يحقق له ربحاً يومياً لا يقل عن عشرة آلاف ليرة سترلينية. لكنه رفض كلّ هذه الإغراءات وعاد إلى لبنان، وكان والده الحاج مصطفى يردّد دائماً: «ترك الالماس والملايين ليلحق عبد الحسين عبد الله وموسى الزين شرارة وأعمامه. وهكذا عاد الأستاذ نبيه سنة ١٩٥٥ وهدم الخيمة وأقام فيها فيللته المشهورة تأسيساً لمشروع صالونه الأدبي في الفيللا نفسها والتي ما زالت قائمة حتى الآن، وهو دون العشرين من عمره.

صالون السيد يوسف مصطفى صالح الأدبي:

ولد السيد يوسف مصطفى في بيت علم وأدب ووجاهة ونسب، فوالده السيد مصطفى عدّه السيد محسن الأمين من وجهاء المنطقة وكذلك ذكره الشيخ إبراهيم سليمان في كتابه «بلدان جبل عامل». وعندما توفي والده، قام بأعباء زعامة العائلة الهاشمية الكبيرة المنتشرة بطونها وأفخاذها في تبنين والسلطانية وبيت ياحون وكان ديوانه في تبنين عبارة عن محكمة صلح نهاراً وصالوناً أدبياً مساءً. فكان غالبية أبناء المنطقة يحتكمون إليه في قضاياهم وخلافاتهم. وكانت أحكامه سارية على الجميع نقضاً وإبراماً. وكان السيد يوسف قد تراس بلدية تبنين لفترة. وكان يعتاش مثله مثل أي فلاح من الأرض والفلاحة، إضافة إلى ما يصله من أولاده في المهجر الأمريكي من أموال.

وكان كريماً كرماً منقطع النظير، وخاصة ان زوجته كانت من بيت زعامة وكرم وهي بنت الحاج محمود آغا فوان. لم يكن السيد يوسف شاعراً، بل كان متذوّقاً للشعر ومشجّعاً له وللشعراء، وكان

يدير المعارك الشعرية في منطقة تبنين وقراها. وسوف نورد إحدى هذه المعارك برواية الشاعر محمد يوسف مقلد، لاحقاً.

وكان السيد يوسف يعقد صالونه الأدبي عصراً في خيمته التي كان ينصبها في منشر الدخان في جنينة آل الحراجلي، ومساءً في ديوانه في البيت، وقد وصف هذا الصالون أديبان مشاركان فيه، مدير مكتب بريد تبنين، الأديب محمد عطا الله دكروب، والشاعر محمد يوسف مقلد.

كتب محمد عطا الله دكروب يصف خيمة السيد يوسف صالح في المنشر فقال: كانت خيمة السيد يوسف مصطفى صالح بذات شكل خيمة الشيخ محمد بري، إلا أنه أضاف أمامها فسحة مستديرة تعرف بالمرح أو ما يُسمّى بالمصطبة المطليّة بالتراب الأبيض. وأحاط هذه الفسحة بأغصان أشجار الرند (الغوردل). وكان يضع عليها الكراسي بشكل مستدير باستثناء مقعد السيد يوسف . الذي كان يجلس على وسادة وأمامه السماور، يعلوه إبريق الشاي الذي يتصاعد البخار من جوفه. وبالقرب من الخيمة كان منشر الدخان (التبغ)، وهو مصدر الرزق له ولمعظم المزارعين في تلك الحقبة الزمنية قبل وبعد الحرب العالمية الثانية.

وكان يجتمع في هذا المنشر عصراً، وجهاء البلدة وموظفو المحكمة الصلحية . هكذا كانت تسمّى . وأساتذة المدرسة الرسمية، ورئيس مكتب البريد. وأحياناً بعض وجهاء وشعراء المنطقة، من عالم دين إلى شاعر ناهض، إلى صاحب مشكلة أو قضية، يغتنم وجود حاكم الصلح، فيتمنّى على السيد يوسف حلّ مشكلته حبيّاً عن طريقه،

دون الوقوف أمام القضاء في المحكمة. وكثيراً ما كانت تحل هذه المشاكل في هذا المنشر أو هذه الخيمة، نظراً لمكانة السيد يوسف الإجتماعية. ويبدأ التوافد إلى هذه الخيمة عند الأصيل، أو أبكر بقليل. فيجلس الحضور على الكراسي المصفوفة على المصطبة بشكل مستدير، ابتداءً بحاكم الصلح (القاضي المدني). ويجلس السيد يوسف مصطفى على وسادة، وأمامه السماور وكؤوس الشاي مصفوفة على صينية واسعة، ويعلو السماور إبريق الشاي والنار تستعر في وسطه والماء يغلي ويصدر حنيناً مألوفاً طالما اشتقنا إليه.

وقد تلاشت هذه الأمسيات وأصبحت شبه مندثرة بسبب هجوم تكنولوجيا الأعلام والشاشات المرئية والمسموعة عليها[١].

وتدار كؤوس الشاي دون استثناء. ويتذاكر الجميع، من أديب وشاعر وسياسي وقاضي في جميع مستجدات الأمور، وكان الأدب والشعر يطغيان على الجلسة. وكان المجلس ينفضّ عند آذان المغرب، كانوا يتذاكرون الأشعار ويقرأ بعضهم من نظمه والبعض الآخر وخاصة أصحاب الصوت الشجيّ يقرأ القصيدة كاملة بصوت غنائي شجّي عذب وخاصة المرحوم الحاج عطا الله دكروب. فقد كان أنيس كل أديب وجليس كل شاعر.

وقال الشاعر محمد يوسف مقلد يصف سماور السيد يوسف صالح:

بخار من فم القوري تعالى	شممنا منه رائحة البخور
يدّر الشاي للساقي طروباً	ويعزي الشحّ للضرع الدرور

(١) راجع المقالة السابقة ص٧.

له رأس يُحَرُّ على وطيس لَدُنْ يغلي و«أست» في السعير
وسجعٌ إذ يعربد أو يغنِّي مُقفًّى مثل تصعيد الزفير

ويتجه نحو السيد يوسف مخاطباً:

زعيم الشاي أصبب لي بكاسي لنربا بالزعيم وبالوزير
ألم ترني ألاحظها بطرف إذا دارت يدور مع المدير
شربناها على مكث عقيقاً بفسحة بيدر أو قرب بير
لها معنى لها شرفٌ كبيرٌ وليست مثل ذا عند الغفير
زعيم الشاي هل ألقيت رو ح الحميّا الرجس بالشرب الطهور
عليك مع السماور بعض أُنسٍ وباقي الأنس من دين الأجير

ووصف محمد مقلد منشر السيد يوسف الذي كان يعلّق به كبوش الدخان ويعقد في خيمته الندوات واللقاءات الأدبية والتي كان محمد يوسف يواظب على حضورها دون انقطاع فقال:

فاذكر «المنشر» تُكْرِمُ خاطري والذي غطّاه ليلاً «وكمر»[1]
إذكر المنشر مع سمّاره والذي قام عليه وسهرْ
إذكر المنشر والصيف الذي طمر المنشر أنساً وغمر
والقناديل حواليه كمن طاف وبالبيت العتيق اعتمر
المشاكيك مسجّاةٌ على ذات ألواح طوال ودُسر[2]

(١) كان السيد يوسف يغطي خيطان الدخان و«يكمرها» بأكياس الخيش بعد انتهاء الندوة لكي لا تلقط الندى لإنه يضرّ بها.

(٢) المشاكيك جمع مشكاك وهو الخيط الذي تشك به أوراق التبغ فهو يعلق بين خشبتين مرتفعتين على الأرض، وتثبت به المسامير لربط الخيط أو المشكاك بها تسريعاً لتجفيفها بعد اخضرار. والدسر: المسامير.

وهــنــا دالــيــة مــمــدودة | والــعــنــاقــيــد ثــريــات ودر
لذْن في أحضانها في عبّها | لا طيات خشية الجاني الأشر
وهنا صُفّت كراسي وهنا | فرشت طرّاحة فوق حُصُرْ
وهنا كاسات شاي طبطبت | فوق صينية نيكل مُعتبر
وهنا في منظر سماور | جاد للساقي بماء منهمر
بطنه تغلي وينبوعته | مثل ضرع الشاة للكأس تدر
ذو حسيس وهسيس مطرب | رأسه فوه بنار يستعر
وزرابيّ هنا مبثوثةٌ | وأباريق عليها الماء زرّ
وقوارير على بلّورها | يعكس النور إلى العين الصور
وجرار كالخوابي طفحت | سلسبيلاً راسيات لم تَشِر
وجفان كالجوابي ملئت | رطباً من كل أصناف الثمر

أما صالون السيد يوسف صالح الأدبي الذي كان ينعقد ليلاً في ديوانه داخل المنزل ليلاً، فقد وصفه الأديب محمد عطا الله دكروب والشاعر محمد يوسف مقلد. فقال محمد دكروب في وصفه مبتدءاً من الخارج: بيت السيد يوسف مصطفى صالح، وهو بيت من بناء قديم، في مدخله اسطبل تربط به الحيوانات، وتصعد بدرج صغير إلى أرض البيت حيث فرشت هذه الأرض بالطراريح، وخاصة قرب الموقد المعروف بالداخون. وإلى جانب الطراريح جلود الغنم. وفي بقية جوانب الديوان، وضعت كراسي الخيزران، وبعض كراسي القش الصغيرة. وكان السيد يوسف سمحاً كريماً محبّاً للناس. وكان يجد متعة في جلسته والتفاف الشعراء والأدباء حوله. وكان المجلس يومياً يغص بالحضور وتمتليء الكراسي. وتبدأ السهرة بذكر الأدب والأدباء والشعر والشعراء، وكل يذكر ما عنده وما سمعه وما حفظه. وكان من

أركان هذا الصالون الأدبي: - أبو فؤاد يوسف برهوم الحداد، - الأستاذ سعيد فواز، - النائب محمد علي غطيمي، - الشاعر عبد الحسين عبد الله، - الشيخ علي مهدي شمس الدين، - السيد كاظم الأمين، - الأستاذ مبدّى الخوري[1] مدير مدرسة تبنين الرسمية، - الشاعر موسى الزين شرارة، - الشاعر الزجلي يوسف مطر، والشعراء محمد يوسف مقلد وعلي حسن مقلد ومحمد حسن مقلد وشعراء بلدة السلطانية الحاج حسين قصفة وولده علي، وابراهيم قصفة، والسيد حسن فخر الدين والسيد حسين فخر الدين،والسيد يوسف فخر الدين، والأستاذ علي فران والأستاذ مصطفى فران،

---

(١) يروي أهل تبنين عن الأستاذ مبدّى الخوري وهو جنوبي عاملي من قرية دردغيا، انه كان من أهم مشاركي اللقاءات الادبية في تبنين. إن كانت تتم في خيمة الشيخ محمد بري أم في ديوان السيد يوسف صالح أم في دكانة الحاج سعيد فواز أم في صالون محمد علي غطيمي. وقد روي عنه أنه عندما شرح لطلبته أبناء تبنين درس الجغرافيا وشبّه فيه الأرض بالبرتقالة وأنها تدور حول نفسها، قام أحد هؤلاء الطلاب وهو شفّوق الحداد ونقل مضمون الدرس لوالده «أبو شفّوق» فما كان من أبو شفّوق إلا أن قصد المدرسة وهي كانت في غرف الجامع الحالي وصرخ له من الخارج وهو راكباً حماره: يا مبدّى يا مبدّى!! كيف بتضحك على شفوّق وبتقول له ان الأرض كروية مثل البرتقالة. فأنا منذ ولدت أنظر جنوباً واجد برعشيت امامي، فلو كانت الأرض كروية وتدور حول نفسها كما تقول، لكانت انتقلت برعشيت من مكانها وأصبحت لجهة حاريص أو اليهودية (السلطانية) أو صفد فأجابه الاستاذ مبدّى ضاحكاً: يا ابو شفوّق انت الآن راكب على الحمار، اليس كذلك، فأجابه أبو شفوّق نعم. فقال له: اين يتجه وجهك وانت تركبه، نحو رأسه أم نحو قفاه، فأجابه أبو شفوّق، اكيد نحو رأسه. فقال له الاستاذ مبدّى: يا أبو شفوق: إذا فتلت وأنت راكب الحمار هل يتغير اتجاه وجهك عن اتجاه راس الحمار، فأجابه أبو شفوّق بالطبع لا. فضحك الاستاذ مبدّى وقال له: وكذلك يا أبو شفوّق الارض عندما تدور فيك في تبنين تدور معها برعشيت ولذلك تبقى تبنين وبرعشيت دائماً بنفس الإتجاه. فاقتنع ابو شفوّق الحداد بوجهة نظر الاستاذ مبدّى الخوري وانه يعلم ولده صحّ ولا يغشه ونهر حماره متجهاً نحو الكنيسة.

والأستاذ حسين الحاج سعيد فواز . أبو شوقي . وانيس المجالس الشاعر محمد نجيب مروة.

وكذلك قام محمد يوسف مقلد بكتابة مقالة عن صالون السيد يوسف صالح الأدبي أو «منشر السيد يوسف» في مجلة العرفان العاملية فقال:[١]

«أذكر من ذلك الماضي القريب منشر المرحوم السيد يوسف صالح في تبنين، يوم كان يتحلّق حول «سماوره» الكريم، الأدباء والوجهاء من تبنين وبنت جبيل وعيثا وغيرها، فيرتفع مستوى السرور والفكاهة إلى الأدب، وتفتعل المعارك الشعرية بالمفاضلة التقليدية بين البلدتين المتناهضتين: تبنين وبنت جبيل ولكن تبنين كانت مفتقرة في ذلك الحين إلى شاعر منها يتغنّى بها ويفضّلها على منافستها الدائمة بنت جبيل الغنيّة بالشعراء... فكان السيد يوسف يستنجد بالمرحوم الشيخ علي مهدي شمس الدين كلما دعا الداعي، ليردّ على «الهجمات» الجنوبية... ولكن تبنين بفضل المرحوم السيد يوسف صالح، استطاعت ان تتبنّى شاعراً كبيراً هو عبد الحسين عبد الله، كلما انتقلت المحكمة إليها، فيرد على القائلين ان بنت جبيل «أفضل» من تبنين. ففي إحدى المرات جاءنا المرحوم السيد عبد المطلب جواد مرتضى من عيثا، ونظم قصيدة هاجم بها تبنين، ويميناً لو أحفظها أو أجدها لنشرتها[٢]. فتصدى له المرحوم

---

(١) العرفان، المجلد ٤٨، سنة ١٩٦٠، ص٧٨٠.

(٢) القصيدة موجودة كاملة في الصفحة ١١٩ من هذا الكتاب.

بقصيدة مطلعها:

خليليَّ ما هذي اللغى والمساخر   أعندكما يوماً لها الدهر عاثر

وفي مقال آخر بعنوان «يوشع وأفراحنا القديمة» وصف محمد يوسف مقلد ديوان السيد يوسف وصالونه الأدبي داخل دارته في تبنين، ـ سوف نثبتها كاملة ـ وعاد وأشار في نهايتها إلى المعركة الشعرية التي أججّ نارها السيد يوسف صالح بين السيد عبد المطلب مرتضى والشيخ علي مهدي شمس الدين فقال:

وفي «زوايا الذاكرة لتلك الأيام القديمة الحلوة، أبيات من قصيدة غائية للمرحوم الشيخ علي مهدي شمس الدين، أخذ جائزتها من المرحوم السيد يوسف مصطفى صالح، وجيه تبنين الأول، يومئذٍ، أخذ جائزتها ثلاثة أمداد عدس ومدّين خمص وديكين ونعارة عسل،....

يومها انتصر الشيخ عليّ مهدي لبلدتنا تبنين في حملة أدبية شنّها عليها السيد عبد المطلب جواد العيتاوي، والشاعر موسى الزين شرارة، نكاية بالشاعر عبد الحسين عبد الله، الذي فضّل تبنين على بنت جبيل. واشتهر ان عبد الحسين عبد الله كان مغرضاً في تفضيله، لأنّه كان يحب في تبنين ثلاثة أشياء: منشر السيد يوسف صالح، وسدّة سعيد فواز، وفتاة حسناء كانت مصدر إلهامه اسمها سعدى»[1].

(١) العرفان، المجلد ٤٣، سنة ١٩٥٦، مقالة بعنوان: يوشع وأفراحنا القديمة، محمد يوسف مقلد، ص١٠٥٤.

ويقول الشاعر الحاج، حسين قصفة ان الشاعر علي حسن مقلد، عندما علم بضخامة الجائزة التي قدمها السيد يوسف صالح للشيخ علي مهدي شمس الدين عاتب السيد يوسف صالح بقصيدة شعرية يطالب فيها بحصته من العسل قائلاً:

يا ساكن الحي هل في حيّكم رجلٌ
أمسى طبيباً يداوي من به عِللُ

إني لمحتار من دهر يرافقني
كيف السبيل وقد ضاقت بي الحيل

قد كان عندي نحلٌ أنت تعلمه
والدهر هذا عليهم، جار فارتحلوا

لم يبق لي من رجاء في شفا مرض
إلا إذا كان في أبياتكم عسل

أأرسل الصحن أم أبقى على مضضٍ
وأنت في معشر جادوا وما بخلوا

ووصلت القصيدة ألى السيد يوسف صالح ولأنه كان ذواقّة للشعر وليس شاعراً، كلّف الحاج حسين قصفة بأن يجيبه فأجابه الحاج حسين بقوله:

من كان يُهدى «بجنطاس» له عسل
بالنظم سهل عليه المدح والغزل

من رام ينظم شعراً يستفاد به
إلا وطوعاً لديه جاء ممتثل

إن الصنيعة ما لم تُجْدِ صانعها
بالنفع مثل سحاب ما له بلل

لـو كـان يـهـدى لـمـن أهـدى لـه عـسـلاً

مـمـا يـصـيـد لـفـاض الـدبـس والـعـسـل[١]

وعن السيد يوسف صالح وصالونه الأدبي الليلي الذي كان ينعقد في ديوانه داخل دارته مساء كل يوم، كتب محمد يوسف مقلد في مجلة العرفان وفي نفس المقالة، يصف السيد يوسف ويصف إحدى اللقاءات الأدبية فقال:

وبعد، هل أتاك حديث البيت العاملي، البيت العربي؟ إسمعني إذن، أنقل لك صورة هذا البيت، وبالأحرى صورة ذلك الزمن وحياته وناسه...

البيت العربي العاملي، يتمثّل غالباً عندنا بكل صفاته في بيت شيخ البلد، أو شيخ القرية، وقد لا يكون هذا الشيخ مختاراً ولا رئيس بلدية، ولا عضواً في البلدية... وإنما له صفةُ «المشيخة» لإن مقومات الوجاهة والزعامة مجتمعة فيه.

كان في بلدتي رجلٌ اجتمعت له هذه المقومات، كما اجتمعت لبيته كل أوصاف البيت العربي العاملي.

أصفه لك، وكانيّ أتخيّله عند ظنّك. والحقيقة إني لا أتخيّله. فهو إنسان حقيقي، كان شيخ بلدتنا بالفعل. إنه رجل رزين، وقور، مضياف، عصامي، حاد الذكاء، كثير الدهاء، أناني عند اللزوم ومتواضع عند اللزوم، يحبُّ الوجاهة وقد اشتهر بها. وأشهد أنه يستحقّها، لإنه يسلك فيها الوجاهة الفاضلة الجديرة بالإحترام، لا

(١) ديوان الشاعر حسين قصفة، مخطوط، ص١٨٠.

الوجاهة الشريرة التي تقوم عند بعضهم على الكيد والدسّ والإجرام!

كان شيخ بلدتنا، عندما عاصرته في حياتي، في الخمسين أو قطعها بقليل، ولكنّه كان محتفظاً بقوة الشباب البدنية وصبوة الشباب الروحية.

كان إذا مشى وفي يده العصا المعقوفة الرأس، وبين إصبعيه السيكارة، يدخّنها وينفخ دخانها في الفضاء باعتزاز مسموع: «أُف...» الطويلة . تحسبه سليل الزعامات العثمانية البائدة ووارث جبروتها.

كان بنفخة «أُف» هذه يرسل سحباً كثيفة من الدخان، حتى لتعرف ولو لم تره أو تسمع صوته، أن هذا الدخان المتصاعد هو من سيكارة «شيخ البلدة».

ولكنك إذا عاشرته وبلوت نفسه، يزول من ظنّك صورة تلك الفظاظة التي تظهر على شيخ البلدة.

إنه لطيف المعشر، دمث الأخلاق، حلو الحديث، ظريف النكتة. من ميزاته الفذّة، أنه كان روحاً أنيساً مع كل روح. مع رجال الدين رجل دين، ومع رجال السياسة رجل سياسة، ومع شباب «الولدنة» شابٌ «متولدن».

وكان يمتاز أيضاً بمظهرين آخرين: لحية شقراء ورائحة زكية. لقد كان ـ رحمه الله ـ يتعطّر بأجود أنواع العطر دائماً. وحيثما مرّ، يقول الناس دون أن يروه: هذا عمنا السيد يوسف.

فإن طيب رائحته كانت تسبقه وتعلن مروره وقدومه وكان أنيقاً في لبسه العربي: القمباز الحريري الطويل، ذي الحزوز الملوّنة

الرفيعة، وفي زنّاره العريض الأكابري أبداً، علامة وقار تقول للناس: «احترموني».

هذا هو شيخ بلدتنا.

من صفاته الخلقية إذا تشبّث في مسألة، ناقش فيها مناقشة الواثق من نفسه، بلهجة هادئة أو صاخبة، حسب مقتضى الحال. وتمتاز ملاحظاته بدّقة وتمحيص كثيرين.

هذا هو شيخ بلدتنا.

ويبدأ بوصف منزله من الخارج فيقول محمد يوسف مقلد:

والآن، إلى البيت.

أما بيته فإنّه لا يختلف من حيث هندسته العامة عن البيوت الشرقية العربية القديمة إلا بشيء واحد: نظافته وأناقته...

كان بيته عتيقاً في شكله، عصرياً في أثاثه، وكان أجمل أوصافه، أنه جمع القديم والجديد على صعيد واحد.

ترى فيه صينيّة القش المستديرة . يسمّونها صينية السفرة . وترى فيه الطاولة الخشبية.. كما ترى فيه البلاّنة البلدية (مكنسة الدار) والمكسحة (المكنسة العصرية ذات العصا). وفيه حصيرة للبواري مع كراسي الخيزران. وقس على ذلك.

ولندخل البيوت من أبوابها: فباب شيخ البلدة كالبوابة، بفرعة واحدة. لا تختلف عنه إلا أنها أكبر حجماً منه. وشباك مزدوج يفصل بين فرعيه قصبة من حجر منحوت، في وسطها مرآة صغيرة مستديرة.

وادخل الدار وامشِ على البلاط الطبيعي (حجر المقلع)، لئلا تتوهم أنه من البلاط المصبوب صبّاً. ولكن حذار أن تقف، فيلذعك النحل الفائر من ثقوب القفير في الحيط، كالينبوع المتفجّر من ثقوب الصخور.

والتفتْ في باحة الدار، ترَ (الخشّة)، إنها غرفة البقرات؟

والآن ادخل البيت. إخلع نعليك بالإصطبل. وانظر. ترَ نفسك في مرآة كبيرة معلّقة على قصبة عمود البيت؛ على قيد أصابع من (طاقة) القنطرة. وتأمّل في المرآة، تلمح قبالتها «رفّ» الأباريق. ثم إرجع البصر فوق الإصطبل، فترى السّدة، ولكن إحن رأسك لئلا يصطدم بأكباش الدخان، تلك الأكباش المعلّقة في السقف كخرفان الغنم. فإذا كان الطقس حاراً واصطدم رأسك (بكبش)، تكون الصدمة وبالاً على (الكبش) لا على رأسك.

و«السدّة» في بيت الفلاح الوجيه، كبيت السيد يوسف، بيت آخر، تتكدّس عليه المؤونة والأثاث والعفش حتى ترزح.

وهي في الصيف مصيف، ففي شباكها التقليدي منظر مشرف على حوض الحبق والنعنع والورد الشهري، على ركيزتين تحت الشبّاك.

و«للسدّة» في بيوت الفلاحين القدماء نفع آخر.

هي عندما يأتي الضيوف بغتة، محجر لنساء البيت، يهرعن إليه لحظ العيون، بحيث يرون ولا يراهن أحد.

إنهنّ من فوق «محجرهنّ» العالي يشاركن مجتمع الرجال

ـ السهرة غالباً ـ في بيت شيخ البلدة (السيد يوسف). ولكنها مشاركة في الإستماع وفي الإستحسان لما يتدحرج من نكات إجتماعية خلال الأحاديث، نكات تخجل خفرهن، وتدغدغ شعورهن الأنثوي أحياناً، فلا ينتبه المحدّث إلى نفسه، وهو في الغالب الكثير، غريب عن البيت والسهرة حتى يسمع قهقهة نسائية في ركن قصيّ من البيت، ويخجل هو بدوره. ويعتب على الحاضرين، ويشتد في العتب: «لماذا لم تنبهّوني أن في البيت غير الرجال. وأن السدَّة آهلة بالجنس الآخر؟.

فيتعالى ضحك القوم ويتميّز جو المجلس بظاهرة جديدة، هي ظاهرة الترفيه عن النفوس، التي كانت لساعة خلت محتبسة وراء الجد الصارم، ووقار الإلتزام ورتابة الأحاديث المبتذلة الثقيلة، حتى لتحسب أن مقلباً قد أعدّ من قبل، لإشاعة المرح في روح السهرة البلدية.

والسهرة في هذه القرى والرساتيق، بمثابة الجريدة في المدن والحواضر، فيها الحوادث الكلية، وفيها الأنباء المحليّة. وفيها شؤون البيت والحقل، وأمور الرياسة والسياسة! ولك أن تقول، أن السهرة في البلدة هي الدنيا مصغّرة. هي الكون كلّه. وفيها تدور مختلف الأحاديث والمواضيع، وكل ألوان الحياة من نابه وتافه.

وهي في أخصّ أماكنها المقصودة، يندر أن تكون في غير بيت أبرز وجيه في البلدة. وأبرز وجيه في بلدتنا كان في ذلك الزمن، المرحوم السيد يوسف صالح، والظريف اللطيف، المؤنس، ذو اللحية الشقراء والعمامة «المسكرجة» الخضراء، والذكاء اللّماح، المحبّ للأدب والشعر وأفاكيه المزاح.

كان الناس يقصدون بيته المستوفي كلّ شروط الضيافة

والإستضافة، من اتساع وقناطر وسدّة ومساند، ونار لا تنطفيء كلّ أيام الشتاء. كان الناس يقصدون بيته للسهرة، من الحصن حتى القلعة، وهو مثل تضربه في بلدتنا للدلالة على بعد المسافة[1].

فما أن يمسي المساء على الفلاح وغير الفلاح حتى يصلّي ويتعشّى ويضيء قنديله الكاز ويتوجّه إلى بيت السيد يوسف[2].

كان السيد يوسف . رحمه الله . يسهر على راحة الساهرين، ويكرم مثواهم بكل ما أوتي من سعة وذوق، ففي الشتاء يضرم النار في الموقد الكبير . والنار فاكهة الشتاء . ويملأ القرنة (قرنة الداخون) بالقرامي المجدلية والكفراوية. ويصفّ المساند والطراريح. ويقوم بين الفينة والأخرى بملاحظة النار في الموقد، فيكشها بالملقط، ويطعمها بسخاء، فلا يفارقها حتى تتلظّى اشتعالاً، يسمع لها سعير وزفير.

ثم يعود إلى مكانه قرب العمود وقد أعد «مفرمة التتن . خشبة غليظة» والسيخ «الكشافة»، والبولادة، «المستحد»، يشحذ عليه السيخ، وإلى جانبه صفطات الدخان، ثم يبدأ الفرم. يساعده أحياناً أبو علي، أمهر القوم بفرم الدخان ولف السكاير... كأنما هي شغل القالب.

وكان أحرص الناس على عدم التغيّب عن سهرة شيخ البلدة، أبو

---

(١) المسافة الحالية بين الحصن (الكنيسة) والقلعة لا يعتبر بعيداً لإن المنازل والعماير امتدت عدة كيلو مترات في جميع الإتجاهات بعد الكنيسة والقلعة .

(٢) ان إشارة محمد يوسف مقلد عامة وتدل على أن كل أهل البلد وسكانها من فلاحين وموظفين من خارج البلد يأتون للسهرة عند السيد يوسف صالح بالرغم من الأيام العجاف التي كان يعيشها أهلنا . وهذا الرجل قلّ نظيره في تبنين وجبل عامل، فاليوم أصبحنا كالأميركان والأوروبيين، لا نزور ولا نزار .

فؤاد «يوسف إبراهيم الحداد». وكان أبو فؤاد هذا، رجلاً من أظرف الناس روحاً، وأحلاهم لساناً، وأرقّهم حديثاً، فكان وجوده في السهرة ضرورة لا يستغنى عنها، فكانوا يصفون شدّة اشتياقهم إلى وجوده بقولهم: النحو للكلام كالملح للطعام . لا بدّ منه . وكذلك أبو فؤاد للسهرة، ضرورة لا بد منها.

كان أبو فؤاد . رحمه الله . مسيحيّاً مؤمناً. وكان يبكر إلى السهرة قبل الجميع، وكان إذا حضر، يطرق الباب بعصاه، ثم يدخل مصلّياً على محمد وآل محمد، وكان له صدر المجلس «الإسلامي» في السهرة وغيرها من مجتمعاتنا. فلا يمكن أن يقبل صاحب البيت إجلاسه إلا إلى جنب الأفندي (النائب محمد على غطيمي)، قرب الموقدة. فيجلس واضعاً طربوشه أمامه، ويلتفت إلى الجميع: مسّاكم الله بالخير. صليتم طبعاً كلكم، غفر الله لنا ولكم!

وفي شهر رمضان، كان أبو فؤاد لا يفوته دعاء العشاء معنا، فيتابع الدعاء[1] مع القاريء حرفاً حرفاً. وتراه أوّل الواقفين عندما يصل القاريء إلى القول: «اللهم صلّ على وليّ أمرك القائم بالحق، والعدل، المنتظر الحجة ابن الحسن صلواتك عليهم أجمعين».

وكنت في صغري أتساءل: من هذا النصراني الذي يشاركنا كل ليالي رمضان، ويقوم معنا في مواطن القيام من الدعاء...

(١) دعاء الإفتتاح يقرأ كل ليلة بعد الإنتهاء من الإفطار. ولا غريب أن يقرأ يوسف برهوم الحداد دعاء الإفتتاح، فالتسامح الديني بين أهل تبنين توارثه أهلها جيلاً بعد جيل، وما إقامة نادياً حسينياً ومكتبة عامة باسم جوزيف مغيزل في نفس المبنى في تبنين إلا خير دليل على هذا التسامح الديني.

ويصلّي على محمد وآل بيت محمد؟

وكان أهل البلدة من إسلام ونصارى يقولون عنه: «النصراني المسلم». وكان هو يمازح السيد يوسف بقوله: يا سيّد... أنا وإياك صحبة في الدنيا، فعاهدني لأعاهدك الله، على أنّه إذا كان يوم القيامة والحق معكم... تأخذني معك إلى الجنة... وإذا كان الحقّ معنا، أخذتك معي.

إذا أنت ذهبت للسهرة في بيت مولانا السيد يوسف، هذا، كان اسمه المعروف عند أهل البلدة، فالتفت نحو الباب، حيث علّق الساهرون قناديلهم ومظلاّتهم بالمسامير المشكوكة كأسنان المشط في جسر «السدّة» الخشبي. والقناديل حين تغطي فتائلها، تبدو كعيون البوم، نصف مغمّضة، وتجد أمامك الأحذية المخلوعة في الإصطبل، وفوق مصطبة البيت قرب العمود، متجاورة، لزّاً، لزّاً، كأصحابها في جلوسهم على حصير مولانا. وكانت قراءة القصص، وأهمّها روايات تاريخ الإسلام، لجرجي زيدان، من أبرز مقوّمات السهرة، وكان القارىء الدائم، الشيخ محمود «دكروب»، شيخ المدرسة القرآنية الأهلية منذ خمسين سنة. كان يقرأ لنا الرواية كالسيل المنحدر من أعلى قمة دون توقّف عند نقطة أو فاصلة، حتى كلمة «يتبع». أو البقية على الصفحة كذا، كان يقرأها كأنّها من سطور المادة المقروءة، وتابعة للمعنى المتواصل في الرواية أو الجريدة، فلا يملك السامعون إلا أن ينفجروا ضاحكين لفرط سذاجة الشيخ.

وإلى جانب العمود، كان «مولانا السيد يوسف» يجلس الأربعاء متلفّعاً بالعباءة الشقراء، وعلى عينيه نظارة وأمامه الشمعدان الطويل

المخروطي الشكل على اسكملة شرقية، تفنّن نجارها في تخريمها ما شاء له فنّه الشرقي.

وكان من أبرز أعضاء السهرة أبو العقال المرعزي السيد حسين (محمد صالح) المعروف بشيخ الشباب. إنّه رجل جاوز الثمانين وظلّ محتفظاً بهذا اللقب، وفوق ذلك، كان فكاهي الروح لا تطيب السهرة بدونه[1]. يضحك المجلس بحركاته وفكاهته وبأبيات من العتابا القديمة. كل ما في شيخ الشباب يوحي بالفكاهة، حتى حذاؤه، فقد كنّا نعرفه من بين كلّ أحذية القوم مهما كثرت. لطوله وضخامته[2]. كان يقول لنا، أنه لا يوجد لحذائه قالب عند أي إسكافي في الدنيا، ولذا كنا عندما ننصرف من السهرة، لا يغلط أحد على «الشختورة» الكبير كما يحصل مع بعضنا البعض عند انتعال أحذيتنا[3].

هذه كانت حال حياتنا الإجتماعية، عهد مولانا السيد يوسف، أيام الشتاء، أما في الصيف، فيستحيل البيت إلى معمل لتسقيط التتن (ترتيب أوراق التبغ)، فتكثر الأيادي العاملة، أيدي الصبايا

---

(١) وقد وصلت بالمرحوم السيد حسين صالح الروح الفكاهية حداً مميّزاً فقد روى عنه اهل البلدة، أنه حين توفى الله زوجته، قام إلى أولاده مخاطباً: يا نايف، يا عبد الله يا جاد الله: قوموا تعشّوا قبل أن يشغل الله بالكم. وبعد ان عشّى الأولاد، أخبرهم أن أمهم ماتت.

(٢) كان اهل تبنين يضربون المثل بطول حذاء السيد حسين فيقولون: مثل رجل السيد حسين قياس ٤٩ ولا نعرف إذا كان قياسها ٤٩ سم أم لا.

(٣) كتب محمد يوسف مقلد هذا الكلام سنة ١٩٥٥ وكان قد جاوز الخمسين من العمر، فشاء القدر ان يتزوج من ابنة السيد حسين شيخ الشباب (عفيفة).

المتطوّعات لخدمة مولانا السيد يوسف.

ويعود الشاعر مقلد، فيسلّط الضوء مجدّداً، على انتقال صالون السيد يوسف الأدبي صيفاً إلى منشر الدخان، فيقول: كان مولانا السيد يوسف ينقل البيت إلى المنشر - رحلة الشتاء والصيف - فتنتقل حياتنا الإجتماعية معه بكلّ صفاتها وعاداتها، وأشخاصها. وكان عصر كل نهار موعداً لالتقاء زبائن سهرات الشتاء عند مولانا، حول سماور الشاي، وأطباق العنب والتين، وهات يا سرور ويا بسط، ما تشاء الروح من أحاديث بلدية ومناكفات شعرية وأدبية.

كان شاعر هاتيك الأيام عبد الحسين عبد الله الخيامي، شاعر المجالس الظريف، يضفي على المجلس إذا حضر من روحه الظريفة النادرة كلّ ما يطرب ويعجب ويبعث الإيناس، فتشعر باستجمام روحي ينسيك همومك مهما كانت باهظة، من طرائف ذلك الشاعر قطعة أحدثت بين تبنين وبنت جبيل - البلدتان الشقيقتان - موجة من التحاسد المقبول، فقد آثر فيها شاعر المرج، تبنين على بنت جبيل، فيما كان ينتقل كموظّف مع المحكمة المشتركة بين البلدين[1].

قال عبد الحسين عبد الله:

بنت الجبيل وإن كانوا بساحتها
أهلي وصحبي وأحبابي وسمّاري

---

(١) يقضي القانون والدوام أن تكون محكمة قضاء بنت جبيل ستة أشهر في تبنين وستة أشهر في بنت جبيل، مما يجبر عبد الحسين عبد الله إلى ترك تبنين والمداومة في بنت جبيل.

عـام مـن الـعـمـر فـيـهـا رحـت بـائـعـه

بـيـوم تـبـنـيـن هـل فـي حـيِّـكـم شـاري

كان منشر مولانا السيد يوسف . رحمه الله . ينبوع السرور حقّاً، وكنت يومئذٍ من روّاده وعشّاقه، وأصغي بكل جوارحي إلى تغريد السماور ورنين كؤوس الشاي، وهي ترّن رنيناً حلواً بتحريك الملاعق البيضاء الصغيرة فيها، بنفس اللذة التي أصغي فيها «لأبو حسن»[1] وهو يقرأ الشعر الغزلي بطريقته العاملية.

هاتيك الأيام، وهاتيك الجلسات . عليها سلام الله . كانت حافلة دوماً بالنوادر الأدبية في جبل عامل وإنّي كأحد معاصريها، أذكر الكثير من صورها الحلوة، وأدبائها البارزين وأشكو مرّ الشكوى! أين أين الأدباء والشعراء والظرفاء كالمرحوم الشيخ علي مهدي شمس الدين؟ بل أين الأدباء الذين كانوا يشكّلون القافلة الأولى من أدباء الطليعة: موسى الزين شرارة، الشيخ علي الزين، عبد الحسين العبد الله، السيد علي ابراهيم، إلى آخر الأسرة الكريمة من عصبة الأدب العاملي[2]:

أما رئيس مكتب بريد تبنين الأديب محمد عطا الله دكروب،

---

(١) أبو حسن مقلد مختار تبنين وشاعرها «محمد حسن مقلد». سيأتي ذكره وذكر شعره في كتاب الحركة الأدبية والشعرية في تبنين، كان بهي الطلعة، جميل المحيّا، ذو صوت عذب وشجّي. له قصيدة في الفنانة الراحلة تحيّة كاريوكا، تعتبر من عيون القصائد سوف نثبتها في الكتاب المذكور.

(٢) راجع: العرفان، المجلد ٤٣، سنة ١٩٥٥، مقالة بعنوان بوشع وأفراحنا القديمة رقم ١، محمد يوسف مقلد، ص١٠٥٤.

فقد ذكر ان هذه المجالس كانت تعج بالأدباء والمثقفين والشعراء وكبار الموظّفين، من كل منطقة جبل عامل: من صور حتى تخوم بنت جبيل وعيناثا.

صالون الأستاذ نبيه بري الأدبي:

دأب أهالي تبنين منذ طفولة نبيه مصطفى بري ينعتونه بالأستاذ، لأنّ علامات النجابة والذكاء والأستذة كانت بادية عليه من صغره. وقد طغى عليه هذا الإسم ليس في تبنين فقط، بل في جبل عامل وفي كل لبنان، فعندما تقول: الأستاذ يعني نبيه بري. وأكثر الناس الذين كانوا يتوسّمون فيه هذه النجابة وهذا الذكاء، وكان يتوقّع له هذه النقلة من الأستذة إلى الرئاسة الأولى، المرحوم الحاج مصطفى طقو، وآية الله الشيخ محمد تقي الفقيه الحاريصي، وهما من الذين كانوا قد فهموا الأمور قبل غيرهم، وكان ذكائهم المفرط يصل بهم إلى حد العلم بالغيب.

نشأ نبيه بري وترعرع في بيئة علم وشعر وأدب، فجدّه الشيخ محمد بري كان شاعراً وناقداً أدبياً ومنشيء أحد الصالونات الأدبية في تبنين. وعمّه الشيخ عبد الله بري أمدّ الله بعمره، اعتبره جورج صيدح من كبار شعراء المهجر الشمالي[١]. وعمه الشيخ ابراهيم بري توفيّ عن أربعة عشر ديواناً مطبوعاً، وابن عمه الشيخ يوسف بري، فوجيء به جورج صيدح عندما تعرّف عليه في

(١) راجع: أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية، جورج صيدح، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين، سنة ١٩٦٤، ص٣٧٠.

ديترويت[1]، وابن عمه الشاعر المهجري محمد علي بري، ألّف جمعية أدبية في ديترويت. وعمّه الشيخ علي بري كان له ملتقى أدبي في تبنين في حديقته الجميلة في حارة آل بري[2]. وعمه وابن عمه الشيخ عبد الفتاح بري، كان أنيس كل مجلس أدبي وجليس كل شاعر وأديب[3].

هاجر أبواه إلى افريقيا بحثاً عن الرزق، فنشأ عند أقربائه من السادة الهاشميين، وكان يتنقّل من صالون عمّه السيد يوسف صالح الأدبي، إلى صالونات ومنتديات أعمامه من آل بري، فكيف لا يكون الأستاذ نبيه بري شاعراً وأديباً، وهو الذي قضى طفولته متنقّلاً من صالون أدبي إلى صالون، ومن لقاء شعري إلى لقاء شعري آخر.

تخرّج نبيه بري من كلية الحقوق، وبدأ المعترك الحياتي والسياسي باكراً، دون ان يتخلّى عن الأدب والشعر، ومعاشرة الأدباء والشعراء. هاجر إلى إفريقيا وعاد بعدها، فأزال خيمة جدّه المرحوم الشيخ محمد بري، تأسيساً لصالون أدبي كبير، يتناسب مع طموحاته الأدبية والشعرية والسياسية، وهو الشاعر السياسي والسياسي الشاعر، الذي يعرف أن الشعر هو أهم سلاح سياسي

---

(١) راجع: م. س. نفسه، ص٣٧٦.

(٢) راجع: العرفان، م٤٩، محمد يوسف مقلد، مقالة بعنوان خواطر في الصيف، سنة ١٩٦١، ص١١٢.

(٣) راجع: العرفان، م٤٦، سنة ١٩٥٨، محمد يوسف مقلد مقالة بعنوان، صوت الأدب بعد صوت القنابل، ص٨٧٣.

في بيئة جبل عامل، تلك البيئة التي تحتوي على مئات بل آلاف الشعراء المغمورين والمشهورين، والتي أصبح فيها كلُّ ناد حسيني في كلّ قرية ومزرعة وبلدة ومدينة، منبراً للشعر والأدب والكلمة.

عاد نبيه بري من إفريقيا، فبنى مكان الخيمة فيللا جميلة، وأعدّها لكي تكون بديلاً متقدّماً لصالون جدّه الأدبي، وبدأت الندوات الشعرية والأدبية تنعقد فيها. وقد تحدث الأديبان محمد يوسف مقلد ومحمد عطا الله دكروب، وهما من أعضاء هذا الصالون الأدبي، عن هذه الندوات، فلنقتبس بعض ما كتبه كلّ منهما.

يقول الحاج محمد عطا الله دكروب:

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وفي أواخر عام ١٩٤٤، أخذت هذه الندوات التي كانت تعقد في الخيم، تتلاشى تدريجياً، خاصة بعد انتشار جهاز الراديو. وتحسنّت أوضاع الناس مادياً، ولم تعد كروم التين والعنب المصدر الوحيد للعيش، بل حلّت محلها شتلة التبغ، وأمست الخيم إذا أقيمت، فهي تقام لحراسة منشر الدخان ولمتابعة تجفيفه على ثقالات الخشب وحراسته.

لذلك بدأت هذه الخيم تزول أو تزال، ومنها خيمة الشيخ محمد بري المشهورة، فقد أزيلت وأقام مكانها حفيده الرئيس نبيه بري دارته في تبنين وذلك في العام ١٩٥٦.

وفي صيف عام ١٩٥٨، أراد الأستاذ نبيه بري أن يعيد مجد الخيمة، فدعى الشعراء والأدباء ومثقّفي المنطقة للإلتقاء في دارته.

ويصف محمد عطا الله دكروب بعض الندوات التي كانت تقام في صالون الأستاذ نبيه بري فيقول:

كانت الندوة الأولى مرتبّة على نمط المحاضرة، فقام الرئيس بري بالتعريف عن المحاضر، صديقه الشاعر محمد يوسف مقلد، وكنت أنا (أي محمد دكروب) من جملة المدعويّين، فقدّمه للمنتدين بمداخلة نثرية تليق به شاعراً وأديباً وكاتباً وصحافياً ومؤّلفاً. وبالفعل، فقد أذهل المرحوم محمد يوسف مقلد الجميع بما قدّمه في هذه الندوة من نثر، وما نظمه من شعر. واستمرت المحاضرة أكثر من ساعة ونصف، والجميع يطمح بالمزيد وما ملّ أحدٌ من الإستماع إليه ولو للحظة واحدة.

ويصف لنا محمد عطا الله دكروب ندوة أخرى من الندوات التي كانت تقام في صالون الأستاذ نبيه بري الأدبي فيقول:

كان المحاضر فيها الأستاذ المهندس محمد يوسف فواز (المدير العام الأسبق للموارد المائية والكهربائية). وبعد أن قدّمه الرئيس بري للحضور بما يليق به بمداخلة نثرية غلب عليها الطابع الشعري، قام المهندس محمد فواز بإلقاء محاضرته إرتجالياً بلغة بليغة لم يلحن فيها ولم يتلجلج. وتكلم بما يفوق الساعة، دون تلكّؤ أو إبطاء أو ابتعاد عن الموضوع، الذي كان عنوانه أثر النظام والإنضباط في تطوير المجتمع.

ويتحدّث الكاتب عن ندوة شعرية محض تمّت في هذا الصالون أيضاً فيقول: أن شاعرها كان الشاعر المهجري الأستاذ

فقد قدّمه الرئيس بري إلى الشيخ يوسف محمد حسين بري، الحضور بمداخلة نثرية شعرية تتوافق مع مستوى الشاعر المذكور، ويقول الحاج محمد دكروب، ان إلقاء الشاعر الشيخ يوسف بري أسر قلوب المتلّقين. وقد كان ذو نبرة شجية متسمة بألم الغربة والحنين إلى الأهل، ومما قاله، قصيدة أحفظ بعضاً منها، جاء فيها:

أيا موج الأثير خذ اشتياقي ... إلى تبنين وابلغها الجوابا
وإني إذ ظفرت برغد عيش ... فؤادي غير ربعك ما استطابا
أليست خيمة التينات عندي ... تعادل كلّ ناطحة سحابا
وعين الحور[١] هل أرجع إليها ... وأغسل في مجاريها الثيابا
وعين الورد[٢] كيف الورد أضحى ... وهل طابت مشاربه وطابا
وفي صدّيق[٣] حيث البطم زاهٍ ... يعانق في أعاليه القبابا

أما الشاعر محمد يوسف مقلد فقد نشر إحدى المحاضرات التي ألقاها في صالون الأستاذ نبيه بري في مجلة العرفان العاملية، وقدّم لها الناشر الشيخ أحمد عارف الزين بهذه المقدمة:

صوت الأدب بعد صوت القنابل...

إقرأ هذا الحديث الجميل . وكان حديث صيف . وأنت الآن في عز الربيع...

كان هذا الحديث الجميل «محلياً» وكان للطيِّ لا للنشر.. وها

---

(١) عين الحور. نبع موجود جنوبي شرق البلدة، قرب مبنى الثانوية الرسمية.
(٢) عين الوردة. شرق البلدة قرب جسر عين المزراب.
(٣) جبل صديق النبي. أصبح من أرقى أحياء تبنين حيث الفيلات والقصور الفارهة.

هو بعد شهور قد صار للإطلاع العام والنشر، كل النشر.

فقد أنشىء، يوم انشىء في الصيف الماضي، الصيف الدامي الشهير، الذي نذكره ولن ننساه!

يومئذٍ . في أيلول . شاء شباب تبنين أن يضيفوا إلى محاسن بلدتهم ومناخهم العذب واستقرار حياتها في تلك الأيام الرهيبة، يوم كان الإستقرار نادراً، بل مفقوداً في جميع أنحاء الجمهورية اللبنانية السعيدة... يومها شاء شباب تبنين أن يضيفوا إلى محاسن بلدتهم وحياتهم، مزايا إنسانية وروحية اخرى، لم يكن عند مهجة أحد سواهم مكان لهذا آنئذٍ..!

لقد شاؤوا أن يخفّفوا من وطأة الجو السياسي الذي كان محموماً حتى الغليان، وأن يجعلوا صيفهم أكثر أنساً ومتعة، وأقل كرباً ورعبا، مما كان عليه في ذلك الحين، فطلبوا إلى الشاعر المجيد، والأديب المعروف الأستاذ محمد يوسف مقلد أن يسمعهم «صوت الأدب بعد صوت القنابل» فلبّى، وأسمعهم في دارة نبيه بري الجميلة، المحاضرة الرائعة التالية:

ويبدأ محمد يوسف مقلد بالمحاضرة فيقول:

قضينا صيف هذا العام كله، ونحن نتحدث عن القنابل والمتفجرات والبازوكات. وعن الحرائق والقتلى والجرحى، وكل ما يوحي باننا في حالة حرب ودمار.. حرب أهلية كأتعس ما تكون الحروب!

فلا أقلّ ولا افضل، من أن نرفّه عن أنفسنا بالحديث عن هذه

الامسية، عن الأدب والشعر والخيال، وكل ما يريح أعصابنا، ويشعرنا بصفاء الذهن والبال...

كان المفروض فيَّ نفسياً، بالنسبة للحالة السائدة، أن لا يكون عندي أي عاطفة تقبُّل أو استطاعة لهذا الطلب..

فالثورة التي اجتاحت لبنان، والتي ما تزال تجتاحه بالرغم من الهدوء النسبي الذي لا يجوز أن يغري أحداً بانفراج الازمة، أو الذي لا أراه قادراً أن يغري واحداً مثلي على الأقل، وينتزع أفكاره من تشاؤمها. الثورة هذه لم تخرب الديار بمقدار ما خربت الأفكار!

ذلك ان «القناعة» بين المواطنين لم تكن ساحقة بلزومها! أو على الأقل بوصولها إلى ما وصلت إليه! إنها في الحقيقة لم تكن ثورة، وإنما كانت عملية «قنص بشري»..!

لا تذهبن بالبابكم خبائث الدعايات المضلّلة، إلى اليسار حيناً، وإلى اليمين حيناً آخر. إن آفة هذا البلد الكبرى، والعلّة التي سبّبت له كلّ هذا الشرّ المستطير وجعلته مصيراً وكياناً وقيماً شتى على كف عفريت، تتبعه عفاريت.. أجل آفة هذا البلد وعلّته الكبرى، هي «الدعاية» التي تبثّها وتنفثها شياطين الصحافة والإذاعة، خبراً وتعليقاً موجّهين أخبث توجيه، وأفعله في نفوس الجماهير الساذجة، فتدفعها إلى يسارية متطرفة، وسلبية عنيدة تقودان البلد بكلّ قيمه العظيمة، العقلية والجمالية والإجتماعية إلى مآل جهنمي وبئس المصير!

رويدكم! إنه لا يركن بعد إلى الحالة.. فقد تكون ما تزال في

فترة الهدوء الذي يسبق العاصفة. إن التيار ما يزال جارفاً، وإن الأمور ما تزال بعيدة عن الحكمة، وأن العقل النير والإرادة الطيبة ما يزالان في إجازة..

الوطنية! إننا براء منها إذا كانت هذه مفاهيمها: طائفية وأقليمية! معاذ الله أن يقوم على أساسها وطن!

تيقّنوا أيها الأخوان، أننا نمرّ بأخطر تجربة في تاريخنا الحديث! إن المعرفة بلسم.. وأحوج ما نحن بحاجة إليه هو المعرفة.. المعرفة بأن بعض القيادات المغرضة تدسّ لنا، عن طريق الدعاية السمّ في الدسم، إنها لشدّة سحرها، ومهارة أدائها، مغرية إغراء إبليس! وقليلة هي النفوس التي عندها «مناعة» كافية ضد ذلك الإغراء.!

قدّمت في بداية الكلام، أن غرضي هو «الترفيه» عن نفوسكم، بإسماعكم صوت الشعر والأدب، بعد أن عاشت أعصابكم شهوراً على سماع أصوات القنابل..!

مطلب صعب إذن، نقل أرواحكم من جو ثورة، جو جبهة حرب، وواقع سياسي مكهرب إلى جو «سلمي روحي خيالي» هو منتهى السلم والروح والخيال!

بيد أنه موضع فخري أنّ مهمّتي صعبة، فأفلح بجذب أفكاركم إليّ، واحتجازها في جو عالم سلمي آخر، بعيد عن الأرض ومشاكل الأرض بعض الوقت..

مهما يكن.. أكون خائناً لرسالتي إن لم أستجب لمطلبكم، لأنه دليل قاطع على حاجتنا الروحية الملحّة إلى تغيير جوّنا اللبناني

المرهق، أو الذي كان مرهقاً بالغ الإرهاق من أمد غير بعيد!!

لبنان، بلد المحبّة والإلفة..

بلد الشعر والخيال..

بلد الكبّة النية، والشورمة، واللحم المشوي، والتبّولة، و«الدمعة اللذيذة المفرحة».

بلد السيف والترس والعنترية.. وجميع مظاهر (المراجل) والعنجهية!

بلد المِجْوِزْ والشبّابة والدبكة..

بلد الحرية العجيبة.. بلد الشتاء والصيف على سطح واحد..

لبنان هذا.. أمِن المعقول أن يتلهّى عن طبيعته الأصيلة، وخلائقه الموروثة المستحبّة، ليصبح أتونا من نار لا تحرق غير أرضه وبنيه؟

إن كاس شاي، ونكتة ظريفة يطلقها لنا الشيخ عبد الفتاح بري[1] أمام خيمة السطح أو أثناء (كسدورة) على طريق «المستشفى - العين» تساوي عندنا الدنيا.

إن ظريف «مشايخ الحارة» ليستطيع أن يحملكم على الضحك والسرور، مهما كانت هموم قلوبكم باهظة.. لا أقولها من قبيل الإعلان.. وإنما من قبيل التشهير بذكاء الأذكياء، والدعوة إلى الإستماع بخفّة روح الظرفاء.

---

(١) هو ظريف معروف في تبنين بإرسال النكتة الحاضرة، الحاملة على الضحك والإمتاع.. وخصوصاً عندما يكون لها طابع «الغيبة».. والتحرّر من «وجود» صاحب العلاقة التي تجيء النكتة على حساب معنوياته كائناً من كان.

ومَن مِن أهل هذه «الحارة» الجميلة[1] الملهمة بطبيعتها وموقعها ليس ظريفاً أو أديباً؟..

وأنا هنا لست بصدد الإطراء المقصود، لأنه عندما يكون مقصوداً، لا يكون محموداً.. وإنما أنا بصدد التدليل على المواهب الروحية والطبيعية، وبالتالي الدعوة إلى الجمال، كيفما وأينما اتفق.. فالصيف عموماً، وفي لبنان خصوصاً، موسم من أبدع مواسم هذا الجمال الذي أعنيه: روحاً ومناخاً وطبيعة، وبعبارة أخرى: كلّ ما هو محسوس ومسموع ومنظور..

الجمال؟ رعاه الله وحماه، إنّه رسالتي في الحياة.

فأنا كأديب لا أجد لنفسي رسالة أفضل ولا أشوق من الدعوة إلى الجمال في شتّى صوره ومعانيه، وإعانة كل متخلّف عن تذوّقه كي يتذوّقه مرئياً ومسموعاً ومحسوساً.

والكلمة، الكلمة الحية البليغة، شعراً أو نثراً، هي سبيلنا الوحيد إلى ما نريد. تبارك الصانع!

ويوم نفقد الحاجة إلى التلذّذ بجمال الكلمة، والإنسحار بسحرها حين تكون جميلة ساحرة، نفقد أسمى معاني ذاتنا الإنسانية. فالعاطفة هي مصدر إنسانيّتنا وموقد الحرارة في حياتنا، وحين نموت، يموت فينا الإحساس بالحياة: سرورها وحزنها، نعيمها وبؤسها.. مثلما أن العقل هو مصدر عظمتنا العلمية في مجالات الإختراع وإبداع العاطفة،

---

(١) حي ريفي جميل معروف بهذا الإسم في تبنين، سكانه من عائلة واحدة معروفة، هي عائلة آل بري.

مصدر إلهامنا معاني الروح التي هي فينا علامة الحياة!

تصوّروا عالماً أو مجتمعاً يعيش بالعقل؛ ولا شيء غير العقل، كم هو تعيس..!

«ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان» ولعل مصدر جمالها، كل جمالها في بساطتها.

وأنا بطبيعة نشاتي: كإبن ضيعة، كإبن قرية، كإبن (بيت عربي) شرقي، كإبن حصيرة.. لا إبن مدينة، ولا قصر، ولا أرائك أو (كنبايات) فخمة.. بطبيعة نشاتي هذه، مفطور على حب الجمال البسيط، لا الجمال المعقّد..

وأعيذكم أن تظنّوا أو تفهموا من كلامي أن البساطة في الجمال معناها القليل الميسور.. كلاً، بل أنها «منزلة» قريبة التناول سهلة الإنطباع، تؤثّر في النفس الحسّاسة أسرع التأثير، فلا يفوت إنسان، مثقّف أو غير مثقّف، الأخذ منها بنصيب.

لذلك، كانت البساطة في الجمال منتهى الجمال، مثلما أن الحب، عفو الخاطر، منتهى الحب...

على هدي هذا الرأي . الفلسفة إذا شئت . سرت في حياتي الأدبية، ومن وحيها استلهمت معظم صوري الشعرية القديمة، صور الصبا، التي ترون فيها كلّ هذه المرائي المحلّية التي أمامكم[١]...

---

(١) المرائي المحلية المقصودة المطلة من المكان الذي كان يلقي فيه المحاضر محاضرته هي: القلعة، الخلة، حارة آل بري، صدّيق، درب العين. بئر السناسل. بيت الدوارة إلخ.. وقد كان لهذه الاماكن والمرائي تاثير شعري رالق الشاعر في صباه وأمدته بقديم الذكريات الحلوة في مراحل نشاته في تبنين.

فمن دواعي سروري وفخري اليوم، أني وإن كنت من جيل يكبركم سناً[١]، ويعاصركم روحاً وفكراً وتطوّراً، من دواعي سروري وفخري، إني لم أتنكّر ولن أتنكّر ما عشت، للحياة الروحية، حياة الشعر والكلمة.. إنني باق وسأظل على ولائي المخلص للحرف، للخيال الشعري، وإن كان هذا السلوك أصبح عند الكثيرين من جهلة الحياة الروحية موصوفاً بـ (قلّة العقل) في عصر الذرّة، والأقمار الإصطناعية الصاروخية التي بدأت تغزو أجواء الشمس والكواكب.. ذلك شيء وهذا شيء، إن كنتم تعقلون!

أقول لكم وفي هذا الأوان الجميل من أواخر الصيف، إننا إخوانكم القدماء طالما تعلّمنا قرض الشعر من هذه الطبيعة الجميلة الممتدة أمامكم: هذه البيوتات الريفية الجميلة المتفرّقة بين ألفاف الشجر، المسمّاة «حارة آل بري» السابحة أبداً بروحانيّتين: بقرآن الفجر ورقيق الشعر!

من «الخلّة» الصاخبة أبداً بزقزقة العصافير، أصوات (صالي الدبق) ونداءات أصحاب (مناشر الدخان) عند بزوغ الشمس، وقبل جفاف دموع الندى عن ورق الدوالي والأغصان، و(المشاكيك) الشقراء الطويلة كذيول الثعالب..

من «مزرعة الشيخ علي»[٢] الجيملة، أين منها حديقة ابن هاني!

---

(١) كان عمر المحاضر محمد يوسف مقلد حين إلقائه هذه المحاضرة خمسون سنة وعمر صاحب الصالون الأدبي الأستاذ نبيه بري عشرون سنة.

(٢) هي مزرعة الشيخ علي بري التي يراها ويعرفها كل من يعرف تبنين.. وموضع تندر الأخوان، بها وبالشيخ علي المعروف بكرمه الجم وأريحتيه الطيبة مع الأخوان =

من درب العين التي نعمّتها أقدام الصبايا والشبان، في البكور والعشيات، ذهاباً مع علاقات القلوب ونوازع الحب..

من «عريض النبي صدّيق» ولا أنبياء عندنا، وإنما الطبيعة عندنا، هي التي جعلت من بيت عتيق على رأس صومعة «مزاراً»، وهي التي جعلت من «صديق» نبياً، وهي قادرة أبداً أن تجعلنا جيمعاً بفضل الجمال والحب أنبياء طيّبين لوجهها الكريم..!

من هذه الأماكن كلّها، وما استتبع بها من بشر وشجر وحجر، أخوكم الواقف أمامكم بأجمل الأحاسيس وأروع الذكريات القروية!

نحن أخوانكم القدماء، هنا في هذه الأمكنة «التبنينية» الغالية، على «بيدر الشيخ حسن» وفي هذا المكان بالذات، حيث كانت مكان هذه الدارة الجميلة[1]. تقوم «خيمة الكرم» القديمة هنا، ولدت أرواحنا.. وعلى أذان الفجر، أذان مشايخ الحارة القدماء، وعلى تراتيل القرآن العظيم، صعدت أرواحنا إلى الأعالي، وكانوا هم معارجها الروحية إلى السماء!

نحن أولاء، أبناء الفطرة الموهوبة، تتلمذنا أول ما تتلمذنا على كتاب هذه الطبيعة الرائعة المنظورة و«تخرّجنا» أدباء، أو شبه أدباء..

إننا ـ اخوانكم القدامى ـ نشعر بفخر واعتزاز، لا حدّ لهما حين نجدنا قادرين أن نجلس معكم ونتحدّث إليكم، ليس فقط

= وخصوصاً في الأيام العصيبة كصيف ١٩٥٨ لا أعادها الله . . حيث كان بيته ملتقى الظرفاء والأدباء للترفيه عن النفوس التي آذتها الثورة أيما إيذاء . !

(١) منزل الأستاذ نبيه بري الحالي في تبنين.

كمسامرين، بل كمحاضرين أيضاً.. غير مرتبكين ولا متلعثمين، ودون أن نحمل من (الشهادات) سوى شهادة «أن لا إله إلا الله»!

نحن إذن كما ترون: صنائع أنفسنا وعصاميتنا، تعلّمنا الحرف على ضوء نار الموقدة.. ففي أحيان كثيرة كان زيت المصباح «نمرو ٢» يجفّ أثناء السهرة، ولا يبقى من بصيص غير بصيص نار الموقدة الضئيل، الذي يرهق عيني الصبي الصغير . يومئذٍ . مصحوباً بسحب الدخان!...

ما كان أهلنا فقراء فحسب، بل كان زماننا أشد فقراً من أهلنا.. فجميع الوسائل الميسّرة لكم اليوم للتحصيل، من كتب مترفة، وعلم منوّع، وأسباب رفاهية، جميعها كانت في طفولتنا ومطلع نشأتنا معدومة تماماً.. مع ذلك أنفقنا من نور عيوننا، وصحة أبداننا الضاوية العجب العجاب، حتى حصلنا على هذا القدر اليسير من الثقافة الأدبية التي انتزعناها انتزاعاً من براثن الفقر والفاقة والزمن المتخلّف!

كنا نكافح العوائق والمثبطات الزمنية والمادية والإجتماعية ولا نبالي!

أن صوراً شتى من صور البؤس والكفاح أعرضها، أعرض لمحات قصيرة منها على مسامعكم كما يعرض شريط سينمائي.. وإني لموقن بفائدة عرضها لأنها تشجّع كل من كانت ظروفه المادية منكم متخلّفة، وتحبّب إليه حياة النضال.. أقربكم إلى نفسي، أقواكم روحاً على مقاومة العوائق مهما كانت!

بينكم شاب من جيلكم لا يجلس معنا الآن، يصلح لأن يكون مثلاً أعلى للشباب المناضل الناجح بالرغم من كل عوامل الفقر والبؤس والحرمان، التي اعترضت سبيله، إنّه الضابط باقر بري.. وكلّكم يعرف قسوة الظروف التي مر بها، فغالبها وانتصر عليها!

إن حياة هذا الشاب تصلح لأن تكون أحسن قدوة يمكن أن يقتدي بها كل من تضطرم في نفسه بواعث الطموح، وحوافز النجاح!

قد لا يكون من الضروري أو اللائق أن أعرض صوراً مفصّلة لحياة سواي من الإخوان العصاميين، فبعضنا - وأخوكم منهم - لم يقرأ ولم يكتب على طاولة، ولا جلس إلى مكتب في بداية نشأته..

كان الواحد منا، طاولته ركبته.. يثنيها قاعداً على الحصير، على الأرض اليابسة، ثم يكتب أو يقرأ.. وأحياناً ينبطح على بطنه في أرض البيت ويشتغل..!

أخبركم أن معظم شعري الأول، شعر الصبا، نظمته على تلك الكيفية التي ذكرت.. أيها الأخوان الأعزّاء!

كما يفطر الصائم على تمرة، أو على كوب من الماء من قبيل الإستحسان الصحي، هكذا (أفطرت) قريحتي وروحي على الشعر أول ما أفطرت.

كان شيخي، الشيخ أحمد بري رحمه الله، يتوسّم فيّ خيراً أدبياً. وكنت . لذلك . مقرّباً إلى نفسه قربى الإبن من والده، لا فقط قربى التلميذ من أستاذه.

ومرة - فيما أذكر من بعيد - تخلّف أحد رعاة غنم والدي في

البيت لمرض ألمّ به، فانقطعت عن المدرسة والتحقت برعي الغنمات مدة أسبوع. فلم يكن حزني من ذلك الحادث أشدّ من حزن شيخي الشيخ أحمد رحمه الله. اسمعوا كيف صوّر عاطفته الطيبة لي . يومئذٍ . في هذيه البيتين:

مـحـمـدٌ، يـوسـف أرعـاك أغـنـامـا
لـيـت الـذئـاب رعـتـهـا عـنـك أعـوامـا!
أراك بـالـجـهـل دون الـعـلـم وا أسـفـي
كيف اللبيب يرى في الجهل إكراما؟

هكذا كنا.. وهكذا كان طموحنا في الحياة أكبر من حظوظنا.. فلطالما حلمنا بنهضة أدبية في بلدتنا نضاهي بها . على الأقل . جيراننا في بنت جبيل وشقراء، وكانتا سوقا من أسواق الأدب والشعر زمنئذٍ... ولا عجب، فقد كان الأدب . أي منذ ربع قرن . مطلباً من أعزّ المطالب وأجدرها بالعناية.. كانت البلدة أو القرية، ترى المجد كلّ المجد، في أن يكون فيها أدباء وشعراء يبيّضون وجهها في المناسبات المحلية المعروفة، كحفلات المآتم والأعراس المنتمية إلى طبقة الوجهاء والزعماء، وهي عوائد بالية في معظمها، إنما هكذا كان شأن الحياة العامة عندنا، وأصحاب الجدارة الصناعية، وغير ذلك من المهن الحرة التي هي اليوم مطالب أساسية، لم تكن تخطر ببال الناس عندنا إلا في الحالات النادرة، حيث كان الأدب أكثر ما يطمح إليه الطامحون...

لا أريد أن أدخل في تفاصيل بسيكولوجية وأتفلسف أمامكم، مبيناً الأسباب العديدة القريبة والبعيدة لهذه الظاهرة الفكرية من

حياتنا «العاملية» فقد كان لها ما يبررها حينئذٍ من حالات إجتماعية وسياسية واقتصادية.

إنما الظاهرة القوية البارزة بين ظواهر إيثار المجد الادبي على سواه، كان مبرّرها قوّة جمال الطبيعة في بلادنا، ونشاط المناخ.. الأمر الذي يخلق الشاعرية، حتى الرعاة وصبايا الحقول الفلاحات جامعات الحشائش وسعاة سلاّت السليق.. حتى هؤلاء في بلادنا شعراء على طريقتهم وفنهم.

والشاعرية في النفس طاقة روحية، قد تكون فصيحة تنتج الشعر الفصيح الموزون في موازين الخليل، وقد تكون عامية تنتج عتابا، ودلعونا، ومعنّى، وكل هذه شعر.. وشعر أرقى وأرقّ من الفصيح أحياناً!

هنا في هذا المكان الخلاّب، وعلى حافة ذلك (الجلّ) المنهار من كرم العنب الذي ترون، زعرورة لها تاريخ.. كانت (حداً) بين الكرم والطريق. وقديماً كان أثبت الأمور وأوضحها في أوضاع الأرض أن يكون «الحد على الزعرورة» أين هي الآن؟ كانت لا تبعد سوى بضعة أمتار عن شجرة البطم التي ما تزال قائمة... هل (بعمّت)[1] على طول الأيام، أم أن الفأس اجتثّها لإزالة معالم الحد والتقديم على الطريق؟

كانت أعالي تلك الزعرورة . سقى الغيث أرضها . عرزالاً

(١) بعمّت: اي فتكت بها دويده يطلق عليها العامليون اسم البعّيمة . فاشتق المحاضر ومنها هذا الفعل.

كعش الطائر لأخ عصامي قديم من أخواننا، هو الشيخ عبد الله بري[1]، الذي أصبح اليوم في المهجر النائي علماً من أعلام المنابر والقلم. كم كانت تطيب لنا . منذ خمسة وعشرين عاماً . . نجوى الطبيعة . . الخلّة وما انكشف للناظر حولها . على عرزال تلك الزعرورة في البكور والعشيّات!

ويالله، كم نحن مدينون شعرياً في بلادنا إلى العرزال، والخيمة، والمجوز، والشبّابة، وإلى تلك «الأوف» الطويلة الشجيّة في مستهل مقطع ميجانا!

لئن بقي إنسان اليوم، والزمن زمن طغيان مادي وناري وحديدي، أقول لئن بقي إنسان إلى اليوم يتحدّث بالروحيات والعواطف والخيالات (وزمط من النعت بالجنون)... فالفضل في ذلك راجع إلى طبيعة بلادنا ومناخها الرائعين!

فالطبيعة الجميلة عندنا، هي التي خلقت الأدباء والشعراء.. ولعمري لو أن الحياة خلت من مثل هذا النشاط الروحي، لكانت عبئاً لا يطاق، ولانسحقت الأرواح الذوّاقة الحساسة التي تعيش بفطرتها أطياف الجمال، كما يعيش السمك بالماء!

قدّمت أن الأدب هبة الطبيعة الجميلة فينا، وأعقب أن بلادنا لم تنجب الأدباء العصاميين فحسب، بل أنجبت أيضاً أديبات نابغات،

---

(١) هو عم الرئيس نبيه بري، وقد جاء لزيارة لبنان هذا الصيف. من مواليد سنة ١٩١٠، وهاجر إلى ديترويت سنة ١٩٣٠ وما زال مقيماً فيها، محاضراً ومؤلفاً وشاعراً وكاتباً.

انفرد جبل عامل بواحدة منهن، لم يعرف تاريخه القديم والحديث أعظم منها ولا ألمع.

إنها المرحومة زينب فواز. وهذا الإسم الكريم ليس نكرة لدى أحد في دنيا العرب، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلى اليوم. زينب فواز ليست مفخرة من مفاخر تبنين فحسب، بل من مفاخر الشرق، يوم كانت المرأة فيه تعيش وكأنّها في عصور الظلمات!

فيوم لمع نجم زينب لمعاناً باهراً رآه حتى الغربيون، لم يكن بعد في سماء دنيانا الأدبية والفكرية نجوم نسائية . اللهم إلا نجمتين صغيرتين أحدهما وردة اليازجي اللبنانية، والثانية عائشة التيمورية المصرية، وحتى هاتين النجمتين الصغيرتين كان الفضل في وصول أخبارهما إلينا كتاب «الدر المنثور» لبنت بلدنا زينب فواز!

إن زينب فواز هذه، وإن كانت بنت بلدكم؛ فإنكم مع شديد الأسف، لتجهلون أخبارها وسيرتها العظيمة أتعس جهل!

إن أسعد أيام حياتي، هو اليوم الذي سيقدر لي فيه أن أصدر كتابي المعدّ عنها[1].. فلقد أسعدني الحظ وأنا في دمشق أن أعثر على جميع مؤلفاتها، وأن ألتقي بأحد تلامذتها شخصياً، وأن أشهد المدرسة التي ما تزال تحمل اسمها حتى اليوم في شارع جمال باشا.

ماذا أحدّثكم عنها في ورود عابر لا يتّسع حتى لليسير القليل من أخبار حياة مليئة بالمفاخر بالمرأة: أختاً، وزوجة، وأماً، وأديبة

(١) يبلغ كتاب محمد يوسف مقلد عن زينب فواز مائة وتسع صفحات من القطع الوسيط، وهو موجود في مكتبتي بانتظار تحقيقه ونشره.

ومصلحة اجتماعية، لم تتمثّل في سيدة من سيدات مجتمعنا القديم كما تمثلت في زينب فواز!

كلّ صفة من هذه الصفات، موضوع قائم بذاته، لمن تراوده نفسه أن يتحدّث أو يحلّل، فكيف بها جيمعها؟

وإني لأرجو أن تتاح لي فرصة خاصة ملائمة لأعرض عليكم صوراً شتى لبنت بلد هي ولا ريب، مفخرة من مفاخرنا، ولتروا كيف استطاعت امرأة في مثل ظروفها وظروف وطنها في ذلك الحين، أن تحقّق لنفسها، بل لنفس المرأة العربية أعظم المعجزات!

قدّمت لكم أيها الأخوان والأخوات، عرضاً بسيطاً موجزاً لحالات إنسانية ومحلّية، آملاً أن تكون قد وقعت في نفوسكم، وفي موازين ملاحظاتكم مواقع القبول والرضا.. وأما الشعر وخصوصاً الشعر (الإنطباعي منه)، فقد لاحظت من إقبالكم عليه وتذوّقكم له، خلال لقائي بكم هذا الصيف، ما يشجّعني على أن أسمعكم منه بعض المقاطع، ومعظمه عندي ينبع مما انطبعت به نفسي ورأته عيني في وطني أولاً، وفي مهجري ثانياً.

ففي مطلع الصبا، تعلّمت الحب أول ما تعلمته من عيني فتاة هنا، فكانت أول لغة صامتة فصيحة يتفاعل معها قلبي وشعوري.

أيا لغة العيون لأنت سرٌّ غريب تصمتين فتفصحينا
لئن خرست أداة النطق فينا فإنك بالخواطر تنطقينا

هذه اللغة، لا أعتقد . وكلّكم شباب . أن أحداً منكم يجهلها، ولا شكّ أنكّم تخاطبون بها كل يوم!

وفي مهجري اعتصرت قلبي بعض حالات الحياة، فكانت هذه الأبيات الثلاثة:

بـعـدٌ، وشـوق، وآلام مـبـرّحـة ... ما طال في عهدها عمر المحبّينا
ظلـم وذكرى وتـعذيب وموجدة ... لم تتخذ بحشىً عطفاً ولا لينا
أب، وأم، ومـحـبـوب تـذكـرهـم ... يـميتنا كل يوم ثـم يـحـيـينـا

وفي إحدى الحالات . في المهجر أيضاً . كان في قلبي جرحان، أحدهما مشترك بيني وبين فتاة أخاطبها من بعيد:

بقلبي في النوى جرحان جرح ... علـى نـفـسـي ومـن أهـوى يـعـزُّ
وجرح لسـت أشـرك فيه غيري ... فـذلـك لـلـحـوادث فـيـه لـغـزُ
كلا الـجـرحين مجنون معنّى ... كـأنّ بـمـهـجـتـي سـوس تـحـزُّ

ومرة التقيت هناك بجميلة مسيحية بعيد الفصح، فما سمعت لفظاً إنثوياً يوحي الحب والشعر كلفظها:

ولـفـظ فِـهْـتِ فـيـه وعـتـه أذنـي ... تـغلـغل فـي شـفـافي فـهـو بِـشْـرُ
وشـعـر فـيك مرصـود القـوافي ... تـنـزّل عن جـفـونك فـهـو سـحـرُ
وسـلـسـلـة بـجـيـدك قـد تـدلّت ... زهـا عـنـق بـهـا واعـتـزّ صـدرُ
تـعلّق فـي ذؤابـتـهـا خـشـوعـاً ... يـسـوعك فـهـو يـوم الـعـيد ذكرُ
اذات الـجـبّـة الـحـمـراء مـهـلا ... تـوّهـم نـاظـروك فـقـيـل حَـبْـرُ

ومرّة في . دكار . كنا في حفلة طرب، خليط من الأوربيين وأبناء العرب، وكان أجمل الحضور عازفة على (القانون):

يـا لـلـعـيـون الـتـي بـاتـت تـخـالـسـنـا ... روائق الـلـحـظ أضـنـى جـفـنـهـا الـسـهـرُ

يا للجمال الاوروبي في موائدنا
لا زال يعبق من أعطافك العطر
وغادة من بنات الغرب مطربة
لا يستقرّ لها في موضع نظر
إما بدت فتنت أو وقّعت سحرت
أو أنشدت لا تسل عن حُضّرٍ سكروا
ومعزف كاد أن يدمي انامـلـها
جسته هل نبتت بالمعزف الأبر
وددت لو أنّني في سمعها نغمٌ
وددت لو أنّني في عودها وتر

وعلى شاطيء البحر في دكار - البلاج - صوَّبت؛ (كامرا) عيني إلى المشهد التالي:

تعرت للسباحة ليس يلفى
على لبات ذاك الجسم ستر
سوى (هدم) كقاب الشبر أو ما
يقصّر عنه لو عاينت شبر
كأن عرى القميص وقد نضته
سبائك من بخانقها ودرّ
مشت فوق الحصى للبحر قفزاً
كأنّ حصى شواطي البحر جمر
حسدت الموج وهي لديه سكرى
لها وله معاً، كرّ وفرّ
يداعبها، ويلطمها رفيقاً
بها وعلى ترائبها يمرّ
تعانق موجة فتغار أخرى
ولا خوف يخالجها وذعر
لها كالبحر، وهي تعوم فيه
كما شاء الهوى مدٌّ وجزر
وشختور وليس له شراع
يداعبه الخضمّ فيسبكرّ
إذا ركبته لا يثنيه نهيٌ
دخيل في مشيئتها وأمر

غدت سكرانة فقدت نهاها
كأنّ مياه منشي السحب خمر
عساها لا يثوب لها حجاها
جنون الحسن مرآه يَسُرُّ
يكاد الموج يخطفها وينجو
بها فكأنّه في اليمِّ صَقْرُ
دنت منّي وما ارتابت فبيني
هناك، وبينها إذ ذاك فتر
وقفت أمتّع النظرات فيها
وملء جوانحي شوق مُقِرُّ
نجوم الأرض هنّ بنات حوا
وهنّ لنا بروض العمر زهر
تأمّل عند شاطي البحر بحراً
يموج من الخلائق فيه بحر

وأخيراً؛ اشتّد الحنين إلى لبنان، بل إلى تبنين، بعد اثني عشر عاماً، فعدت أستوحي جمال بلادي، مستحّثاً النفس للعودة:

لبنان يا وضح النهار ودفقة
الصهباء للسكران واليقظان
يا رقّة الحلم الجميل ولهفة الإبن
الحبيب الدائم التحنان
جار النجوم تغيب كل مضيئة
ويظلّ نجمك باهر اللمعان
سكر الجمال على هضابك سكرة
ظلّت حديث الدهر والأزمان
ما كنت أعلم من قبل هجرك والنوى
يوماً مدى الأشواق للأوطان
أبصرت بالروح التي نَسَّمْتَني
وبرأت ما لا تبصر العينان
فلأنت في نفسي إذا ما استيقظت
وإذا غفوت فأنت في أجفاني

وما هي إلا أسابيع بعد هذا الحنين، حتى حطّ البعد حقائبي على ميناء دكار، وصعدت سلّم الباخرة متوجّهاً نحو الوطن الحبيب. ولما صرت في عرض البحر ألقيت آخر نظرة على إفريقية:

إفـريـقـيـا الـسـوداء يـا دعـد ... ولّـى غـرابـك وانـقـضـى الـعـهـدُ
قد كنت فـي عينـيّ كـاس طلـى ... ولـقـد سـكـرت وعـاود الـرشـد
أرسـت علـى الميـنـاء باخـرتـي ... وحـقـائـبـي يـعـدو بـهـا (الـعـبـد)
عقدٌ من العمر النفيس مضـى ... وتـلاه فـيـك لـشـقـوتـي عـقـد
كـم مـن حـبـيـب فـيـه أفـجـعـنـي ... الـقـاتـلان: الـشـوق والـوجـد
بـالأمـس بُـعْـدٌ مـا بـه قـرب ... والـيـوم قـربٌ مـا بـه بُـعْـدُ
لـبـنـان، وا شـوقـي لـرؤيـتـه ... أتـرى يـطـيـب ويـحـمـد الـعَـوْدُ

وأخيراً، هوّن الله، وعانقنا الأهل والأحباب في تبنين في أوائل ١٩٥٠، وكانت خاتمة المطاف «خاتمة لقاء» مع إحدى المسلّمات علي، فوقفت مذهولاً.

كانت وقفتي على أطلال جمالها الراحل ساعة السلام بالرجوع . أشد إيلاماً على نفسي من ساعة وداعها يوم الفراق! وفي هذا الموقف ختمت آخر عهدي بالحب والشعر.

لـقـيـتـك حـزن أيـام الـرجـوع ... وأشـواق الـمـنـازل والـربـوع
أحسّك بـي كـأنـك فـي وجـودي ... وأشـعـر فـيـك أنـك فـي ضـلـوعـي
وقفت على خريف صباك بعد الـ ... مـجـيء وكنت في غضّ الربيع
عضضت أناملي أسفاً وحزناً ... على هـذي الـنـهـايـة لـلـشـمـوع
أشـدّ مـن الـفـراق عـلـى فـؤادي ... ونفسي مثل ذا الشمل الجميع
أصـون لـدي مـنـديـلاً حـبـيـبـاً ... هـوانـا فـيـه مـن شـيـم الـدمـوع

إخواني الشباب:

كم أنا سعيد بهذه المناسبة على علاّتها، أقول «علاّتها» لأنّه ما من عمل أو مشروع أو محاولة لا يشكو علّة ما أو عِلَلاً متعدّدة في بادىء الأمر، ثم يتوالى، إذا توالى أكثر صواباً ونجاحاً حتى يقارب الكمال.

ومحاولتكم هذه، أي خلق جو أدبي ثقافي عن طريق أمسيات خطابية، عمل مشكور نستقبله بعظيم الأمل والتقدير. ولشدّ ما أتمنى عليكم أن تتوسّعوا في محاولتكم، فلا تبقى مقتصرة على (جحا وأهل بيته). نرجو أن تصل محاولتكم إلى حد الإنصاف بأنها «نهضة أدبية جبّارة» بحيث تتطوّر وتستهدف دعوة كبار الأدباء والأديبات، أمثال الشيخ عبد الله العلايلي ونزار قباني والآنسة نور سلمان والسيدة أودفيك شيبوب.

إن محاولة من هذا النوع، لعمل رائع يرفع اسمكم واسم بلدكم عالياً، كما يجعل للصيف عندنا رونقاً لا أبدع ولا أمتع.

لقد آن لنا أن نخرج من نطاق حياتنا العادية التي نحياها بليدة سخيفة مملّة.

يجب أن تبرهنوا على أنكّم أهل لهذه المحاولات بحقٍّ ويقين، لا سيما وأن عندكم من أسباب العون على الظهور بكلّ مظهر لائق، كلّ ما تريدونه.. فالسياسة والوجاهة والكرم، عندنا من يمثّلها أحسن تمثيل، والعلم على أنواعه: الهندسة، الطب، القانون، التربية، الأدب، الصحافة، كل ذلك عندنا منه.. ولخيراً . لاآخراً . بلدة طيبة المناخ، ورب غفور!

إذن فقولوا لي - بالله عليكم - أي شيء ينقصنا في تبنين ليكون عندنا نهضة مرموقة؟؟

نعم، ينقصكم أمران مهمّان، أولهما التصميم المنظّم، وثانيهما أن تعيشوا عصركم، لا عصر آبائكم. وبعبارة أوضح، أن تعيشوا بعقلية الشباب المتعلّمين، لا بالعقلية المحليّة التقليدية الموروثة، والإعتبارات العائلية البالية.. ولي من حسن فهمكم ما يغني عن الإيضاح: إن الشباب عنوان بلدهم تقدّما أو تخلّفا، في كل زمان ومكان. وإنكم من غير ريب أحسن عنوان لبلدكم، وزمانكم أفضل زمان، لستم شيئاً إن لم تحقّقوا شيئاً، ولستم شباباً ناهضاً إن لم تحقّقوا نهضة!

لا تقنعوا أبداً بما وصلتم إليه، فما يقتل روح الطموح شيء كالقناعة.

شباب خُنع لا خير فيهم وبورك بالشباب الطامحينا

وقبل أن أغادر مكاني، أرى لزاماً عليّ توجيه شكر باسمي، وأعتقد أني أستطيع أن أقول باسمكم أيضاً إلى الشاب الناهض، الأخ نبيه بري[١].

إن هذا الشاب يستحقّ أكثر من شكرنا، إنه يستحقُّ أسمى تقديرنا، وأعمق حبّنا على ما بذل ويبذل، في سبيل إعلاء اسم بلده، وعندكم أنتم رفاقه وأخوانه عنه الخبر اليقين.

---

(١) ان الشكر الذي وجهّه الشاعر محمد يوسف مقلد لصاحب الصالون الأدبي الأستاذ نبيه بري، يتضمن إشارة إلى الموقع المبكر والمتقدّم للرئيس بري في الحالة السياسية والأدبية والإجتماعية في جبل عامل.

فالله تعالى يوفقّكم وإيّاه لما فيه خيرنا جميعاً، وكل صيف وأنتم بخير.

وبعد أن هدأت الأحوال في لبنان بعد اندلاع فتنة صيف ١٩٥٨، هدأت نار الأدب في صالون الأستاذ نبيه بري وبدأ لبنان مرحلة سياسية جديدة، دفعت به للإبتعاد بعض الشيء عن الأحداث الأدبية والشعرية وإعطاء الجانب السياسي في حياته الإهتمام الأكبر.

ولم يغب الشعر والأدب لحظة واحدة من عقل وفكر الأستاذ نبيه، فهو رغم انزلاقه في متاهات السياسة اللبنانية والإقليمية، ورغم مشاغله الجمّة، إن كانت في مجالات تنمية الجبل العاملي أو تحريره من الإحتلال، أم حفظ حق العامليين في المحاصصة الطوائفية التي فرضتها تركيبة لبنان السياسية، فقد أشرف شخصياً على زرع قرى الجبل العاملي بالمدارس الإبتدائية والثانوية، إضافة إلى افتتاح مكتبة جوزيف مغيزل العامة في تبنين، وإقامة مجمّع نبيه بري الثقافي، ومركز باسل الأسد الثقافي وتشجيعه العديد من المنتديات والصالونات الأدبية في جبل عامل.

وهو حين يلقى خطبه السياسية والإجتماعية، لا يستطيع المستمع أن يميّز هذه الخطب، عن أية قصيدة نثرية حديثة، تجد فيها جيمع التيارات الأدبية، من واقعية، أو رومانسية أم رمزية، بالشكل والمضمون والإيقاع والرمز.

صالون الحاج سعيد آغا فواز الادبي

بالرغم من هجمة تقنيات الإعلام الحديثة على المجتمع العاملي، فقد استمر الإهتمام بالشعر والأدب والامسيات الأدبية في تبنين، إضافة إلى جو المرح والفكاهة ولذّة تذوّق الشعر التي يقدمّها الصالون الأدبي، فهو يلبّي حاجة إجتماعية مهمّة، ما زالت معشعشة في نفوس العامليين، ألا وهي حاجة الإجتماع، أو حاجة التلاقي والتسامر والتحادث.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد أهلنا في المهجر الأميركي وخاصة أبناء بنت جبيل وتبنين، يعملون قبل الظهر، ويستريحون بعد الظهر، إما في المقهى، أو في المجمع الإسلامي، أو في المركز الإسلامي، أو في النادي اللبناني أو أمام دكاكينهم المنتشرة في شوارع ديترويت، كأنّهم في دكاكين ساحة تبنين أو بنت جبيل، يقعدون في الدكان أو أمامه، يتحادثون ويتسامرون. فيمرّ الأميركي متعجبّاً، يرمقهم بنظره متسائلاً: لماذا يجلسون هكذا يومياً؟ وماذا يفعلون؟ فالوقت عند الأميركي يعني دولارات، فيتساءل، لماذا هؤلاء اللبنانيون يضيعون وقتهم في الجلوس والتحدّث؟ ولكنّه لا يجد الجواب. لإن حاجة الإجتماع بالأهل والأصدقاء والأقارب، مفقودة عند الأميركيين.

مما يعني ان المنتدى أو الصالون الأدبي لا يلبّي حاجة أدبية وشعرية وفكرية فقط، بل يؤدّي حاجة إجتماعية، ما زال أهلنا في تبنين، وكل أصقاع العالم يحافظون عليها، الا وهي احترام العلاقات الأسرية والعائلية والإجتماعية، فالإحتفالات التي يقيمها أهلنا في

منتدياتهم في المهجر الأمريكي خير دليل على التواصل الأسري والعائلي الإجتماعي.

من هنا كانت دكانة الحاج سعيد آغا فواز، هي حلقة اتصال وتواصل بين شعراء وأدباء ووجهاء وأعيان تبنين ومنطقتها.

وهذه الدكان التي كان افتتحها الحاج سعيد فواز، متجراً في بداية عهده بالتجارة بالتنسيق مع المرحوم الحاج حسن وزنة، وقد كان من يملك دكانا في تلك الأيام، يعتبر من الوجهاء والأعيان، بسبب الفقر المدقع الذي كان يحيط بالناس في تبنين والجبل العاملي، ثم اتخذها الحاج سعيد مكاناً لالتقاء الناس وأصحاب الحاجات والأصدقاء، فغلب عليها الإسم السابق: الدكان، بينما عمرها كدكان لا يوازي ٥٪ من عمرها كمنتدى أدبي وملتقى للأعيان ولوجهاء المنطقة.

وكان يجتمع في هذا المنتدى المعروف لدى الجميع باسم «دكانة الحاج سعيد» حشد من أبناء البلدة، ومن أبناء المنطقة. وأحياناً يتحوّل هذا المنتدى إلى مركز ديني لمناقشة بعض الإشكالات الفقهية التي يلتبس تفسيرها وتنفيذها على أحد العوام، وأحياناً تكون الجلسة أدبية وشعرية محضة، فيها من الفكاهة والنوادر والملح التي تثلج الصدور.

أما الحاج سعيد راعي هذا المنتدى، كان رجلاً قليل الكلام، أجتماعياً بطبعه، متواضعاً، وقد جعله تواضعه مقصداً لكل الفئات في تبنين ومنطقتها.

ورغم أنه بدأ حياته جندياً ثم عريفاً في الجيش التركي، لكنه كان غزير الثقافة، واسع الإطلاع، متنوّع المعارف والمدارك، وخاصة

في التاريخ العربي والإسلامي والفقه والسنة وعلوم أهل البيت وشرح الحديث والتفسير.

ومن أعضاء منتداه الأدبي، كان السيد حسن محمود الأمين، والسيد محسن الأمين، الذي كان عند رجوعه من العراق، ينزل ضيفاً على الحاج سعيد فواز قبل مواصلته الرحلة إلى بلده شقرا، حيث كان الحاج سعيد فواز يستأجر فرس المرحوم محمد فاعور - أبو سليمان - لإيصال السيد محسن إلى شقرا، والسيد محمد إبراهيم (من بلدة أنصار)، والشيخ يوسف الفقيه وولده آية الله الشيخ علي الفقيه الحاريصي، والشيخ محمد علي ناصر (من حداثا)، وآية الله الشيخ محمد تقي الفقيه الحاريصي، والشيخ محمد نجيب مروة. ومن تبنين المرحوم الشاعر نمر دكروب، والمرحوم السيد يوسف صالح، والمرحوم النائب محمد علي غطيمي.

ويذكر أهالي تبنين، أنه لما توفي إمام البلدة المرحوم الشيخ موسى جميل بري، وكان ولداه، الشيخان، عبد اللطيف ومحمّد رضا، يافعين لم يبلغا سن الرشد، وشعر أهل تبنين بخلوها من عالم يفقهها أمور دينها، فاستشاروا النائب محمد علي غطيمي، فأشار عليهم بقوله: إسألوا الحاج سعيد فواز، فإنّه واسع الإطلاع في الأمور الفقهية والدينية كما يروي أهل تبنين، كما ان الحاج سعيد كان يؤمّن متطلبات دراسة الشيخ موسى في النجف ويرسلها له تباعاً.

وأكثر الأحيان كان اللقاء الأدبي في صالون الحاج سعيد يبدأه الحاج سعيد بإلقاء بيت من الشعر ويطلب من الحاضرين الإجابة عليه ببيت يبدأ بنفس القافية التي ينتهي فيها البيت السابق.

وهكذا تكر سبحة الشعر، ثم ينتقل المحفل إلى مناقشة الامور السياسية والدينية والفقهية..

والحاج سعيد محمود آغا فواز، كان قد ترأس جمعية ألَّفها شباب تبنين للقضاء على حكم آل هزيمة وأعوانهم. وقد ذكر نمر دكروب في مذكراته انه كان أصغر الأعضاء سناً وأشدّهم ذكاءً.

ويذكر المعمّرون من أبناء تبنين، أنه عندما فرّ كامل بك الاسعد الأول من وجه الفرنسيين، قام الحاج سعيد بتشكيل عرائض وتواقيع تطالب بالعفو عنه وعودته إلى جبل عامل. كما يروون أنّه عندما قابل المندوب السامي الفرنسي ترابو في صور، حرّضه ترابو على معاداة كامل بك الاسعد بسبب تحريضه العامليين الشيعة على قتل النصارى، فجابهه الحاج سعيد فواز برسالة موقّعة من كامل بك الأسعد وموجّهة للحاج سعيد فواز، تطالبه بحماية المسيحيين في تبنين والجوار، مما أقنع المندوب السامي بحسن نوايا كامل بك الأسعد وهكذا فقط نجحت مساعيه، وعاد كامل خليل بك بفضل ذكاء الحاج سعيد إلى الجبل العاملي.

وكان كامل خليل بك الأسعد يقدّر الحاج سعيد فواز تقديراً خاصاً، حتى كان يراسله بشكل دائم طالباً المشورة، او الإلتقاء في سهل الخان للتشاور حين مروره في المنطقة.

وعندما توفي كامل بك، لم يقم صهره وخليفته أحمد بك، بواجب الوفاء لمواقف الحاج سعيد، مما أبعده عن آل الأسعد. وكانت وجاهة الحاج سعيد فواز، تكبر وتنمو على مر السنين بفضل حكمته وفطنته ونباهته وتفرّغه للشان العام.

وعندما تسلّم الحاج سعيد رئاسة بلدية تبنين، قام بشراء دكان يوسف برهوم الحداد وحوّله إلى مبنى للبلدية. وفي عهده تحوّلت طرقات تبنين كلها من طرق مرصوفة بالحجارة إلى طرق معبدة بالأسفلت والباطون.

والشجرة الطيبة لا تطرح إلا ثمراً طيباً، فقد تخلّف الحاج سعيد بأولاد وأحفاد؛ ساروا على درب والدهم وجدهم في خدمة الناس، كمدير مكتب شركة الريجي في تبنين الأستاذ حسين الحاج سعيد فواز ـ أبو شوقي ـ وولده العقيد شوقي فواز، والأستاذ علي الحاج سعيد فواز ـ أبو ماهر ـ والأستاذ مصطفى عبد الأمير فواز ـ أبو أمير ـ ومدير مدارس المهدي في تبنين الأستاذ علي فايز فواز ـ والدكتور علي اسماعيل فواز، الذي ما فتأ يحاول إنشاء جمعية تهتم بالأدب والشعر وبمشاكل الناس في تبنين والجوار.

وقد أمد الله بعمر هذا الرجل الطاهر، حتى بلغ المائة عام، فقد عاصر القرن العشرين بكامله، وبكلّ تقلّباته السياسية والإجتماعية. وكانت مناسبة وفاته، مناسبة شعبية عامة، جمعت كلّ محبّيه ومحبّي أولاده وأولاد أولاده من أبناء تبنين والجبل العاملي.

ولم تخل تبنين على مر العهود والتقلّبات الإجتماعية والسياسية من بيوتات وأشخاص وزعماء يهتمّون بالأدب والشعر، مثل «أبو سليمان داوود برهوم الحداد وشقيقه أيوب الحداد ـ أبو داوود ـ وحبيب نوفل القهوجي وولده إبراهيم. وحبيب نوفل

قهوجي، كانت داره مفتوحة لكل ضيف وطارئ[1]، وكان لحفيده الأستاذ خليل ابراهيم نوفل قهوجي اليد الطولى في تأسيس النهضة العلمية التي وصلت إليها تبنين في النصف الثاني من القرن العشرين، فقد تخرج من تحت يده الوزراء والنواب والزعماء والشعراء والأدباء والعلماء وكبار الضباط والمدراء العامون، وكلّهم لا ينكر فضله أو يجحد دوره كمرب لأجيال تبنين، خلال أصعب حقبة من حقبات النضال العاملي ضد الفقر والجهل والتخلّف والعدو الصهيوني الماثل على الحدود الجنوبية.

وكان من الذين يشجعون الشعر والأدب، الحاج يوسف آغا فواز، والسيد علي يوسف صالح، والنائب الأسبق محمد علي أفندي غطيمي والنائب السابق، الأستاذ سعيد فواز.

وكان للأستاذ سعيد فواز غرفة صغيرة أشبه بديوانية يستقبل فيها، أصحاب الحاجات والمحازبين والأنصار، وأكثر هذه الإستقبالات كانت تتحوّل إلى ندوات أدبية وشعرية. وكان من الوجهاء والزعماء والأدباء والذين يتردّدون إليها، كل من: محمد نجيب مروة، عبد الحسين عبد الله، موسى الزين شرارة، حسن فرحات، نجيب فرحات، عبد اللطيف شرارة، الشيخ علي الزين الجبشيتي، سرحان سرحان، السيد محمد صفي الدين، عز الدين الكلش، نجيب شعبان، وأكثر هؤلاء الشعراء ارتباطاً بالأستاذ سعيد،

---

(١) راجع: مجلة المشرق، المجلد العاشر سنة ١٩٠٧، مقالة بعنوان: سياحة أسقفية إلى بلاد بشارة، بقلم الخوري إبراهيم حرفوش، ص.١١٢٦

كان عبد الحسين عبد الله والشيخ محمد نجيب مروة. وكل مثقّفي تبنين والجوار يعلمون مدى تشجيع الأستاذ سعيد فواز للعلم والعلماء والأدب والأدباء، حتى توّصل به الأمر إلى السفر إلى المهاجر الأميركية وجمع التبرعات وعاد بها فعمّر المدرسة الرسميّة، وأرسل العديد من الطلاب النابهين إلى الثانويات والجامعات.

ولما كان الأستاذ سعيد قد شقّ لنفسه نهجاً سياسياً مستقلاً عن الزعامات المحلية وخاصة آل الأسعد، قام بزيارة صديقه الشاعر محمد نجيب مروة في عيتا، فغضب أهل عيتا من هذه الزيارة ولما كانوا لا يتجرّأون على التصادم مع أهل تبنين، وخاصة مع الأستاذ سعيد، فما كانوا منهم إلا أن قرّروا الإنتقام من شيخ بلدتهم الشيخ محمد نجيب مروة، فاقدموا على سرقة عمامته. فنظم هذه القصيدة بهجائهم فقال[1]:

لقد وجبت مذمّة أهل عيتا	لتركهم المروءة والشهامه
لو أن لهم كبعض الناس ديناً	لما سرقوا لشيخهم العمامه
فلا دينٌ ولا شرفٌ لديهم	ولا لهم على الحقّ استقامه
ولا عرفوا لبارىء هم حلالاً	ولا اجتنبوا لجهلهم حرامه
لعمري ان شهر الصوم وافى	فما أدّوا كغيرهم صيامَه
بلى جمعوا أوائله حروباً	ونَهْبَ العمة البيضا ختامه

(١) روائع الأدب الفكاهي العاملي، الشيخ علي مروة، ط٢، بيروت دار الأضواء، سنة ١٩٨٦، ص١٨.

لـمـاذا قـوم مـوسـى لـم يَـمَـسُّـوا لـحـاخـام لـهـم أدنـى كـرامـه؟
لـمـاذا قـوم عـيـسـى قـد أكـبّـوا على الخوري وما حفظوا مَقَامه
لـــمـــاذا كـــلّ درزيّ نـــراه لشيـخ الـعقل يشـهد بـالإمامـه
أقـمـت بـربـعـهـم زمـنـاً طـويـلاً فـيـا بـعـداً لـهـاتـيـك الإقـامـه
لـو انّـي بـيـن أظـهُـر قـوم عـاد أقـمـت لـنـلـت أنـواع الـكـرامـه
سـالـت الله يـخـرجـنـي سـريـعـاً من الـبـلـد الـذمـيـمـة بـالـسـلامـه

وقد استمرّت تبنين ملتقى للأدباء والشعراء في المنطقة حتى بداية الإحتلال الإسرائيلي للشريط الحدودي سنة ١٩٧٨ وتوسيعه سنة ١٩٨٢.

وبعد الإنسحاب الإسرائيلي إلى تلة بيت ياحون تابع مثقّفو تبنين والمهتمّون بالأدب والشعر، رغم خطورة القصف الإسرائيلي العشوائي، إقامة بعض الندوات الأدبية والشعرية، فأقيمت عدة ندوات في بيت المرحوم الأستاذ فريد علي حسن مقلد وبيت الحاج محمد عطا الله دكروب ومنزل كاتب هذه السطور.

ولكن الخوف من القصف العشوائي أدّى إلى اضمحلال هذه الندوات، فيما استمرّ وجود الأدباء والشعراء من أبناء تبنين وهم كثُرٌ وقد أفردنا لهم كتاباً خاصاً يعالج الحركة الأدبية والشعرية لشعراء تبنين.

وأخيراً، فإن ظهور هذه الكوكبة من الشعراء في قصور بلاطات تبنين، إبّان عصر الإنحطاط بالذات، شكل واحة أدبية في صحراء الظلام العثماني لم يعرف التاريخ العربي والإسلامي حالة

الأسعد. وبلاط سيف الدولة الحمداني، لولا المتنبي وأبو فراس، لما اشتهر وعرف في تاريخ الأدب العربي. وسوف نفرد لهؤلاء الشعراء في آخر البحث، كشّافاً يسلّط الضوء على حياة كلٍّ منهم.

ويتفاجأ قاريء هذا الكتاب، بل ويتساءل، لماذا لم تقم وزارة التربية الوطنية في لبنان بتدريس شعر شعراء هذه المنطقة من لبنان؟ ولماذا لا يعطي الباحثون اللبنانيون لهم أدنى اهتمام؟ خاصة انه عندما كان الشيخان ابراهيم الحاريصي وابراهيم يحيى الطيباوي ينظمان عيون القصائد، كان جبل لبنان لا يملك من الشعر سوى زجلية ابن القلاعي.

ولمن يريد المزيد من الإطلاع على شعر شعراء هذه الكوكبة يستطيع العودة إلى مجلدات أعيان الشيعة لمؤلّفها السيد محسن الأمين العاملي.

ولكي لا تضيع هذه القصائد التي قيلت في تبنين وأهلها وزعمائها، قمت بإثبات ما وصلت إليه، يداي منها وألحقتها بهذا الكتاب.

وبالرغم من الإهتمام وجمع كل ما وجدت وسمعت من أفواه المعمرّين ولو قيّض لي وذهبت إلى مقابلة أهلنا بالمهجر لجمعت الكثير. وقبل إرسال هذا الكتاب إلى الطبع حدثني الحاج عبد النبي سعيد فواز، أبو مصطفى، ان هناك قصيدة نظمها الشيخ محمد نجيب مروة يمدح السيد يوسف صالح ولكنه لم يعد يحفظ إلا مطلعها وهو:

يا يوسف الحسن يا سبط النبيين يا من به زين الرحمن تبنين

وللأسف هذا مصير التراث إذا لم يجد من يهتم بجمعه وحفظه.

ملحق النصوص الشعرية

لماذا هذا الملحق؟

عندما نمعن النظر في هذا العدد الغفير والجم من القصائد التي نظمها الشعراء العامليّون في مدح تبنين وزعمائها، تصيبنا الدهشة والحيرة والانبهار، لإننًا إذا قسنا تبنين بغيرها من القرى والبلدات العاملية، نجدها تندرج في إطار القرى والبلدات الصغيرة، أمام مدن وبلدات، أمثال بنت جبيل، وعيترون وميس، والنبطية، وأنصار، وصيدا، وصور، والغازية، وغيرها من البلدات العاملية الكبيرة، والزاخرة بالطاقات والقدرات الفكرية والأدبية والتاريخية. فنضطر إلى طرح السؤال التالي: لماذا تميّزت تبنين بهذا الاستقطاب؟ ولماذا كانت محور القرارات العسكرية والسياسية والأدبية والشعرية؟ خلال حقبة سبعة قرون من تاريخ لبنان وجبل عامل؟

حتى إذا وسعّنا الدائرة، لأبعد من جبل عامل، أي حتى نصل بر الشام كلّه، لن نجد بلدة أو مدينة نالت في هذا الحقبة من عصور الإنحطاط، ما نالته تبنين من اهتمام سياسي وأدبي وشعري.

ونحن إذا حاولنا إظهار تمايز تبنين وأهلها بالفكر والشعر

والأدب والسياسة، فليس من باب الإنعزال أو باب الاعتزاز بالمناطقية الضيّقة في عصر العولمة، بل من باب دراسة الأسباب التي أدّت إلى خلق بيئة متطوّرة ومتقدّمة بعلاقاتها الإنسانية، عن الجوار، علّنا نصل إلى أن يكون الجوار جزءاً لا يتجزّأ بعلاقته وثقافته، من تبنين وأهلها.

عندما يصف الشاعر العاملي محمد نجيب مروة رحلة حياته متنقلاً بين قرى عاملة، يهجو كلّ الأمكنة التي انتقل إليها وتنقّل منها، حيث يقول:

لقد ترعرعت في سلعا ولا كتبٌ عندي كلا لا فضة ولا ذهبُ
ولا فتى ذو علوم زانه أدب من أهلها يتولى أمر تأديبي

* * *

نشأت بين اناس كلّهم همجٌ
جوارهم شدّةٌ للمرء لا فَرَجُ
بعداً لهم كم مضت لي بينهم حُججُ
وقد صبرت عليها صبر أيّوبِ

* * *

ان الخمول سقاني الدهر خمرته وأورثتني دواعي العمر سكرته
لهفي على العمر إذ قضيّت زهرته ما بين سلعا وباريش ومعروب

* * *

وينهي الشيخ محمد نجيب هذه الفقرة بهجاء أهل هذه القرى الثلاث فيقول:

عصرٌ تقضّى بأحياء الرعاة سدى
إذا لم أنل منهم علماً ولا رُشُدا

لو أنّ حزني عليهم نافع لغدا	حزني عليه يواسي حزن أيّوب

وبعد أن يتأسّف الشيخ محمد نجيب على هذا العمر الذي قضاه بين هذه البلدات، يصف أيّامه الحلوة في تبنين، تلك الأيام التي إذا ذكرها، لا يستطيع منع دموع الفرح من جريها فوق وجنتيه، لإنها كانت أيام صفو وهناء، حيث يقول:

ولي بتبنين أيام إذا ذكرت	ترى دموعي على الوجنتين جَرَتْ
أيام صفو رعاها الله ما كدرت	إذ قد تقضّت مع الغيد الرعابيب

إن الفرق بين هاتين الفقرتين في التعبير الشعري، يأتي نتيجة حتمية للفرق بين مستوى العلاقات الإنسانية في تبنين، ومستواها في قرى الجوار. فالشاعر حين بدأ قصيدته، كان عدائياً تجاه كل ما رآه وعايشه، حتى إذا وصل إلى تبنين، أصبح شفّافاً، ناعماً، راقياً، بمستوى شفافية ونعومة ورقيّ أهل تبنين.

وعندما نُقل عبد الحسين عبد الله من محكمة تبنين إلى محكمة بنت جبيل، شعر كأنّه اقتلع من جذوره، وبالرغم من أنّ بنت جبيل هي معقل الشعراء في الجبل العاملي، لكنّه كان يفضّل البقاء في تبنين فقال في هذا المجال:

تبنين يا بلد الأمجاد تحرسها	عين الرئيس بأعضاء ومختار
ما ذلّلت سنة العشرين عزّتها	ولا تمادت عليها يدّ غدّار
يا قرّب الله من تبنين أوبتنا	ولا عداك الحيا يا شهر أيّار
بنت الجبيل وإن كانوا بساحتها	أهلي وصحبي وأحبابي وسمّاري

عام من العمر فيها رحت بائعه بيوم تبنين، هل في حيكم شاري

والقارىء يتفاجىء من هذا الشعر وهذه المشاعر، فما هي الأسباب والشروط والظروف التي أمنّها أهل تبنين لهذا الشاعر، لكي يبيع عاماً كاملاً في حاضرة القضاء، بيوم واجد يقضيه في تبنين، وخاصة أنّه شاعر وليس تاجراً، فالتاجر يلحق بضاعته والربح والخسارة، بينما الشاعر يسعى وراء مشاعره ومواطن الرقة والشفافية والذوق الرفيع.

وفي قصيدة ثانية يهجو فيها أهل بنت جبيل هجاء واضحاً فاضحاً حيث قال:

حطّمت أقلامي وعفت دواتي وتركت صومي بعدكم وصلاتي

واعتضت عن تلك العمائم، واللحى اكليل زهر فوق رأس قناة

وسخرت من بنت الجبيل وما بها من شرّ أحزاب ومن غايات

المظهرين لي الوداد وكلّهم حلو الحديث مُنَمَّقُ الكلمات

حتى إذا جار الزمان ونازعت هذا الغريب يد الظلوم العاتي

فإذا الهوى غير الهوى ألفيته والأصدقاء المخلصون عداتي

يتقرّبون لأحمق بقطيعتي ورمى ابن عمّك شملنا بشتاتِ

فحملت آلامي وقمت مودّعاً عهد الصفا ومرابع اللذات

حيران يؤلمني توجّع صبيتي مذعورة حولي وحزن فتاتي

إن عبد الحسين العبد الله عندما يكون في بنت جبيل يخاف على نفسه وأهله وصبيته، والخوف على الأولاد هو أشد أنواع الخوف عند الإنسان، فهو خوف على المصير والمستقبل وخوف من المجهول الذي سيؤول إليه.

ترى ما هي الاسباب والمسبّبات التي جعلته ينظم هذه الأبيات، وماذا فعل به أهل بنت جبيل حتى بات يخشى مصيره المجهول ويخاف من المستقبل المظلم الذي ينتظره وينتظره صبيته وفتاته؟

ولكنه إذا ذكر تبنين فقد ذكر غناء البلبل والبِشْرَ وعهود الهوى:

تبنين هل غنّى بك البلبل	بعدي وهل يشوقه التغزّلُ
والبِشْرُ في روّاده حافلٌ	ام بعدنا قد عُطِّلَ المحفلُ
تبنين ما ضيّعت عهد الهوى	فالقلب قلبي اينما أرحلُ

ويرفع عبد الحسين عبد الله من وتيرة حبّه لتبنين وأهلها، وهو حين يتركها، يعتبر نفسه منفياً عنها نفياً قسرياً، ولا يطيق فراقها وفراق أهلها فهو يقول:

مرابع الحبّ من أفياء تبنين
حُيِّيت يا موطن الغر الميامين

ذكرت فيك ليوث الغاب غاضبةً
للحق تغلي حماساً كالبراكين

والغيد تحضن أطفالاً مروّعةً
مثل الحمام انحنى فوق الرياحين

قل للمليحة في الميدان جائلة
ما للملاح وأتعاب الميادين

فلا تعجبي إن قلّبتِ صرح محكمة
فالغيد تقلب تيجان السلاطين

تبنين ما غاب حسنٌ فيكِ عن نظري
وشُلّ كفّ عدوٍ عنك يقصيني

تبنين أهلك أهلي لا عدمتهم
ولا أطيق فراقاً عنك يقذيني

صعب للأجلك أن أُنفى بلا سبب
من أرض موسى إلى أطراف صنّين

وعندما قام السيد عبد المطلب ابن السيد جواد مرتضى العيتاوي بهجاء تبنين وأهلها برشوة من الشيخ علي شرارة: ردّ عليه الشيخ علي مهدي شمس الدين، بقصيدة دافع فيها عن تبنين وأهلها وعتبرها «بالفضل أولٌ وبنت الجبيل بالفضائل آخر» فقال:

خليل ما هذي اللغى والمساخر
أعندكما يوماً لها الدهر عاذر

خليليَّ مهلاً أن للشعر غايةً
يليها وأهدافاً تليها الخواطر

على العين من «عيتا قفا حيث تلتقي
ظباءٌ حسانٌ حولها وجآذر

وقولا لذاك الفذّ من آل هاشم
عدتك المعالي والنُهى والمفاخر

أتهزأ من تبنين بلدة عامل
وفيها لأهليك الكرام مقادر

الا أنّها تبنين بالفضل أوّلٌ
وبنت الجبيل بالفضائل آخر

وأنّك مثل الخمر بالخبث والأذى
وأصلك زاكٍ في الحقيقة طاهر

أما قصيدة السيد عبد المطلب مرتضى في هجاء تبنين وأهلها فهي:

عبد الحسين وقيتم كيد أشرار
ولا لقيتم سوى عز وإيسار

آنست من روحكم ما ليس أعرفه
على الحقيقة من أرواح أحرار

لما خفضتم حقوق الجار وابتدرت
منك الرسائل في نظم وأشعار

وعام بنت جبيل رحت بائعه
بيوم تبنين إن تلق له شاري

مهلاً ربيب المعالي وابن بجدتها
فلا يقاس الحصى بالكوكب الجاري

ولا يقال العصا في كل آونة
خير لدى الروع من أشفار بتّار

بنت الجبيل غدت في أرض عاملة
كالعين للوجه أو كالبدر للساري

أو أنها في رياض راق ناظرها
كوردة الفل تزهو بين أزهار

وأهلها إن نزلت اليوم ساحتهم
نزلت ما بين أبرار وأخيار

لم يجعلوا غير كسب الحمد مُتَّجراً
ولا استكانوا إلى ذل وإصغار

لهم نفوس لنيل الذخر عاشقة
عطفاً على الضيف أو حنوا على الجار

فإن أقام ففي المعروف قاصدهم
وإن ترحَّل ففي وفر وإيسار

في ربعهم شعراء لست تنكرهم
تنسيك أقوالهم أقوال بشّار

فما بديع زمان في كتابته
وابن المقفع إلاّ عشر معشار

وربع تبنين أني لست أهجره
وذاك ربعي وفيه نيط أزاري

وأهله في ثنايا المجد قد صعدوا
ما منهم غير سامي الذكر مغوار

لكن الحق لا يخفى على أحد
ولا يعادل لون الصبح بالقار

فسل بتبنين عن بيّاع معرفة
إن كنت تلق ولا بيّاع سمار

فكل ما جاء في تبنين من سلع
يوماً على الضبط لم يحسب بدينار

فما تمطّى إلى التفضيل غيركم
يوماً ولا جال في سبق ومضمار

فـاسـلـم ودم يـا بـن عـبـد الله فـي سـعـة
واحكم بما شئت وانشـر حـر أفكاري
عـلـيـك مـنـي سـلام الله مـا نـسـمـت
بـجـانـب الـمـرج مـنـه نـسـمـة الـذاري

وهذا الملف الشعري الضخم الذي سوف أقدّمه للقاريء، والذي يحتوي على الغزير والوافر من مدائح لتبنين وأهلها وزعمائها، لم أجمعه إلاّ من باب الحفاظ على هذه الظاهرة الفريدة من نوعها في تاريخ لبنان وبر الشام.

وتبنين التي شبّهها المؤرّخ والناقد السيد حسن الأمين بحلب سيف الدولة، لم يكن أبناؤها وأهلها بعيدين عن الشعر والأدب والحركة الشعرية، فالشعراء الذين انبتتهم تبنين، كانوا بكثرتهم وبجودة نظمهم وقوة سبكهم، صورة صادقة عن هذه البلدة، وعن حركتها الشعرية والأدبية، فقد انتشروا في تبنين وفي كل أصقاع المعمورة، فنظموا الشعر في المهجر الأميركي وألّفوا الجمعيات الأدبية فيه، ونظموا الشعر في المهجر الافريقي، وألفّوا أيضاً الجمعيات الأدبية فيه، وكان لهم الباع الطويل في كل الأجناس الأدبية، من شعر عمودي، وشعر حديث، وقصة، ورواية، والقصة القصيرة، وكتابة التاريخ، ونظم الأزجال. وسوف نفرد بحثاً خاصاً يتضمّن الحركة الأدبية والشعرية في تبنين، منذ القرن الثامن عشر الميلادي وحتى أوائل القرن الواحد والعشرين.

قال أبو الحكم الأندلسي يصف هجوم أهل تبنبن وعكا على دمشق:

بشطّيّ نهر داريّا[1] ... أمور ما تؤاتينا
وأقوام رأوا سفك الدّ ... ما في جِلّق دينا
أتانا مائتا ألف ... عديداً أو يزيدونا
فبعضهمُ مِنَ أنْدلسٍ ... وبعضٌ من فلسطينا
ومن عكا ومن صورٍ ... ومن صيدا وتبنينا
إذا أبصرتهم أبصرت ... أقواماً مجانينا
ولكن حرّقوا في عا ... جل الحال البساتينا
وجازوا المرج والتعديـ ... ـل أيضاً والميادينا
تخالهمُ وقد ركبوا ... فطائرها جراذينا
وبين خيامهم ضمّوا الْـ ... خنازر والقرابينا
ورايات وصلبانا ... على مسجدّ خاتونا
وقلنا إذْ رأيناهم ... لعلَّ الله يكفينا
سَمَا لُهم معينٌ[2] قد ... أعان الخلق والدّينا
وفتيانٍ تخالهمُ ... لدى الهيجا شياطينا
فولّوا يطلبون المرْ ... جَ من شرقيّ جِسْرِينا[3]
ولكن غادروا إليا ... سَ تحت التُّرب مدفونا
وشيخا فندلاوياً[4] ... فقيهاً يعضُد الدينا
وفتيانا تفانوْا من ... دمشق نحو سَبْعينا

---

(١) داريا: قرية من قرى ريف دمشق يمر بها نهر بردى.

(٢) معين الدين أنر، عامل نور الدين زنكي على دمشق.

(٣) جسرين: من قرى ريف دمشق.

(٤) الإمام يوسف الفندلاوي المالكي، قتل في هذه المعركة حين كان يحرض المسلمين على القتال والجهاد.

ومنهم مائتا علج ... وخيل نحو تسعينا
وباقيهم إلى الآنَ ... من القتل يفرّونا

وقال ابن سناء الملك يهنىء الملك العزيز عثمان بتحريره تبنين من أيدي الصليبيين:

قدمْتَ بالنصر والمغنم ... كذا قدوم الملك الأكرمِ
وسِرتَ بالنار إلى ظالم ... وعدتَ بالنور إلى مظلمِ
يا سطوة الله على كافر ... ونعمة الله على مسلمِ
يا قاتل الكفر وأحزابه ... بالسيف والدينار والدرهمِ
قميصك الموروث عن يوسف ... ما جاء إلاّ صادقاً في الدم
أغثت «تبنين» وخلّصتها ... فريسة من ماضغي ضيغمِ
والكفر كالغلّ بها محدق ... لا كسوار كان في معصمِ
كم كافر كان بها مغرما ... والسيف يطفي حرق المغرمِ
ورام تبنين فقلنا له ... لو لم ينم عقلك لم تحلمِ
فجاءه المولى العزيز الذي ... يكلا به الدين ولم يكلمِ
عن بأسه لا يحتمي معقل ... والفقر إن ينزل به يختمِ
يقول من يسمع فعلا به ... في الحرب هذا وأبيك الكمي
فردّها سالمة منهمُ ... من بعد ما قيل لها سلّمي[1]
ما انهزمت وانهزموا دونها ... حتى غزوا حصنا ولم يهزمِ
سروا من خوف نجوم القنا ... ما اكتحلوا في الليل بالانجمِ
في أدهمي ليل وقيد ومن ... خيّر لم يختر سوى الأسلمِ

(١) يشير ابن سناء الملك إلى البيت الذي نظمه بعض الشعراء وينصح به أهل تبنين بالتسليم للصليبيين. راجع تاريخ تبنين، ص: ٨١.

ما راكب ليلا على ادهم كداخل سجنا على ادهم
ما هذه الرمية ممهودة بالقوس إذ ترمى عن الاسهمِ
هي التي في يوم بدر جرت لما رمى الله بها من رمى
وقد أتت في الذكر مذكورة ثابتة الاحكام في المحكم
انّك طوفان على من طغى تعود بالريّ على ظمى
موردك الشام على هوله به احتمى المورد من زمزمِ
فالموقف الأعظم فرّجته فكنت أصل المجلس الأعظمِ
لا عدم الإسلام عثمانه مصطلم الداهية الصيلمِ
شنشنة تعرف من يوسف في النصر لا تعرف من أخرم
ثم انثنى من حربه ظافرا والسيف لم يثلب ولم يثلم
وجاء لمّا جاءنا بالحيا وعاد لما عاد بالأنعمِ
مقدمه صار جمادى به كمثل ذى الحجّة ذا موسم
يا مقلتي قد كنت مشتاقة أرضا تطاها خيله فالثمى
وأنت يا عابس حظّى إذا رايته مبتسما فابسمِ
ترب مواطيه على مفرقى وجلّ أن أجعله في فمى
يا أجود العالم يا موجد الـ موجد بل يا معدم المعدم
جدصُل ترفع أول جاهدْ اقمْ ابق تطولْ عشْ تخلدْ دُمِ
بقدر ما أهلكت من كافر أو فكما أحييت من مسلمِ

وقال العماد الاصفهاني يصف بني الهمفري (أهل تبنين) ويهجوهم:

كيف قلتم بمقلتيه فتور وأراها بلا فتور تجور

ومنها:

مستجيرٌ جَوْرى، وإنّىَ منه ... بابن أيوبَ يوسفٍ مستجير

فضله في يد الزمان سوار ... مثلها رأيه على الملك سور

كرمٌ سابغ، وجودٌ عميم ... وندًى سائغ، وفضل غزير

انت من لم يزل يحنُّ إليه، ... وهو في المهد، سرجه والسرير

من دم الغادرين غادرت بالأمـ ... ـس صعيد الصعيد وهو غدير

ولكلٍّ مما تطاولتَ فيهم ... أمل قاصر وعمر قصير

لاذ بالنيل شاورٌ[1] مثل فرعو ... ن، فذل اللاّجى وعز العُبور

شارك المشركين بغياً، وقِدماً ... شاركتها قريظةٌ والنضير

والذي يدّعى الإمامةَ بالقا ... هرة ارتاع أنه مقهور

وغدا الْمَلْك خائفاً من سُطاكم ... ذا ارتعاد كأنه مقرور

وبنو الهنفرىّ هانوا ففروا ... ومن الأُسد كلُّ كلب فرور

إنما كان للكلاب عواء ... حيث ما كان للأسود زئير

وقليب عند الفرار سليب ... فهْو بالرعب مطلق مأسور

لم يبقّوا سوى الأصاغر للسبـ ... ـي فودّوا أن الكبير صغير

وحميْت الإسكندرية عنهم ... ورحى حربهم عليهم تدور

حاصروها وما الذي بان من ذَبِّـ ... ـك عنها وحفظها محصور

كحصار الأحزاب طيبةَ قدماً ... ونبيُّ الهدى بها منصور

فاشكر الله حين أولاك نصراً ... فهو نعم المولى ونعم النصير

ولكم أرجف الأعادي، فقلنا ... ما لما تذكرونه تأثير

---

(١) شاور: آخر وزير فاطمي، استنجد بصلاح الدين الأيوبي فأنجده، وقضى صلاح الدين عليه وعلى الدولة الفاطمية.

ورقبنا كالعيد عودك فاليو | م به للأنام عيد كبير
عاد من مصر يوسفٌ وإلى يعـ | قوب بالتهنئات جاء البشير
فلأيوب من أياب صلاح الدّ | ين يوم به توفّى النذور
ولكم عودة إلى مصر بالنصـ | ر على ذكرها تمرُّ العصور
فاستردّوا حق الإمامة ممن | خان فيها فإنه مستعير[1]
وافترعها بكراً، لها [في مدى] الدهـ | ر رواح في مدحكم وبكور
أنا سيرت طالع العزم مني | وإلى قصدك انتهى التسيير
وارى خاطري لمدحك إلفاً | إنما يألف الخطيرَ الخطير

وقال أيضاً وكان الفرنج الألمانيون قد وصلوا من نزب إلى الشام ونزلوا على «تبنين» محاصرين لها، فتوجّه الملك العزيز إلى «تبنين» لرحيل الفرنج عنها، فلما طال عليهم، انهزموا وفرج عن أهلها فقال يمدحه، وسيّرها إليه إلى الشام وذلك في سنة أربع وتسعين وخمسمائة:

الشام للإسلام دار القرار | وكان من قبل طريق الفرار
وكان في ظلمة ليل دجت | فجاء عثمان معاً والنهار
وجاءه بالبرء بعد الضنى | وجاءه بالأمن بعد الحذارْ
فيا أمان الكفر لا تأمنوا | بدارِ ما الشام لكفر بدارْ
ويا عماد الدين يا من له | كلّ مبار في الأعادى مبارْ
جئت لتبنين ومن حولها | قوم كأعداد الحصى للحصارْ

(١) يعتبر العماد الأصفهاني أن الإمامة الفاطمية كانت مستعارة وقد أعادها صلاح الدين الأيوبي إلى العباسيين.

سدّوا عليها الطرق حتّى لقد — كادوا يسدّون طريق القطارْ
يجوزها الطيف ولكن على الاخـ — طار أدّاه إليه الخطارْ
ساق إليها الكفر اجناسه الـ — عظام قادتها الملوك الكبارْ
من كلّ من يزار من غيظه — كأنّه من مغرب الشمس نارْ
إمّا على البر أتى راكضا — أو بجناح القلع في البحر طار
وطبّقوا البحر سفينا فما — بَانَ وساروا فوقها في قفارْ
وأتّموا الثغر وطافوا به — وأحدقوا كالغلّ لا كالسوارْ
واجتمعوا حولها وهم حوله — مدّوا كسيل وأحاطوا كنارْ
وكان ذاك الثغر مع أهله — فعندما أطللت طاروا شرارْ
وانهزموا للبحر إذ ابصروا — بحر وغى تغرق فيه البحارْ
وعذرهم إذ هربوا واضح — هل يثبت الليل أمام النهارْ
أقسم ما شدّوا إزارا لهم — إلاّ لأنّ الليل مرخيّ الإزارْ
لولا سُرىٰ القوم وتعجيلهم — عجّلت في القوم شقاء الشفارْ
وظلمة الشهر أذمّتهُم — فليشكروا منه ليالي السرارْ
وكان للغيث يدٌ عندهم — لأنّه منك لهم قد أجارْ
لو لم يعق سيفك ما سحّ من — هام مطير سحّ هام مطارْ
عجّوا وعاجوا عن طريق الردىٰ — فما خلوا من خور أو خوارْ
وبعضهم يهمس من خوفه — فما حديث القوم إلاّ سرارْ
وانقلبت بالذل أزياؤهم — فصار ذو المغفر ذات الخمارْ[1]
أمنت ذاك الثغر من عقره — ومنك لم يقدر عليه قدارْ
ومن حصار الكفر خلّصته — بالباس بل من حلقات الإسارْ

(١) المغفر: الدرع، والخمار، غطاء المرأة على وجهها.

وما سمعنا قطّ فتحا جرى	ما فيه لا بل ما عليه غبارْ
فرّوا ولا عار عليهم به	إن فرارا منك ما فيه عارْ
أراهمُ الرأيُ اجتناب الوغى	وهو لهم قد أحسن الاختيارْ
يا ملك تهزم أعداؤه	بالرعب هذا وأبيك الفخارْ
قضيت حق الشام إذ زرته	مغامرا أهوال تلك الغمارْ
وذلّ منك الكفر فيه فقد	أضحى دم الجبار فيه جبارْ
فارجع إلى مصر فقد شفّها	إليك شوق وشجاها ادّكارْ
وانتظرت عودك مشتاقةً	ما أتعب المشتاق بالانتظارْ
تشتاق منك البدر والليث والغيـ	ـث ووهّاب الألوف النظارْ
ومن إذا ما حلّ في موطن	حلّ به الغرّ وإن سار سارْ
والشام قد أوسعتها رحمة	وآن أن ترحم هذي الديارْ
ومصر أهل الملك وهي التي	أجنتْ يد الإسلام تلك الثمارْ
فعد ولا زلت لنا عائدا	بالفضل والبسطة والاقتدار
والدهر لا زلت به لابسا	عمرا طويلا في ليالٍ قصارْ
تبقى مدى الدنيا وأمثالها	طولا وهذا القول منّي اختصارْ

وتحدث السيد محسن الأمين عن العلامة السيد علي الصائغ الحسيني المتوفي سنة ٩٨٠هـ والمدفون في صديق فقال:

هذا قبر السيد الجليل العالم، وحيد عصره، وفاضل وقته، فقيه اهل البيت (عليهم السلام)، السيد علي المشهور بالصائغ الحسيني، تغمّده الله برحمته. توفي ليلة الثلاثاء حادي عشر شهر رجب سنة تسعمائة وثمانين. وقد كتب على شاهد القبر هذه الأبيات:

سل القبر هل يدري بمن حلّ عنده
وذكره فالذكرى لذي الجهل تنفع

وقل صرت للداعين يا قبر مشعرا
وفيك لأهل الشرع يا قبر مشرع

وفيك امرؤ للعلم والمجد مجمع
على فضله بين البرية مجمع

وفي آمل الآمل: أنّه لما توفي، رثاه الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني بقصيدة منها:

داعي الغواية بين العالمين دعا
من شاب نجم الهدى من بعدما سطعا

وأصبحت سبل الأحكام مظلمة
وكان من قبل فجر الحق قد طلعا

وشتّت الدهر منه كلَّ ملتئم
وفرّقت نوب الأيام ما اجتمعا

يا ثلمة بين أهل الحقّ هُدّ بها
ركن ومن أجلها قلت الهدى انصدعا

مضى الهدى والتقى لما مضى وغدا
باب الجهالة في الآفاق مُتّسعا

لا يعلم الجاهل الناعي بما صنعا
نعى معالم دين الله حيث نعى

نعى الصلاح مع التقوى بذاك كما
نعى المودة والأخلاق والورعا

لا خير في مهجة لم تحترق اسفا منه ولا طرف عين بعده هجعا

كيف السبيل إلى نهج السداد وقد

بان الهدى وابن خير المرسلين معا

لقد فقدنا من الارشاد تبصرة ومن دروس بيانٍ بعده لُمعا

وقال الشيخ ابراهيم يحيى يمدح الأمير أبا حمد محمود بن نصار أخا الأمير الشيخ ناصيف بن نصار من آل علي الصغير أمراء جبل عامل وأحد زعماء تبنين:

نظرت إلى هذا الأنام فلاح لي بأنَّ الورى أهل الحلوم العوازب

وما سرّني في سالف الدهر كاذب من الظن إلا ساءني في العواقب

سأرحل عن دار الهوان وأهلها فليس مقام السوء ضربة لازب

وغانية مثل الهلال تركتها وأدمعها تنهلّ فوق الترائب

تقول إلى من تقطع البرَّ صادياً فقلت إلى محمود بحر المواهب

أبي حمد حامي البلاد ومن جرى هدى كفّه في شرقها والمغارب

جواد جرى في حلبة المجد سابقاً فغادر عين المال من غير حاجب

أنامله في الحرب خمس صواعق وفي السلم لا تنفكّ خمس سحائب

لعمرك ما أنساه يوم تألّبت عليه الأعادي من فتيٍّ وشائب

رماحهم مثل الأفاعي وخيلهم تدبُّ على وجه الثرى كالعقارب

أغار على جيرانهم فتواثبت إليهم حماة الحيِّ من كلِّ جانب

وصار لهم من آل نصّار عصبةٌ على كل معروق الجناحين شازب

هم الأسد فالخطيُّ في الروع غابهم

وأسيافهم محمرّةٌ كالمخالب

وقائعهم سود وسمر رماحهم من الغارة الشعواء حمر الذوائب

جيادهم ان أظلم النقع اضرمت سنابكها للقوم نار الحباحب

يكاد ظلام النقع فوق رؤوسهم يواريهم لولا ضياء المناقب

بدور كمال في بروج منيفة تصول بأمثال النجوم الثواقب

فاقلقهم وقع الحسام وأدبروا يروعون من أسد الشرى كالثعالب

كأنّي بهم عند المضيق وقد هوى هنالك رأس القوم من غير ضارب

جواد تردّى عن جواد مُطهّم وما زال ظهر البغي شرّ المراكب

فلست ترى إلا سلاحاً على الثرى وخيلاً بها فقر إلى كل راكب

وأعجب شيء ان خمسين فارساً تمزّق الفي فارس بالقواضب

كتبت بأقلام الرماح لمن يرى

سطور المعالي في صدور الكتائب

وقال الشيخ ابراهيم الحرّ الصوري يمدح الشيخ محمود النصار - أبو حمد - ويصف كرّه وفرّه في معركة النبطية كفر رمان:

خطرت بقوام معتدل تختال كميّاد الأسل

ورنت بجفونٍ فاترةٍ فعن العشاق فلا تسلِ

احسن بالخودِ ومقلتها ترمي بسهام بني ثُعَلِ

لا أنسى وعيشك حين أتت بالحلي تباهي والحللِ

فطفقت أقول لها فرحاً أهلاً بالبدر المكتملِ

اقسمت بنرجس أعينها وشقيق مُحَيّاها الخطلِ

وَبطُرّتها وبغُرّتِها وبِمُقْلَتِها والمكتحلِ

وبَشامتها وبقامتها تلك الميّالة للعدلِ

ما أبطل حكم الجور سوى صمصام أبي حمد البطلِ

تـاج الأمـلاك وخـاتـمـهـم ... طوق العليا لذوي العطلِ

بـحـرٌ يـحـبـوك بـلُـجَّـتـهِ ... والبحر ضنينٌ بالوشلِ[1]

لـيـثٌ مـا خـامـره فَـشَـلٌ ... والليث يُلَيَّنُ بالفشلِ

غـيـثٌ تـنـهـلُّ أنـامـلـه ... والغيث مليٌّ بالبللِ

مـقـدامٌ [ذكـر] وقـايـعـهُ ... في كل زمان لم تزلِ

سل يوم البحرة ما فعلت ... كفّاه بفرسان الدولِ

وسل الفجّار كلاب النار ... بني قيسٍ عن ذا الرجلِ

أيـام أتـونـا يـقـدمـهـم ... جبّار يسجد للهبلِ

فـهـنـاك هـنـاك أبـا [حـمـد] ... وافا بالخيل على عجلِ

يـرمـي بـكـتـيـب لـيـس بـه ... غير الأوغاد بني السفلِ

ولـديـه رجـال تـحـسـبـهـم ... أسد تنقضُّ على هملِ

مـن كـل شـديـد الـبـاس لـه ... قلبٌ منحوتٌ من جبلِ

يغشا الهيجا إذ ما التطمت ... بالخيل خلياً من فشلِ

أكـرم بـالـخـيـل إذا وفـدت ... إذ [ذاك] بناصيف البطلِ

أقسمت لعمري نعم فتى ... ذو قدرٍ فوق الشمس عليّ

مـيـمـون الـطـلـعـة مـقـتـدرٌ ... يغشا الهيجا بقلب عليّ

فـهـنـالـك فـرّ أمـيـرهـم ... بالويل ينادي والثملِ

وهـنـا بـازات تـطـردهـم ... والقوم كأفراخ الحجلِ

وهـنـالـك شـتّـت شـمـلـهـم ... ذو الطول فعادوا كالثملِ

فـالـحـمـد لـربٍ مـقـتـدر ... يغتال الباغي بالغللِ

بـشـراك أبـا حـمـد فـلـقـد ... أدّت علياك على زحلِ

---

(١) الوشل: الماء القليل..

ورأيت بباسك جذوتها ورقيت نوال من همل
ورفعت نوال الجود ولم تتأخر عن حفظ النجل
يهنيك بعيد الفطر ولا ينفكُّ يزورك بالأملِ

قال أحمد عمر دبوس يهجو أهل تبنين والمتاولة ردّاً على الشيخ ابراهيم الحر الصوري:

بزغت كالشمس من الحمل من [حور] العين ولا مثلِ
غطريفة وصفٍ ما اتصفت بالحسن عروسٌ لم تزلِ
غيداً كعباء ليس بها نـدٌّ ينقاس به أملِ
وغدى خجلاً كالبدر وما قد أخجله من مكتملِ
ولأنّ البدر بهِ نقصٌ والشمس سناها مشتعلِ
وغدت بسيوف لواحظها وسطت بأسهام المقلِ
[غادة] لو «عادة» ما نصفت قالت لو قالت ما الأملِ
«لاجبت» سريعٌ يحقّ لها «أشكوا» الأسقام وابتهلِ
واشرح حال الإيار وما قاسوا العشاق من الوجلِ
أقسم [بنحول] الخصر وفي أحداق الريم المكتحلِ
وبلؤلؤ زين مباسمها ورحيق للعالم ثملي
وعقيق عن ياقوت حكي يدنو بالعاشق للأجلِ
ومواضي الهند وما فعلت أسهام القيس بذي النجلِ
ما جاد الدهر بمن سلفوا بملوك الأرض على الكملِ
بعلٌ يحرزها قط سوى ملحم[1] سلطان سما الدولِ
قرضاب البرّ ومن حكموا في كل لوى وربع خلىَ

---

(١) هو الأمير ملحم حيدر الشهابي.



وأتوا شيوخك يلتمسوا ... لثم الأقدام كذا النعلِ
وحفاه عراه سوجرهم ... [كذباح] الصيد المستدلِ
جاؤا بقيود واركبهم ... من بعد الخيل على بغلِ[1]
فهنالك كنت تقول لهم ... جيش الأوغاد بنو السفلِ
وغدى وتخلّف سطوته ... مردان الجان بلا خولِ
داس الأعدا بأجمعهم ... وحمى السعداء من الخللِ
فإن خان الدهر وما بلغت ... [كفّاه] القصد على عجلِ
فسوف يسوق بهمّته ... بعوايد أسلاف الأولِ
والليث هزبر ولو كلّت ... كفّاه فليس كما الزملِ
والشيء يعود لعادته ... ومسير الفرع إلى الأصلِ
فشواه البدو جراد إذا ... بسموم صاب غدا جدلِ
وإن خلت كلامي في خللِ ... أفكر في البحرة والدولِ
وانظر عاقبة الأمر لمن ... كانوا الأحزاب بذي الفعلِ
فالقدرة عمّت أجمعهم ... وكذا يحوق بكم أملي
فعسى و[لعل] وسوف ترى ... أمر أجراه بكم حيلِ
غضب السلطان يحوط بكم ... أعداء الشيخ ذوي الفضلِ
فتقول كلاب النار وما ... تخشى في قولك من فشلِ
فبأي دليل جيت بهِ ... وأي حديث منتقلِ
فيكم أيات قد وردت ... اخترتم دون الخلق عليّ
فيه أقسمت بُرْاي منكم ... لأنّ مصوّر بالنزلِ

---

(١) يذكر أحمد دبوس العامليين باعتقال الأمير ملحم لزعمائهم من أبناء نصّار الأحمد سنة ١١٠٨ هجرية.

لتصيروا مطايا ترتكبوا ... ليهودٍ كفروا بالنزلِ[1]

فلعن الله الراكب والـ ... المركوب [بلعنة] لم تزلِ

موقوفة وقف باقية ... ما مدّ زمانٌ وارتحلِ

قال الشاعر الفلسطيني الشيخ عبد الغني النابلسي يهجو الشيخ ناصيف النصّار والعامليين بسبب كسرهم صاحبه الشيخ ظاهر العمر في معركتي البصة والدولاب:

ما بال مالكتي تزيد دلالها ... كبراً عليّ فليت شعري ما لها

انهوا لها أنّي مللت من الهوى ... وسئمت من سود العيون وصالها

كذبوا ومن خلق المحاسن فتنة ... للناظرين حرامها وحلالها

ما زلت عن حبيك فاطّرِحِي الذي ... نقل العواذل زورها ومحالها

لكن ظننت ورُبَّ ظنٍّ كاذب ... لما رايت ملالها ومحالها

ان ابنة القوم العزيز جنابهم ... لما رأت حالي استحال بدالها

ما لي أراك تأخرّت بك همة ... وطرحت منبوذ العرى ومذالها

هذي حواسدك الرعاع بدالهم ... واستنكروا قيل الرواة وقالها

قلت اربعي لا فض فوك فربما ... حرص اتاح إلى النفوس وبالها

ما زلت مذ نيطت علي تمائمي ... أهوى الملاح وجدّها وجدالها

جدٌّ كجدّ أبي سعيد ظاهر ... خاض المنايا بالنفوس فغالها

وسرى بجمع لو تشاهد هوله ... أسد الشرى والراسيات لهالها

فيها النسوّر والصواعق والقنا ... ترمي على أهل الهوى أهوالها

وبه السوابق كالنعام شوازبا ... يرقلن عند الملتقى إرقالها

---

(١) يشير هذا البيت إلى بعض المعتقدات الدرزية في التقمّص.

تنفضّ من أعلى الصخور كأنّها عصم تروم من البزاة نعالها
من كل مشرقة القفا نجدية ألفت سباريت الفلا ورئالها
يحملن كلّ مدجّج لو أنّه رام المعاقل بالمداد لنالها
وافى بهم عند الصباح أغرّة كانت عليهم سوأة ما نالها
فاجتاحهم والله ينفذ أمره بظبا اجادتها القيون صقالها
جمعوا وما أغنت سوى ان قرّبت تلك الجموع من الردى آجالها
خمس مئون وما استراءت غير ان ألقت وما حقّ الردى أثقالها
ألقت من الجزع السلاح وسلّمت للصنع بالبيض الرقاق قذالها
جوزوا بما سبقت إليه رعاعهم حنقاً وكان جزاؤهم أمثالها
ما كان أحراهم بعروة ماجد ان لا يبثّوا بالخيال خيالها
لو راجعوا أحلامهم وتدبّروا لرأوا الطريق رشادها وضلالها
ورأوه إذ نادوه غير مغلّب ولكم دعوه لمحنة فأزالها
وبنى لهم في المجد أعظم رتبة يتفيّؤن من الهوان ظلالها
انسيتم يوماً بملحم[1] أولغت بكم السيوف وأشبعت أشبالها
وبيوم مرجعيون لولا تذكرون كماته وضرابها وقتالها
وَلَكُمْ فوادح ذادها عن حيّكم لولاه ما كنتم هناك رجالها
يا عصبة جاءت بما لا ينبغي ولربما جنت النفوس نكالها
فالرتبة القعساء حلّة سيّد حامي العشيرة حامل أثقالها
بدر له نجم سعيد ظاهر باهت بطلعته النجوم هلالها
لو أنّه لبني بغيض قائد ما زايلت من منذر أطلالها

(١) يوم للعامليين والشيخ ظاهر العمر على الشهابيين.

فادّاركوا ان كان ثم بقيّة ... ان الصنيعة ويحكم أولى لها
واستوثقوا في رأيكم بأُولي النهي ... ما عزّ قوم قلّدت جُهّالها
لم تاخذوها بالطراد بل احمدوا ... إما حمدتم أرضكم وجبالها
كنتم له يمنى فخانت اختها ... لا خير في يمنى تخون شمالها

فأجابه الشيخ ابراهيم الحاريصي بقوله:

ما بال نعمى أعرضت ما بالها؟ ... بعد الدنو وما عصت عذّالها
لم ترع سالف عشرتي ومودّتي ... معها وحرصي ان تنال منالها
وتمتّعي قبل الكرى بحديثها ... وتطلبي بعد الرقاد خيالها
هجرت أسير جفونها لا عن قلى ... منه وجرّت للجفا أذيالها
يا ليت شعري من أراه مُخَبّري ... عما لها مني بدا فبدا لها
لما أصاخت للوشاة وأعرضت ... عنّي وكنت يمينها وشمالها
وكأنّها نسيت عهودي وانتقت ... غيري وما يوماً هتكت حجالها
والله يعلم ان نعمى قد بدا ... فيها المشيب وما سئمت وصالها
بوّأتها قلبي ولم أطلب بها ... بدلا وما صرمت يداي حبالها
وبذلت مجّاناً لها روحي وما ... رُمْتُ المَلالَ وأن رأيت ملالها
وجعلتها لي قبلة لما أملْ ... عنها وان عني العذول أمالها
ولطالما عنها كشفت مُلِمَّةً ... لولا حسامي لم تظن زوالها
اجنيتُ ذنباً فاقتضى ان لا أرى ... في شرع نعمى حسنها وجمالها

* * *

يا للرجال لمحنة لا يرتجي ... غير ابن نصّار يحل عقالها
ناصيف من يحمي الثغور ومن به ... أبدت سماء المكرمات هلالها
نَدْبٌ له ألقى الزمان قياده ... لو طاولته الشامخات لطالها

ويد مقبّلة البنان كريمة ... مدت على المستضعفين ظلالها

شكر الإله فعاله في غارة ... شعوا أرى خير المآل مآلها

فسرى الصباح بفتية مشهورة ... علم العزيز صلاحها فادالها

شوس تمد من السيوف قصارها ... يوم الوغى ومن الرماح طوالها

لا ينثني عما يحاوله من الـ ... عليا وان بلغت بها آجالها

تجفو لدى كسب الثنا أرواحها ... وتعاف في نيل المنى أموالها

سارت على اسم الله غير مطيعة ... أهواءها يا للعشيرة يا لها

تهوي بها نحو الطراد سوابق ... تخذت غبار الدارعين جلالها

جرد تقول العاصفات إذا غدت ... هذي بناتي من يجول مجالها

ما أطلقت في غارة ثم انثنت ... إلا وبلّغت الهنى أبطالها

وافى بها في يوم تربيخا وقد ... جاست خيول الدارعين خلالها

طافوا عليها بالصوارم والقنا ... فكأنّهم قطع الغمام حيالها

فسطا ونادى لا فرار فادبرت ... تلك الجموع ونالها ما نالها

عافت هنالك خيلها وسلاحها ... والرعب عن تلك السروج أمالها

يا عصبة رأت الجميل وما وفت ... وبنت على نيّاتها أفعالها

وتعمدتْ سفك الدماء وما رعت ... سنن النبي حرامها وحلالها

أنسيتم أيام سخنين التي ... لم ينسكم طول المدى أهوالها

جافت جفون كماتنا طيب الكرى ... فيها وعافت عذبها وزلالها

ألقت على ابن العظم[1] كل عظيمة ... فرأى أشد نكاية ما نالها

---

(١) ابن العظم: سعد الدين باشا العظم والي صيدا.

والصقر[1] لولا الخوف من عقباننا

ما أزمعت عن أرضكم ترحالها

أفما أبحنا في العراك غنيمة أغنامها وخيولها وجمالها

حتى خلت لكم البلاد وأوترت من كان يبغي حربها ونزالها

يبلي الجديدان الصفا وحقوقنا تبقى وان حاولتم إبطالها

يا فتنة تأبى العقول وقوعها ألقت على متن الهدى أثقالها

فيها ذهاب الدين والدنيا وما يسطيع غير أبي سعيد زوالها

وقال الشيخ ابراهيم الحاريصي في تبنين وزعيمها الشيخ ناصيف:

إليك فريدة رقّت وراقت بجيد الدهر قد أمست حليا

هديّة شاعر داع مراع أجاد بك ابن نصار الرويا

فتى حاريص مغناه ولكن تلقّى العلم وفرا من جويّا

وكان له بها شيخ جليل جميل حاز علما أحمديا

وفي تبنين ما يرجو وأنتم له ذاك الرجا ما دام حيا

وقال الشيخ ابراهيم الحاريصي يصف أيام تبنين العسكرية:

اربط الفرسان جأشاً ان سطا ما ابن قيس عنده ما ذو الخمار

كم تلقّى لليالي حادثا أنسيتم يوم من تبنين غار

فوق طرف ذي نشاط أمّه من بنات الريح مأمون العثار

وبيمناه صقيل مرهف في طلى أقرانه ماضي الغرار

أخذته هزّةٌ صعبيّةٌ غيرة منه على تلك الديار

---

(١) عرب الصقر كانوا في خصام دائم مع ظاهر العمر.

أبصر «الدولاب»[1] منه وقفة يومه في جنح ليل من غبار
والمذاكي بالرواسي اقبلت شزباً تعدو وللأقوام ثار
والقضا ألقى مجانيق الردى للفريقين وما نادى حذار
والعلا بالنفس في سوق الوغى سلعة ليس لشاربها خيار
ما الشقيف الصلد إلا جنّة ولنا قصر بأعلاه استنار
ليس يدنو منه في عظم البنا قصر غمدان ولا عظم الجدار
تنظر المرآة فيه فترى فوقك النهر تراءى بانحدار
ما رأينا قبل هذا جدولا فوق قصر شامخ في الجو طار
لا ولا قصر كهذا إنّه فلك يزهو ولكن لا يدار
زينة الدنيا على أرجائه تزدهي في كل نحو كالفنار
نقشها مؤتلف مختلف في ابيضاض واحمرار واخضرار
شامخ يأوي إليه أسد ذو افتراس واقتناص وابتدار

وقال الشيخ حسن سليمان يردّ على شاعر الزيادنة عبد الغني النابلسي أيضاً:

عني إليك فهل بلغت مزارها وحللت في طلب الوصال ديارها
وشممت أيام الحياة أريجها وخلعت في روق الشباب خمارها
ورسمت لحظك في رياض جنانها وقطفت فيما تدّعي أزهارها
انى تفوز بها وقد ضربت على هام المجرّة عنوة أستارها
أين الثريا والسماك من الثرى ان كنت ممن يستبين مدارها
دع عنك يا مغرور نخوة مبدع لا يهتدي أبد الزمان منارها

---

(١) معركة الدولاب وقد أشرنا إليها في كتاب تاريخ تبنين وقد انتصر فيها ناصيف النصار والشيخ علي الفارس على الشيخ ظاهر العمر.

لا تبلغنَّ بك الحميّة مبلغاً | لا يرتدي أهلوه إلا عارها
هي عزّة لمن اهتدى ومذلّة | لمن اعتدى متحمّلاً أوزارها
كم حرّكت قدماً أغرة معشر | فتبوّؤا يوم القيامة نارها
ما أنت والتعريض بالنفر الأولى | أمسى الكفاح شعارها ودثارها
من كل شرّيب النجيع وأشوس | يبتزّ من أسد الشرى أعمارها
سل يوم طربيخا وقد هجم الردى | والحرب تقتدح الكماة شرارها
هل كان غيرهم يمجّ سنانه | حتفاً ويردي في الوغى أشرارها
حتى أصابوا الخيل ثمّة مغنماً | وحملتم أبد الزمان شنارها
ونكصتم رغماً على أعقابكم | تتطلبّون من الربى أوكارها
ما خلت إلا ان أملاك السما | كانت كما كنّا به أنصارها
في فيلق لا يستقرّ حميّة | حتى يبيد من العدى فجّارها
لا يبتغي إلا الصوارم عصمة | في كلّ ملحمة يخوض غمارها
من كل مفتول السواعد أشوس | لا يرعوي حتى يسدّ عوارها
أقسمت لو ان المنية سلعة | ما سامها إلا هُمُ واختارها
لو كنت تفهم ما أقول منحتني | صفو المودّة إذ حميت ذمارها
لا الفينّك ما حييتُ معرّضا | بهجاء قوم لا تشقّ غبارها
وإليك شعرور الزمان هدية | تحيي النفوس إذا شممت عرارها

وقال الشيخ ابراهيم يحيى الطيباوي حين فارق وطنه بعد وقعة الجزّار، يتشوق إلى أهله ووطنه، ويصف ما حلّ بزعيم تبنين الشيخ ناصيف النصار، وما حلّ بجبل عامل بعد مقتله:

من لي بردّ مواسم اللذاتِ | والعيش بين فتى وبين فتاة
ورجوع أيّام مضين بعامل | بين الجبال الشمّ والهضبات

عهدي بهاتيك المعاهد والدمى ... فيهن مثل الحور في الجنّات

والروض أفيح والجناب ممنعٌ ... والورد صاف والزمان مواتي

والشمل مجتمع وإخوان الصفا ... «أحنّ» من الأباء والأمّات

إذ لا ترى إلا كريماً كفّه ... والوجه عين حيا وعين حياة

أو مولعاً بالجود تفهق قدره ... إن الكرام رحيبة الساحات

أو فارساً يغشى الوغى بمهنّدٍ ... ينقضّ مثل النجم في الهبوات

يجلو بهمته الهموم إذا دجت ... ان الهموم تزول بالهمات

ما دام في قيد الحياة فدهره ... يومان يوم وغى ويوم هبات

وإذا مضى لم يبق غير مكرّم ... ومطهّم ومخذّم وقناة

أو عالم حبر إذا باحثته ... حشد المحيط عليك بالغمرات

وإذا اقتبست النور من مشكاته ... أهدى إليك البدر في الظلمات

أو عابد لله تعظيماً له ... لم يعن بالرغبات والرهبات

يخشى الإلٰه وما أصاب محرّما ... فكأنّه يخشى من الحسنات

حتى إذا سيم الهوان رأيته ... كالليث أيقظه نطاح الشاة

أو شاعراً ذرب اللسان تخاله ... قُحّاً ترعرع في الزمان العاتي

طبّاً بكل غريبة وحشية ... نشأت مع الآرام في الفلوات

ويصوغ كلَّ بديعة حضرية ... مصقولة الألفاظ كالمرآة

إن قال بذّ القائلين وقصّروا ... عن درك سبّاق إلى الغايات

لهفي على تلك الديار وأهلها ... لو كان تنفع غلتي لهفاتي

يا ليت شعري هل أرى ذاك الحمى ... خال من الفتيان والفتيات

سرعان ما درجت أويقات اللقا ... ان البروق سريعة الخطوات

أشكو إلى الرحمٰن بُعْدَ أحبة ... عصف الزمان بهم وقرب عداة

خطب دعاني للخروج من الحمى ... فخرجت بعد تلوّم وأناة
وتركته خوف الهوان وربما ... ترك النمير مخافة الهلكات
مستوطناً دار الضلال وربما ... ألقى الغريب عصاه بين عصاة
مالي وللبلد الذي نشر الخنا ... فيه بضائعه على الطرقات
قسم الفجور به على طول المدى ... والجور بين رعيّة ورعاة
لا يخدعنّك ثلّة من أهله ... مثل الكلاب تهرّ في الحلقات
قالوا عبيد الله نحن وربّهم ... يدري بأنّهم عبيد اللّات
فانظر إلى العلماء منهم هل ترى ... إلا تهالكهم على الشهوات
ينوون عصياناً ويبدون التُّقى ... للناس والأعمال بالنيّات
وانظر بعين العقل ما يقضي به ... في ملّة الإسلام شرّ قضاة
من قهر أيتام وظلم أرامل ... قعد الزمان بهم عن الأقوات
وثبوا على الأموال وثبة ضيغم ... مرّت بساحته صغار شياة
ميلا إلى الدنيا فكم من مصرع ... للدين بين هن وبين هنات
فاحكم كما حكم الكتاب بذمّهم ... وبظلمهم في محكم الآيات
وانفض يديك من الشآم وأهلها ... نفض الأنامل من ثرى الأموات
وابرأ إلى الرحمٰن من سكّانها ... حاشا ذوي الإيمان والطاعات
اطريت قوما أبصروا طرق الهدى ... والغيَّ فاختاروا طريق نجاة[1]
بيض الوجوه يلوح في جبهاتهم ... للناظرين دلائل الخيرات
وهم الكرام الأتقياء فدأبهم ... بذل الصلات وكثرة الصلوات
خيّمت في أكنافهم فكأنني ... ظام أناخ بدجلة وفرات

---

(١) يشير الشاعر إلى سادات آل المرتضى المنتقلين من عيثا إلى دمشق وبعلبك، فهم الذين حضنوه واكرموه بعد نجاته من معركة يارون لانه اشترك فيها مع الشهيد ناصيف النصار.

ووجدت قوماً من أتاهم بادروا قبل السؤال إليه بالبدرات
منح يشد كبيرها وصغيرها رمي الحجيج أحاط بالجمرات
يزداد نور وجوههم يوم العطا والبرق ما صدع الفراق حصاتي
طابت أصولهم فلا عجب إذا أتت الفروع بأطيب الثمرات
نسب يؤول إلى النبي محمد خير الأنام وسيّد السادات
مولى إذا قرع المسامع ذكره عجّت جميع الخلق بالصلوات
والى أخيه المرتضى وشريكه في المكرمات وكاشف الكربات
ذاك الذي صدع الكتاب بمدحه ومنزّل الإنجيل والتوراة
وأبو الأئمة والهداة من العمى أكرم بخير أئمّة وهداة
قوم بهم بزغت مصابيح الهدى والناس في ليل من الشبهات
هم خيرة الرحمٰن خيرة خلقه والصبح لا يحتاج للإثبات
وهم العباد المخلصون من الورى والذاكرون الله في الخلوات
والعالمون بكل علم احجمت عنه الخواطر غير كنه الذات
ملكوا أمور العالمين فأمرهم ماض على الأحياء والأموات
أُثني عليهم بالجميل وكيف لا يُثني النبات على الأتيّ الآتي
نلت السعادة في الحياة بحبّهم وبهم أنال الفوز بعد مماتي
وأخالهم لا يمنعون لهاتهم من عبدهم والروح في اللهوات
ان المكارم لا تعدّ مكارما إلا إذا اتصلت إلى الغايات
صلّى الإلٰه عليهم عدد الحصا والرمل والحركات والسكنات

وقال الشيخ ابراهيم يحيى يشكو زمانه ويتذكّر الأيام الحلوة تحت ظلّ زعيم تبنين ناصيف النصار ويهجو الجزّار وولاته وأهله:

أكفكف دمع العين وهو غزير واكتم نار القلب وهي تفور

وانتشق الأرواح من نحو عامل ... وفيها لمثلي سلوة وسرور

وانهض من شوق إلى ذاك الحمى ... وكيف نهوضي والجناح كسير

منازل أحباب إذا ما ذكرتهم ... شرقت بماء المزن وهو نمير

وبي ظمأ برح وفيها موارد ... وما هي إلا أوجه وثغور

ولي عندها أفلاذ قلب تركتها ... ومنها صغير باغم وكبير

وقد كان يشجيني تفرّق ساعة ... فكيف وقد مرّت عليّ شهور

ولي أمل أن يجمع الله بيننا ... وينظم هذا الشمل وهو نثير

فقد زال صبري عنهم وتصبّري ... وإن كان شيء منه فهو يسير

وغراء من عليا نزار تطلّعت ... إليّ بعين الظبي وهو غرير

تسائل عني لا بألفاظ ناطق ... ولكن بأغصان اللجين تشير

فقلت لها والعين يرفض دمعها ... وقد بادرتني أنّةٌ وزفير

كريم رماه الدهر في دار غربة ... فأصبح في دور الضلال يدور

صبور على جور الزمان وقلّما ... يخيب وإن طال البلاء صبور

تروح عليه النائبات وتغتدي ... وليس يبالي بالرياح ثبير

قضى ما قضى في عامل وتصرّمت ... حبال الأماني والحياة غرور

وقوّض عنها حين أظلم جوّها ... وغابت من الحيّ الحلال بدور

وكيف يطيب العيش بين منازل ... وفيهن كلب للكرام عقور

وأعجبني منها أمور ورابني ... أمور بها مشنوءة وأمور

منازل أشرار إذا ما سبرتها ... وجدت قصوراً حشوهن قصور

هي النار لو زال الغطاء وإن بدا ... لعينيك منها جنّةٌ وحرير

لها عند أرباب البصائر باطن ... وظاهر حال مظلم ومنير

إذا جعجع المقدار فيها مهذّباً عزيزاً أصاب الذلّ حيث يسير
خليليَّ أن الظلم طال ظلامه فهل من تباشير الصباح بشير
سئمت مقامي في دمشق وقلّما يسرّ وما زال الوثاق أسير
أروح وأغدو ظامياً في ربوعها وللماء حولي صيحة وخرير
لحى الله دهراً سامني خطّه الردى وجار وبعض المالكين يجور
وحمّلني ما لا أطيق احتماله ألا كلّ شيء لا يطاق عسير
وأخلى سماء المجد من زهرة العلا
وكان لها نور يضوع ونور
وبددّ أنصاري على الدهر حيث لا
يصاب لمثلي في الزمان نصير(١)
وصيّرهم ما بين حيّ مروع يطير مع العنقاء حيث تطير
وبين قتيل يشهد الله أنه شهيد له قبل النشور نشور
كأن لم يكونوا في مقام من العلى علي بُرْدِ الطرف وهو حسير
ولا خطبوا بكر العلا ونفوسهم لها وهي أغلى ما يساق مهور
ولا فاز منهم بالامان وبالمنى غنيٌّ أتاهم خائفاً وفقير
ولا نال ما يرجو من الدهر عنوة رئيس ثوى في ظلّهم وأمير
ولا خفقت أعلامهم فوق فيلق كما رفرفت فوق الفضاء طيور
ولا سمعوا صوت المنادي فبادروا
كبير كسرحان الغضا وصغير
ولا طوّقوا بالمشرفية والقنا وزيراً غشوماً يقتفيه وزير
ولا أرغموا من آل قيس معاطساً لها العزّ شرب والثناء سمير

---

(١) يبدأ الشاعر بوصف زعماء تبنين من آل نصار.

وما أنسى لا أنسى الغداة وقد أتوا ... لهم عدد فيما يرون كثير
الموا بنا راد الضحى ثم هجهجوا ... بنا فتلاقى زائر ومزور
فما وقفوا إلا قليلاً وأدبروا ... فقل في هشيم دغدغته دبور
يشلهم من آل نصار ضيغم ... وصلٌ إذا سيم الهوان يثور
وأبلج ميمون النقيبة وجهه ... إذا ما دجا ليل القتام منير
طويل إذا ما طاولته بنو العلى ... وإن طلب الأوتار فهو قصير
فغادرهم صرعى كأن جسومهم ... زقاق جرى منها الغداة خمور
وجبّ سنام المجد منهم فأصبحوا ... وللذل فيهم روحة وبكور
ومن نكد الأيام أن «شهابهم»[١] ... له بعد ما زال النهار ظهور
فلا تعذلاني ان شكوت فإنما ... يجرجر من حمل الثقيل بعير
ولا تانفا لي أن شكرت عصابة ... بهم طاب عيشي فالكريم شكور
وما عذر مثلي ان يضنّ بشكره ... على منعم اني إذاً لكفور
وعندي مما خوّل الله مقول ... يدور البديع الفرد حيث يدور
قواف إذا جرّت جلابيب حسنها ... تطامن حسان لها وجرير
وإن كثر المستشعرون فعندنا ... لباب وعند المدّعين قشور
ولا تستوي والحق أبلج واضح ... قصور تناجيها الصبا وقبور
ولا أرتجي بلّ الغليل من الورى ... فقد قلّ وردٌ فيهم وصدور
ومالي لا أرجو كريماً نواله ... يريك المحيط الغمر وهو غدير
امدّ له كلتا يديَّ لأنّه ... لمثلي من الذنب العظيم طهور
عناء لعمري نالني بعد راحة ... وللدهر ظل مرّةٌ وحرور
سأصبر أو تنجاب كلّ مُلِمَّةٍ ... وللصبح من بعد الظلام سفور

(١) يعني الشاعر بشهابهم: الأمير يوسف الشهابي.

وقال رحمه الله تعالى يشكو الزمان ويرثي أمير جبل عامل الشيخ ناصيف النصار ويصف دمشق الشام ويمدح السيد موسى جمال الدين أحد أبناء العائلة المرتضوية بدمشق وذلك عند خروجه من الوطن هارباً إلى دمشق حين استيلاء أحمد باشا الجزّار على جبل عامل بعد قتله أميره الشيخ ناصيف بن نصار:

مضى ما مضى والدهر بؤس وأنعم
وصبر الفتى ان مسّه الضرّ أحزم

وان كان في الشكوى كما قيل راحة
فعندي منها ما يمضّ ويؤلم

إلى الله نشكو لا إلى الناس أنّه — بنا من ذوي القربى أبرّ وأرحم

منينا بأحداث يضيق بها الفضا — وليس إلى أوج السلامة سلّم

فراق ولا وصل وفقر ولا غنى — وخوف ولا أمن وضد مُحَكَّمُ

يقولون بُعد الإلف أعظم شدّة — وقرب العدى عندي أشدّ وأعظم

يعزّ علينا ان نروح ومصرنا — لفرعون مغنى يصطفيه ومغنم

منازل أهل العدل منهم خلية — وفيها لأهل الجور جيش عرمرم

فلا باذل زاداً ولا قائل هدى — ولا دافع ضيما ولا متكرّم

وعهدي بها مأهولة وربيعها — على كل مرتاد العناد محرّم

وكان لها من آل نصّار صارم — صقيل وسهم لا يطيش ولهذم

هو الليث بل أعدى من الليث في العدى
هو الغيث بل أندى بنانا وأكرم

جواد جرى والسابقين إلى العلا — فجاز مداها والكرام تجمجم

ولا امتري ان الانابيب ففضلها — جليٌّ ولكنّ السنان المقدم

هو البدر وافاه المحاق وإنما ... يكون خسوف البدر وهو مُتَمَّمُ

قضى في ظلال المرهفات مُطَهَّراً ... واي شهيد لا يطهّره الدم

نقدناه فقدان الصباح ومن لنا ... بطلعته الغرّاء والدهر مظلم

فجعنا به والشمس في رونق الضحى

فلم نمس إلا والبلاء مُخيِّم

وعاثت يد الأيام فينا فمجدنا ... وبالرغم منّي ان اقول مُهَدَّم

ولست ترى إلا قتيلاً وهارباً ... سليباً ومكبولاً يُغَلُّ ويُرْغَمُ

وكم عالم في عامل طوّحت به ... طوائح خطب جرحها ليس يلأم

واصبح في قيد الهوان مُكَبَّلاً ... واعظم شيء عالمٌ لا يعظَّم

وكم من عزيز ناله الضيم فاغتدى ... وفي جيده حبل من الذلّ محكم

يدين بدين الكافرين مخافة ... الا رب شيء حلّ وهو محرّم

وكم هائم في الأرض تهفو بلبّه ... قوادم أفكار تغور وتتهم

ولما رأيت الظلم طال ظلامه ... وان صباح العدل لا يتبسّم

ترحّلت عن دار الهوان وقلّما ... يطيب الثوا في الدار والجار أرقم

أخاطر بالنفس النفيسة قاطعاً ... بلاداً يشيب الكفر فيها ويهرم

تملّكها والملك لله فاجرٌ ... سواء لديه ما يحلّ ويحرم

عتلٌّ زنيم يظهر الدين كاذباً ... وهيهات ان يخفى على الله مجرم

ولما بلغت الشام صادفت جنّةً ... بها الحور والولدان فذٌّ وتوأم

هي الغادة الحسناء ترقص فرحة ... فينثر دينار عليها ودرهم

تبختر في ثوب الغنى وهو مسبل ... وتختال في برد الهنا وهو معلم

وانهارها تفترُّ عن درر الحصا ... ويظهر مكنون الثغور التبسّم

وكم روضة فيحاء قد نثر الحيا ... عليها فريداً قلّما يتنظّم

رياض إذا هزّ النسيم غصونها ... تــأوّه مــشــتــاق وحــنّ مــتــيّــم
وان أخرجت من كمّها يانع الجنا ... تشارك فيه العين والأنف والفم
لها مبسم بالأقحوان مفضّضٌ ... وخد أسيل بالشقيق معندم
تبارك من أولى الشآم محاسناً ... غرائبها يمن لمن يتشاَمُ
محاسنها شتّى: جليٌّ وغامضٌ ... وجوهرها في الحسن لا يتقسّم
هي الدار نعم الدار لو أنّ عيشها ... يدوم ولكن الفناء محتّم
وفيها هنات لو أردت كشفتها ... ولكنّني عن مثل ذلك ملجم
تخيّرت منها منبت الدين والتقى ... وخيّمت فيه حين طاب المخيّم
فصادفت إخوانا كراما يزينهم ... عفاف وحلم وافر وتكرّم
سراة كرام ليس يكتم فضلهم ... وللمسك عرف طيّب ليس يكتم
هم القوم كلُّ القوم لولا صدودهم ... عن الجار وهو الخائف المتذمّم
نزلت بهم أبغي الجوار فأظهروا ... كراهة من يأبى الجوار ويسأم
وما كنت أرجو يعلم الله عندهم ... نصيباً من النعماء والله منعم
وكيف يُرَجّي حازم غاض وفره ... غناء من المربوب والربُّ أكرم
ولــكــنــنــي صــادفــت مــاء مــوّدةٍ ... فعرّجت والصادي على الماء يهجم
ولو عرفوا قدر المعارف أمسكوا ... بذيل فتى والحمد لله يعلم
ولكنهم لا أبعد الله دارهم ... سواء لديهم عالم ومُعَلَّمُ
فقوّضت عنهم كارهاً لفراقهم ... وما كل محبوب من الدهر يقسم
على ان لي فيهم خليلاً مهذّباً ... تجمّع فيه الفضل وهو مُقَسَّمُ
حسيب نسيب من ذؤابة هاشم ... وناهيك بالقوم الذين هم هم
إذا زمزم الحادي بهم في مفازة ... على ظما كادت توافيه زمزم

لموسى يد بيضاء عندي فقد حلا
بها طعم عيشي وهو صاب وعلقم

تخلّصت من فرعون همّي بقربه
ومالي عصا إلا هواه المخيّم

وليس خليلاً من يودّك في الرخا
وينبو إذا اشتدّ الزمان ويكهم

ولكنه الماضي على كل حالة
من الدهر لا ينبو ولا يتثلّم

إلى الله نشكو من خطوب أخفّها
يئط ثبير تحته ويلملم

لقد جرّحتنا شر جرح وما لنا
سوى فرج يأتي به الله مرهم

وظني ان الله جلّ جلاله
سيجبر هذا الكسر منا ويرحم

وسيلتنا انا عبيد عبيده
وعبد الكرام المكرمين يكرم

أيربح قطمير ونخسر في الهوى
ويعطي بحب الطيبين ونحرم

إذاً فضياء الصبح لا شك ظلمة
وجنّة عدن في القياس جهنم

إذ كان أغرانا بأخلاف جوده
فكيف ولما نملك الحول نفطم

تفضّله بالخير مبتدئاً به
يبشّر ان الله بالخير يختم

وقال شناعة المريحي يصف معركة حارة صيدا:

يقول المريحي من ضميره
بيوت من الذكا فيها نباهه

على ما صار بيبوت القوافي
معاني يطرب الفاهم نبأها

ويذكر وقعة صارت بصيدا
جموع وما لها حدٌّ تراها

من الشوف العريض ومن بعلبك
جراد قد غشا البيدا ثراها

لفا الجزّار والدالي معاهم
كراد وغزّ ما نفهم لغاها

ولا يعرف كواخي من أمارا
ولا نعرف توابع من لغاها

دروز وغز وتلايم معاهم
كراد رجال ما يدرو الوجاهه

عقيد الكل مير الشوف يوسف
بقومه سار للحارة وجاها

وقال اليوم نملك باب صيدا
ونآخذ ديرة بشارة معاها

ومن يآخذ تبيعه من رضيعه ... فلازم بعدها يكبر معاها
حلف ناصيف بالجيرة وزمزم ... ورب البيت والمختار طٰه
مزالي جاذب السرعين بيدي ... بلادي ما حدا غيري يطاها(١)
ونبّه على رجاله وعا أبطاله ... أسود الحرب يا مصعب لقاها
أخو ناصيف محمود الخصايل ... عليه، أم العلي تكثر نداها
حلف محمود بالدين المعظّم ... ورب الكون والياسين طٰه(٢)
مزالي ناقلاً للرمح بيدي ... بني متوال في عزّ اوجاها
وقاسم سترها يوم الزعازع ... إذا شح الندي قاسم نداها(٣)
علي الفارس تفرّس بالفضايل ... بلادو من عدو فيها حماها
علي الفارس شديد الباس صعبي ... جموع الضد في سيفه محاها
علي الفارس كريم الجد صعبي ... شجاع لا يمل ولا يضاهي
علي الفارس تمرّس بالمعامع ... له في كل معركة وجاهه
علي الفارس مقدّم بالفوارس ... ونار الحرب مضطربي لظاها
وعبّاس المحمّد كان حاضر ... برمحه جال في الهيجا وجاها
وعباس العلي ذيب المثالي ... أخو شيري بنيرانه حماها
مشاعيل الطرد اولاد واكد ... على خيل لفت بأوّل ثناها
عفا يوم لنا الصوات صايح ... وأجو من كل فجّ من خلاها
فتاهم كل داحول غشمشم ... حماة الصور بو محمد فتاها(٤)

---

(١) السرعين هو حصان الشيخ ناصيف النصار وهناك عائلة من آل السرعيني في تبنين ربما أخذت اسمها من وظيفة أحد أجدادها: سائس السرعين.

(٢) محمود: أبو حمد محمود النصار.

(٣) قاسم المراد: ابن مراد النصار.

(٤) أبو محمد: ناصيف النصار فقد كان محمد أكبر أولاده.

لفو وخيولهم ترعد براشم ضياغم للوغي ترعش قناها
ودزوا صايح للشيخ ظاهر أبو فرّاج كم شدة جلاها
وقف بالسيف عاتخت المعالي بجاهه أرخصت عليا جلاها
لنا في عزوة التبّع جنابه أسود ومن ظهر ظاهر نشاها[1]
بواب البخل سكّرها وفتح أبواب للسخا زخرف نشاها
عليّ الضيغمي والليث مدرع تراه على العدى يْصُفِّكْ وراها[2]
علي هزبر الخيلين سيدي على حدود العدى داس بحذاها[3]
عثمان السخا وسعيد واحمد
سيوف الحرب ما تحمل صداها[4]

كريم مثل بو زيد الهلالي وصالح نصر ولحايم عشاها
رضرغام الجميع الكل ظاهر صبر عالأمر حتى أن تناهى
فكانت خيلنا خيلين صارت على المهباج جمهور عفاها
عليف الخيل باتت في المخالي ولا تقبل من المسرى عشاها
على المصباح صفّرها صفوفاً وعجوا للحروبي والوهاها
فهوناك انتدب محمود ربعه عيال الصور يدخلنه و، اها
حرام أن العدا بيّات فيها ولا الجزّار وعيونه تراها
مزالي حاملاً للسيف بيدي بني نصار في عزّ وجاها
سنان الحرب غبطين الهوايا وحمول الخيل ديرتكم تراها

---

(١) التبع : لقب ملوك اليمن التابعة.
(٢) عليّ : الشيخ علي الظاهر.
(٣) الهزبر : الأسد.
(٤) عثمان وسعيد وأحمد : أبناء ظاهر العمر.

أسـود جـرّدوا حـدب الـمـداهـن / عـلـى قـوم بـقـايـاهـم سـفـاهـا
وعـاد الـخـيـل فـي ذولا وذولـه / غراب البين موتـهـم سـفـاها[1]
وعـاد الـزنـبـرك لـلـجـو ثـايـر / وحذف الطوب يرعد من حذاها
فـهـذي عـاودت راحـت جـنـيـبـة / ولـخـزي نـعـلـة حـمـلـت خـداها[2]
وهـذي صـابـهـا سـهـم الـمـنـايـا / وذيك الـرمـح نـافـذ مـن كـلاها
عليهم حامت طيور الجوارح / مـن الـعـقـبـان تـبـغـي لا كـلاها
وكم من خيلهم جنباً كسايب / سروج خيلهم سيدي خلاها[3]
عليهم عربدوا والخيل راحت / جـفـيـل وخـيـلـهـم تـطـرد خـلاها
وصار الذبح في العسكر وراهم / بـنـي مـتـوال عـافـت مـن دمـاها
رجـال لا يـهـابـون الـمـنـايـا / لـشـرب الـدم عـادوا فـي مـهـاها
بـنـي نـصـار عـقـبـان كـواسـر / لضرب السيف عادوا في مهاها[4]
بـأيـديـهـم سـيـوف مـرهـفـات / لـعـزم الـهـام لا تـبـغـي سـواها[5]
أشوف سيوف بيديهم تلمع / كـبـرق لاح فـي أعـلـى سـمـاها
أشـوف رمـاح بـيـديـهـم تـلاعـب / كـزرق نـجـوم فـي أعـلا سـمـاها
أشوف خيولهم تآخذ وتعطي / كـطـيـر طـار والـبـاشـق مـعـاها
ودالـيـهـم غـدا والـغـز راحـوا / وكـلـمـن قـال نـفـسـي لا سـواها
وراهم خيل ترعد كالصواعق / لأخـذ الـروح لا تـبـغـي سـواها
وعند الجسر فشل المير ملحم / وراح الـسـرج يـشـلـي فـي دمـاها

---

(١) ذولا وذوله: هؤلاء وهؤلاء.
(٢) جنيبة: فرس كريمة.
(٣) كسايب: جمع مكسب أي مكاسب.
(٤) مهاها: جمع مهى أي غزلانها.
(٥) الهام: الرؤوس.

فراس البغي عرجا يا ابن ملحم   وتنعي كل ما مدت يداها[1]

أمير الشوف قوطب عالرعايا   وخلي الدار تنعي من بناها

وخلاًّ لا حريم الشوف تبكي   رجال وبعضهم تبكي نساها

وأهل القول وأهل العرف قالت   وأهل البغي ما نالت مناها

وبعد القول صلّوا عا محمد   نبي الله عزّو ما تناها

وقال أيضاً يصف معركة كفر رمان النبطية:

قال ولد مريح في بياتو شكل   في زمان كل أحواله شكل

سائلوا من كان داري بالأمور   تاتشوفوا أيش محصوله شكل

وقعة صارت على جيش الدروز   رحت أنشد عاذلي عنها وسل

واشرح اللي صار فيها بالقريض   واقترحها لأجل ما صار وحصل

عسكر جرّوه عاديرة جباع   كالجراد وقايده ليث وفحل

ولد ملحم راعي الخطّ المنيف   لا عقود أم العلي بيده يحل

قادها من حمص لا ديرة حماه   لا قرايا الشام صوّاته وصل

من أرض بيروت للشوف العريض

من بلاد جبيل كم فارس وصل

وانحدر بجموع ما الهم عدد   يا جميل الستر من هذي الملل

شي دروز وشي يهود وشي قرود

وشي نصارى وشي كراد وشي ملل

ما تأخّر جيشهم إلا وصل   عابلاد جباع خلّوها سهل

يا رجال الشوف يملون الفجاج   حربهم وعلاج ما ظني سهل

---

(١) ابن ملحم: الأمير يوسف ملحم الشهابي وهو الذي خسر معركة حارة صيدا.

رايدين لا ديرة بشارة جميع ‏ لا صفد وبلادها ساحل جبل
ما يعرفون الظاهري الظاهر زعيم
عز من بذراه للحنّا جبل
كيف نسيوا صولة الزير العنيد ‏ ينصر المظلوم ناصيف اعتدل
ويح ثم الويح من غارة هذول ‏ سائلوا عثمان باشتهم عدل[1]
كل حامي ديرتو صعب المراس ‏ والقرايا دونها خيل ووهل
دونها من كل غطريف علاج ‏ طالعوا بالسعد عالزهرا أهل
يا دروب الخيل صفوّها جموع ‏ حصّنوا البارود في ذاك المحل
خيل مثل السيل وقروم تريع ‏ كم وكم ديرات عادوها محل
واعتقد ناصيف كاكل الجموع ‏ صار مثل الليث أسرع من فتل
كم وقايع قبل هذي يحدها ‏ كم شوارب حزها بيدو وفتل
مثل مير الشوف يوسف يوم صال
لا عرب صاليم عالوادي نزل
في عساكر عدّها تسعين ألف ‏ أو تزيد عداد خوفي من الزلل
جاهلين الحرب ما يدرو الزمان ‏ خايفين الدهر وصروف النكل
شايلين المكر معهم في الجراب ‏ حيث أن العلم دوزانه قبل
لا علي تتروح لا عند الامير ‏ تايجير الصلح ونعاود قبل
واعقبوا بجموع يبغون المراد ‏ عاكفر رمان فاتوا بالعجل
لا يحيق المكر إلا بالجنود ‏ مدفع الباغين قصّر بالعجل
رايدين حصارنا وسط الجدار ‏ ليش مير لصال ما يدري الفشل
من يغالط عزوة الزير العنيد ‏ جرح قلبه كل ما ينقض فشل

---

(١) عثمان باشا الصادق الكرجي.

ثارت النخوات في روس الرجال ... واعتلوا الرايات من فوق الجبل
هون طاب الموت واختار الجبان ... ما بها للبين والواشي حيل
وانتخى محمود لا ناصيف أخوه ... لا علي الفارس تحدّر كالجبل
شفت أخو زينب كريم شبه ذيب ... ينتخي للكل يجملهم جمل
شفت أخو يسرى وأسعد كالفهود ... شفت عباس العلي يوم حمل
طالبين العون من رب العباد ... أن يحل السعد في ذاك المحل
وانتخى إبراهيم لا قاسم مراد ... كان ابن دبّور فكاك العقل
من قفاهم خيل صارت كالغيوم ... هزبري لو كان حاضر ما غفل
واشتهر ناصيف لما يعرفوه ... صار مثل الطود يهوي أن نزل
شفت ذاك الساع للفعل المهول ... والخصيم اللي يغالطهم أضل
يا علي الفارس يعارك بالجموع ... شبه ليث صال وأسرع من بطل
بعد هذا أحجمت جمع الدروز ... للمتاريس عمّروها بالعجل
أرسلوا الصوات لا ناصيف يقول ... أن هذا الأمر ما عاد ينهمل
انتخى في الحال ناصيف العنيد ... صار مثل السبع يهدر كالجمل
تكوكبت حوله رجاله كالغيوم ... يا كرم أيوب يا ما قد فعل
انتخى محمود برمحو بالجموع ... قال يا ناصيف امض من شمال
ذاك كان الرأي ما لو من شبيه ... غير عباس العلي يا نعم البطل
نهضة الحكام لا سحب السيوف ... سيدها ناصيف يا نعم البطل
كان يوم مر من يوم الفراق ... عالدروز الكسر واليهم نزل
شوف خيل الزير فاتت عالظهور ... شبه غيم طافها ساحل جبل
والكواخي قاضبة رأس الحصان ... خايفين عالشيخ من ذاك الملل

وهو يهدر بينهم مثل البعير		أو كسبع هاج في روس القلل

من كثر ما هاج أرخوا للحصان		أرعب العدوان في كثر الصهل

هاجت الصبيان في سحب السيوف

تكوكبت خلفه كغيث لو نزل

سيفهم ناصيف يا نعم العقيد		شاهراً للسيف في إيدو نصل

تكوكبت خلفه فوارس كالغمام		شاهرات سيوف بيديهم نصل

شاهراً للسيف في إيدو اليمين		طارح الأبطال في روس التلل

والذي منهم سياج الناقضات		ذاك أخوه الليث محمود الخصل

ناقلاً للرمح في كف اليمين		مردي الفرسان فيه بالعجل

صال في العسكر يميناً مع شمال		يا أخوه الزير يهدر كالجمل

أظلم الأفاق من كثر العجاج		شوف لمع السيف يبرق بالعجل

صاح مير الشوف هاتولي الحصان

من عظم ما شاف أعطوه البغل

وارتعب من حين شاف الخيل إجت

أفقست كالرعد لو جاد وهطل

سيفها ناصيف يا نعم العقيد		شاهراً للسيف في يدّ ونصل

صاح بأعلى الصوت يا جد الحسين

أين أهل العُرْض وأرباب البذل

جَرِّدون الحدب برماح طوال		وانطربن الخيل واصطكت شمل

أول المشوار لا علج الطريق		وثاني المشوار للقارح شمل

وأذهل العقال وقص الصافنات		من ظهور الجيد يخفون الصقل

قامت الصيحات في جيش الدروز
يا جميل الستر من هذا البطل
شبه ليث مُذْ أتي لينا سريع
يا خيوله شبه غيث لو هطل
هون شفت الفعل من سيدي يبان
جاد أخو محمود فيما قد فعل
كم طريح راح من كفّه ينوء
من جناب السيف دلالّه فعل
ما يفوت المير ديرتنا حرام
لو نبت من فوق طربوشه نخل[1]
راح مير الشوف مهزوم ذميم
علقت بذراه نيران الشعل
وين مير الشوف يوسف وين راح
الذي للحرب راكبلو بغل
ما فطن لا حرب محمود الزعيم
راح قلبو ممتلي منهم زغل
شاف قومه قَفْوُهُمْ خيل تزوم
كاشاحات شاب شلتهم شلل
يحسبون الحرب شي بيعة حرير
ويش جاب الحرب لا غزل الشمل

(١) المير: يعني به الشاعر: المير يوسف الشهابي.

شيخهم بالوادّ فاتوه بغطيط
بفرا السمّور وجميع الثقل

قصّروا الخطوات منهم بالصعود
هرولوا والكل صايبهم ثقل

والذي ما فات منهم قول مات
والسليم يقول عمري ما بصل

ذاك بالوادي وهذا في البطين
والذي مشهور منهم فوق تل

خمّت القيعان منهم والفلا
من كثر ما صار عالبيدا قتل

ذاك بو جرحين هذا بو ثلاث
صابهم هدلان وأكثرهم هزل[1]

راحت العقال صايبهم صراع
ما يعرفون الجد من بعض الهزل

من قرايا الشوف تدعس في رمام
لا قفا جرجوع ما قالوا دخل

وصل لا جزين يوسف واستراح
عرف قوى الباس منه وانشغل

يا وقعة ما مثلها ظني يصير
يضربوها عاد في الدنيا مثل

---

(١) مرض الهدلان: مرض يصيب البقر فتهزل شيئاً فشيئاً ثم تموت من الهزال.

نالها ناصيف كسّاب الحميد

مسقي العدوان من حنظل وخل

الفتى ناصيف ماله من شبيه

بالمراجل فاق عاكل الملل

في بني متوال ما ظني يصير

مثل ناصيف الأسد نعم البطل

صوته كالرعد عند الإزدحام

يزعج الأبطال يهتز الجبل

ذاك ستر لا بني متوال جميع

صانها بالسيف ساحل مع جبل

ومن بعد ذا نذكر محمد بالصلا

أحمد المبعوث لا كل الملل

مع ذويه الغر أنوار الهدى

حجة الرحمٰن عا أهل النحل

وقال بعض الزجّالين في وصف زعماء تبنين من آل علي الصغير:

يا بني متوال يا سباع الرجال
يوم كفر رمان بنيتو الهوال

يا بني متوال يا سباع الرجال
يشبهو البارود لو لحقو الزناد

* * *

يوم كفر رمان شتتو العدى
وكلها شربت بكاسات الردى

المير يوسف لا طريقوا ما اهتدى
شبعت وحوش البر من لحم القداد

* * *

شبعت وحوش البر وجميعا لطيور

وامتلا جوف القشاعم والنسور

كنت أنا خيال غاير بالظهور حين إجت كل المناصب والبلاد

* * *

اسأل بيّك قبل منك والجدود كيف كنا في الحرب مثل الأسود

بنصحك من بعد هذي لا تعود وقول لأولادك ولأولاد الولاد

* * *

اسأل بيّك قبل منك والعتاق كنت أنا خيال أخف من البراق

لما انتخى (ناصيف) وبسيفو زعق

صار شخب الدم يضرب للعداد

* * *

صار شخب الدم يضرب للركاب لا تحدّو أرض بعد بتنطلب

ببعث وراك مُراد بتلبي الطلب بودعك في بير وبدقّ الوداد

* * *

بودعك في بير معتّم في ظلام ما حصي كتاب يكتبها بقلم

من تعلم في إشارة أو علام سمتو سلمى سليمى للأبد

وقال السيد حسين مرتضى بمدح أمراء تبنين أبناء الشيخ ناصيف، محمد الناصيف وفارس الناصيف ومحمد البك ابن محمود النصّار:

اجلت في نخبة الأيام افكاري

أجل وسرحت في ذا الخلق انظاري

فلم أجد غير أبناء ابن نصار
للسيف والضيف والمستصعب الطاري
المعشر الغر والقوم الذين هم الـ
حياة للخلق لا صوب الحيا الجاري
تراهم فترى أساد ملحمة وكاشفي كربتي ضرّ وإعسار
كل المحامد أضحت في محمّدهم الماجد الفذّ والعاري من العار
ربُّ الكمال الذي الرحمٰن أنشاه من الجمال تعالى الخالق الباري
طلاّع نجد المعالي وابن بجدتها
نجل الفتى شبل ناصيف بن نصّار
وفارس الفيلقين الندب أسبقهم
لنيل كل علا والمطعم القاري
الثابت العهد والمعطي الوفود غنى
والصادق الوعد والمنّاع للجار
والطيّب الصنع والمحمود سيرته وذكره بين أخيار وأشرار
ما زال يشري المعالي فهي قائلة
مالي سوى فارس الناصيف من شاري
وصاحب القلعة الشمّاء ماجدهم
محمّد خير مطعان ومنحار[1]
محمود خلق وأخلاق كوالده الضا
ري أبي حمد والشبل كالضاري

---

(١) محمد: هو محمد المحمود شقيق حمد البيك وجدّ علي بك الأسعد.

فـتـى تـسـربـل سـربـال الـعـلا وجـرى
لـنـيـلـهـا سـابـقـاً فـي كـل مـضـمـار

أضـحـى بـه الـمـجـد مـرفـوعـاً دعـائـمـه
دون الـورى وبـه زنـد الـعـلا واري

ومـنـهـم الـنـدب سـلـمـان الـذي شـهـدت
بـفـضـلـه الـنـاس مـن بـاد ومـن قـاري[1]

كالـلـيـث والـغـيـث فـي يـومـي وغـى ونـدى
يـقـري الـجـيـاع ويـروي كـلّ بـتّـار

وثـم أقـمـار تـم مـنـهـم سـطـعـت
أنـوارهـا واهـتـدى فـي ضـوئـهـا الـسـاري

أخـبـارهـم فـي الـمـعـالـي لـسـت أحـصـرهـا
وكـيـف حـصـر الـفـتـى أمـواج تـيّـار

أمـاجـد رفـع الـرحـمٰـن قـدرهـم
وأظـهـر الـفـضـل مـنـهـم أيّ إظـهـار

وسـادة لـم يـزل فـي الـكـون ذكـرهـم
يـروي فـيـنـفـح مـنـه عـرف أزهـار

مـا مـسـك داريـن أذكـى مـنـه مـنـتـشـقـاً
فـي كـلّ قـطـر مـن الأقـطـار أو دار

نـزلـت فـيـهـم غـداة الـدهـر أصـبـح بـي
مـطـوّحـاً عـن لـوا أهـلـي وعـن داري

---

(١) سلمان: سلمان بك الحسن النصّار، والد حسين بك السلمان وجدّ تامر بك الحسين.

وأحسنوا الصنع بي حتى حسبتهم

أهلي وقل لأهلي الصدق تذكاري

أفاض نعمته الرحمٰن خالصة

عليهم وحباهم طول أعمار

وصيّر الله في برج العلا أبداً

سعودهم ذات إشراق وإبدار

وللعالم الفاضل النحرير، الشاعر المفلق الشهير، الشيخ علي زيدان العاملي من قصيدة طويلة في مديح حمد البيك:

لمن الركائب في الأزمّة ترسم

والركب يعرق في الفلاة ويشأمُ

وافتك تنفخ في الأزمّة طُلّحاً

يدمي الذرى منها ويدمي المنسم

أكلت غواربها الهواجر بعدما

قتل الفلا منها الجديل وأرقم

ألوت بساحة كعبةٍ محجوجةٍ

وحجيجها وفد دعاه الموسم

اسد إذا لاقى الكتائب في الوغى

ولّت يلفّ اخيرها المتقدّم

كالغيث لكن كلّما سُئل الندا

أسقى الندا وسماه لا تتغيّم

فَرْعٌ من القوم الأولى استنموا العلا

ولهم من المجد السنام الأعظم

ورث العلى عن معشرٍ امو الهم
سمر القنا ومخذَّمٌ ومطهَمُ

ما فيهم إلا كميٌّ باسل
أو طاعن أو ضارب او منعم

وإذا العلى انتسبت فتلك ثلاثة
جدٌّ له وأب ابرٌّ وابنم

قمقامها صمصامها مقدامها
مصدامها في الروع ذاك الضيغم

حلّ المغارم عن ذويها وانثنى
طلق الجبين كأنّه لا يغرم

اخلاقه شهد ولكن بأسه
سمٌّ على اعدائه أو علقم

ان اورد السمر الطوال على العدى
صدرت وذاك اللون منها عندم

عفّ الأتاد فما تمرّ بربعه
الفحشا ولا ريب هناك يُخَيَّمُ

علم تحجّ إلى حمى ساحاته
عرب بكعبتها تلوذ واعجم

آمالها شتّى تناخ ببابه
فيحلّ من آمالها ما يحرم

شهم له صفو العلى ولبابها
ومن الرياسة كفّها والمعصم

ما زال يشرب من حياض نعيمها
متغذّياً بلبانها لا يفطم
ويبيت يهتف بالمكارم مغرماً
واخو المعالي بالمكارم مغرم
يعطى فيغتنم الثناء على الندى
إنّ المكارم للأكارم مغنم
يقظان منتبهاً لكلّ خفيّةٍ
غيران ينقض في الخطوب ويبرم
لبّاس درع الحزم لهذمه النهى
قد يخبط الظلماء من لا يحزم
ليس الفتى من بات يلهو مغفلاً
ان الفتى بالاريحيّة معلم
قد هذّب الأزمان منه مُهذّبٌ
ومثقّفٌ لقناتها ومقدّم
طالت يد العلياء لما حافها
فلها من الأيّام يوم أيْوَمُ
مولىً تقول له الرياسة والعلى
الامر امرك والزمان مسلّم
فرع على الأصلين من جودٍ ومن
مجد حليفاه علاً وتكرّم
مجد يلوح كبارقٍ في عارضٍ
او غرّة والدهر منها ادهم

يقرى مُرَجّيه البشاشة والندى
والسحب من بعد البوارق تسجم

والسحب تبكي إذ تجود ولم يزل
يولي الندى قبل السؤال ويبسم

ولرايه وقناته يوم الوغى
بأس يردّ الجيش وهو عرمرم

والرأي لا يجلي الكروب عن الفتى
ما لم يسدّده السنان اللهذم

والبيض لا يَبْيَضُّ يوم كريهة
وجه الفتى حتى يعصفرها الدم

قل للذي يرجو مداه من العلى
هيهات جاوزك السها والمرزم

تلك الفضائل ان طواها حاسد
فالصبح ضاحي الوجه لا يتلثّم

اعطى الشجاعة في المواقف حقّها
اسد بلأمة بأسه متلثّم

والمجد سلم للشجاعة والندى
والجبن حرب للعلى والدرهم

جود الفتى طبع فإن عدم الغنى
فالمجد منه والندى لا يعدم

يا كعبة الآداب والعلم الذي
واديه من سيل الفضائل مفعم

صدمت مواهبك الفحول فاقلعت
فعلمت ان فؤادها لا يسلم
رغمت انوف المال كفّك بالسخا
هل كان لولا الجود انفٌ يرغم
ام هل يطول على النوائب سيّدٌ
والمال من جدواه لا يتظلّم
ان العلى خدمتك منذ خدمتها
والمجد تخدمه الرجال فيخدم
دافعت عنها والحوادث جمّةٌ
فرددت ظفر الخطب وهو مقلّم
اسد ولكن نشر مجدك مِسْكُهُ
والجاش اربط والمحيّا أكرم
شكراً فما تبقى العلى إلا إذا
ما قوبلت بالشكر تلك الأنعم
وافتك من بكر القوافي أيّم
ولكفوها الكافي تزف الأيّم[1]
عذراء احلى في الفؤاد من المنى
الورد في الوجنات يرشفه الفم
يهتزّ سامعها لسحر بيانها
طرباً كشارب مرقدٍ يترنّم

---

(١) الأيّم: المرأة التي لا زوج لها وهو شبه القصيدة بالأيّم البكر التي لا تناسب غير حمد البيك بمعانيها.

وقال الشيخ حبيب الكاظمي يمدح حمد المحمود:

بشرت بالمزن ارواح النعاما
فأجِلْ لي الكاس على أيدي الندامى

هاتها صرفاً كما شاء الهوى
واعطني جاماً وعاطى الصحب جاما

صور الوهم هيولا شكلها
فمشى اللب إليها فاستهاما

كخيال الطيف إن لاحظتها
لا ترى عيناً وتصفيك مناما

فإذا ما رمت منها أرَبَاً
فخذ العهد عليها والذماما

واصطبحها قد طوى الليل الردا
وعليه الصبح قد سلّ الحساما

فبدت أيّامنا مشرقة
باليد البيضاء إذ تفنى الظلاما

وبها استسقى الورى فانبجست
اعين الدهر اماناً وسلاماً

وطوى البشر الاماني إذ وطى
حمد البك من الظهر السناما

حلب الدهر به ضرع الندى
فارتوى صوباً وما استسقى الغماما

موئل اللاجي مناخ المرتجي
صَيِّبُ الجدوى نوالاً واعتصاماً

مـدرك الـغـايـة احـرزت الـمـدى
اين وجّهت إلى الرمـي الـسـهـامـا

قد شكى السيف الظما حتى ارتوى
وانحنى عود القنا حتى استقاما

خذ بما شئت ودع او فاستبق
فلك الأمران نهياً واحتكاما

واطىء الهام احتكم فيها بما
تنصف الحكمة في البين اقتساما

ودع الحكمة تعطى قسمها
للظبا هاماً وللتيجان هاما

واحيها سنّة من سنّوا على
سنن الدهر مَحَلاً لن يراما

لست بالآخذ عن مستحدث
ولك السبق قديماً ودواما

انها جاءتك تزجي خيلها
ولقد القت بناديك الذماما

علمت أنك أقصى رشدها
ورأت غيرك شباء وسواما

وتخطّى المجد أعناق الورى
فإذا حلّ بناديك أقاما

قد درى ان يراعيك حمىً
مستقيماً ويرى الباغي جِماما

حولك الموكب كالسحب انتضى
بارقات القضب يرعدن ازدحاما

وعلى كفيّك قد شاهدتها
كحجيج حاول الركن استلاما

وقد استنجدت من أفاقها
انجم السعد مغاويراً كراما

ايقظوا الدهر وقد أغفله
فقد من اعطوه بالرفد الذماما

سلكوا منهاجه فاستمطرت
راحة المجد من السحب الركاما

واصطفاك الملك عيناً ويداً
وحباك الله نصراً واحتشاما

حيث ألقاك حساماً قاطعاً
حادث الخطب فأهداك حساما

وقد اختارك درعاً سابغاً
فجنى المثل بمثليه اعتلاما

برميشٍ كيف أوطئت العدا
بالضمرات فنكّست النظاما

إذ لوى مير اللوا عنه اللوا
والتوى كالظبي يحتلّ الأجاما

هل درى الوادي من استنزله
أجدلٌ شام بواديه حماما

خرّ منقضّاً على اوكارها
فتخاذلن من الركب اصطلاما
ولك السطوة اورت زندها
في فلسطين فأكفيت اللهاما
رات التسليم منها سلماً
منك ينجيها فوافتك اعتصاما
ورئيس القوم ولّى مدبراً
حين ألفى قسور الحرب اماما
وعلى الأردنّ منك انتفضت
ردن الموت هجوماً واقتحاما
ولقد هدمت لولا سلمها
ثلمة لم يحفها الدهر اليتاما
ضيغم صال فلو شاهدته
لشهدت البرق يقتطّ الظلاما
ولكم اشفيت قلباً موجعاً
في شفا عمرو واحييت رماما
ثم أطلقت أسارى أوغلت
للحشا ناراً وللدمع انسجاما
وثنيت العزم منها تجتني
يانع الحرب وقد شبت غلاما
أخذ الغيظ على أعناقهم
بيعة الشكر لنعماك التزاما

خذ بأذقانهم سحباً على
رغم آنافهم واخزى اللئاما

إن وفوها فلهم منك يد
أو نفوها فاقرء الوادي السلاما

هكذا من لرضى سلطانه
يجعل الأعداء اشلاء حطاما

يا ليوثاً جاء من أشبالهم
كعليّ القدر مقداماً هماما

نزلت عنه المعالي منزلاً
لو حظى المريخ فيها ما تساما

حيث ان الفكر مني قاصر
عن مزاياه فقصّرت الكلاما

عطّر الكون ثناء فيهم
ينشر الطيب على رغم الخزاما

خذ أبي فدعم مني غادة
اسفرت عن غرّة الصبح اللثاما[1]

دم وعش وأسلم وصل واغنم وصل
لا القنا جاف ولا السيف كهاما

لم يزل ذكرك يعلو كلّما
بشّرت بالمزن أرواح النعاما

(١) أبو فدعم: لقب حمد البيك ويعني ذا الوجه الصبوح.

وكان الشيخ حمد طلب من الشاعر علي سبيتي ان ينظم قصيدة يمدح بها السلطان عبد المجيد فمدحه بهذه القصيدة وذكر أمجاد تبنين وزعمائها فقال:

تفاخرني السراة وأنَّ قومي ... لقوم جلببوا الشمس الظلاما

أماجد غبَّروا في كلِّ وجه ... بهم ثغر العلى أبْدَى ابتساما

تضاحكهم عبوسات الليالي ... وكم وضّاح قوم قد تعامى

نصبنا المجد حتى أنَّ قوماً ... بظلِّ فخارنا ضربوا الخياما

وكم يوم عبوس قمطرير ... عقدنا فوق هامتهم قتاما

سنَنّا كلَّ نعمى في البرايا ... بأعناق الملوك غدت وساما[1]

وأوسعنا العدات فضاق فيهم ... عريض البرّ فانقادوا ذماما

تركنا الشاة ترعى في حماها ... وذيب الوحش يحذر أن تناما

ملكنا الكعبتين فظلَّ كلٌّ ... لكعبتنا خضوعاً واستلاما

لنا عبد المجيد وأي فضل ... من الرحمن يوسعنا انسجاما

ضفى ستر المجيد به علينا ... فاوسع قطرنا عدلاً جماما

قضى دين المفاخر بالمعالي ... فايقظ عدله قوماً نياما

جرى في الناس رتقاً فاستقامت ... بسيرته عويج فاستقاما

تحبّب للرعية بانبساط ... وهل حبٌّ سوى باللطف قاما

لنا يوم الحبيس وأي يومٍ ... منعنا شوس مصر أن تناما[2]

---

(١) النعمى: اليد الكريمة.

(٢) يفاخر الشيخ علي السبيتي بأيام ووقائع حمد البيك ضد الجيوش المصرية.

غدا عمراً رئيسهم شريداً ... له خلف وليس له أماما

دهته المشرفية والعوالي ... وكم فجّ تخيّله أكاما

وقبل يوم حمص لو ترانا ... أثرنا نقع حرب قد أغاما

تقاعس كل أشوس مشمخرٍ ... وبحر الموت يلتطم التطاما

وكم يوم لنا كالشمس ذكراً ... وأسود من دجى الهيجا مقاما

أطعنا الملك إذ يعصيه قوم ... على حال نرى الصبح الظلاما

أما وأبيك محمود المزايا ... من الغرّ الذين مضوا كراما

وتيجان علت هامات تلك ... الملوك وكل من صلّى وصاما

لقد عزّ النظير لبأس قومٍ ... بعليا مجدك السامي تسامى

فتى في الحرب تحسبه عقاباً ... بجو النقع يختطف الحماما

تعوّد طاعة الخلفاء طفلاً ... وشاب على الولاء لهم وداما

وقال الشيخ سليمان قعيق يمدح زعيم تبنين حمد البيك:

عريب النقى قلبي على حبكم يطوى ... وحاشا عناني نحو غيركم يلوَى

وإني وقلبي في هواكم ومهجتي ... نشاوى وحتى الحشر لا نعرف الصحوا

ملكتم فؤادي فارحموا من ملكتم ... فقلبي بنار الوجد من أجلكم يكوى

وحق الهوى والوجد والشوق الوفا ... وحق الجوى والوصل والحبّ والشكوى

لأنتم منى قلبي وأنّي بحبّكم ... أسير غليل في الغرام أخو بلوى

فإن تصلوا صبّاً أضرّت به النوى
فقد فزتم بالاجر من سامع النجوى
فوصلكم ريحان نفسي وانتم
مُنى النفس لا رَبْعُ الغوير ولا حزوى
وذكركم في الدهر فرضي وسنّتي
وفي قربكم لي جنّة الخلد والمأوى
منحتكم مني المديح تودّداً
ولست لرفد في مديحكم أهوى
ولا غرو أن أبقى به الدهر مولعا
فذكركم عندي هو المنُّ والسلوى
لقد سعدت أرضٌ حللتم بربعها
وليست بغير الوبل من كفّكم تُرْوَى
ودم حَمَداً بالحمد واليسر والثنا
بخيرٍ وفُزْ بالعزّ والغاية القصوى[1]

وقال سليمان صولي يمدحه:

أقسمت بمنحلك الشعر وبما في الغرّة من فجر
وبسهم لواحظها وبما قد أودع فيه من سحر
وهنالك رأس عساكرهم حمد يتهلّل بالبشر
وهناك هناك أتى حمد كهزبر فُكَّ من الأسر
وانقضّ بجيش جرّار كالليث بإثر ظبا عفر

---

(١) ودم حمداً: يعني الزعيم حمد البيك.

واتبعه الجيش يصيح بهم ... ان الإنسان لفي خسر
لله بنو نصّار وما ... نسلت للمجد وللفخر

وقال الشيخ علي مروة يمدح زعيم تبنين حمد المحمود[1]:

جادك العارض مهما وكفا ... يا ربوعا بحمى الأندلس
وحماك الله دهرا وكفى ... يا حمى رامة ذات الأنس
زمن فيك مضى وانقرضا ... بين كأس وحديث وعناق
لم أجد عنه لعمري عوضا ... ليته يسمح يوماً بتلاق
يا له من عهد أنس ورضى ... حيث كاسات المنى فيه دهاق
نتعاطى سلسبيلا قرقفا ... من يدي أحور طرف أنعس
مع خليل ذي وداد ووفا ... أحتسي من ثغره ما أحتسي
يا نديمي اقضيا لي اربي ... غنّيا لي وأسقياني سحرا
زوّجا ابنة الغيث بنت العنب ... فسقيط الطلّ درّاً نثرا
وسعى الكاس بتاج الحبب ... وغدا النرجس يرنو شزرا
يغمز الورد ويبدي أسفا ... شاخص الطرف كمثل الأخرس
وهزار الدوح غنى شغفا ... وارتدى الروض ببرد سندسي
ونسيم الصبح طيبا نقلا ... وترى الغصن سرورا يلعب
واكتسى خد شقيق خجلا ... مذ رأى الريح ذيولا تسحب
تنقل الأخبار عنهم جملا ... وعيون النجم فيهم ترقب
ورقيب الدهر ساه قد غفا ... وحسود الحب بالغيظ كسي

---

(١) ذكر السيد محسن الأمين ان الشيخ علي مروة قدّم لهذه القصيدة بقوله: وقلت أمدح الشيخ حمد نجل المرحوم محمد المحمود، مما يعني ان حمد البيك ليس ابن محمود النصّار بل ابن محمد محمود النصّار، (والله أعلم).

والحيا اهدى صباحاً تحفا ... للروابي من بديع الملبس

صاحبيَّ اصطبحا واغتبقا ... ودعا عذل عذول وملام

فخطيب الديك وافى ورقا ... معلنا حيَّ على شرب المدام

وجنود الهم راحت فرقا ... وكؤوس الراح توصي بالسلام

في يديّ ظبيٌ غرير أهيفا ... من بني الترك شهي اللعس

ليّن العطف إذا ما انعطفا ... لم يزل غصن النقا في مَيَسِ

ساحر الطرف إذا ما نفثا ... عوذا من نافث في العقد

بمليك الفخر من قد ورثا ... صهوة المجد رفيع العمد

حمد القرم إذا ما انبعثا ... في الوغي طارت قلوب الأسد

من سطاه وغدا مرتجفا ... كل مقدام كميّ اشوس

قائد الجيش إذا ما زحفا ... لم يزل طير الفلا في عرس

كفّه الغيث إذا ما انهملا ... اخصب الربع وبَثَّ الزهرا

مانح الوفر إذا ما سئلا ... جاد بالنفس وأبدى العذرا

واحد الدهر نوالا وعلا ... دافع الخطب إذا الخطب عرا

سبط نصّار المعالي وكفى ... بحماهم يلتجي كل مُسي

آل نصّار الذي قد عرفا ... نجد البائس والمبتئس

سيما سيف العلا والعضد ... مركز الفضل وقطب الأدب

اسد تخشى لقاه الأسد ... اسعد الجد كخال وأب

الكريم المنتمى والعمد ... ماجد من ماجد منتجب

هاكها عذراء ودٌّ ووفا ... زانها المدح بأبهى ملبس

واسلما في رغد عيش وصفا ... ما همى دمع الحيا المنبجس

وقال يمدح الشيخ حمد أيضاً سنة ١٢٤٤هـ:

إحبس ركابك بين البان والعلم
مُيَمِّماً نحو ذات الضال والسلم

واخلع نعالك إن وافيت مجتنبا
وطء الثرى وارع منه حرمة الحرم

وانزل على شاطئ الوادي وخطُّ به
عن الرجال تصب ما شئت فاغتنم

في منزل ترف بالزهر مُتَّصِفٍ
بالعزِ مكتنف بالأهل والحشم

اقماره طلعت أنواره سطعت
غلمانه رتعت في ظلّه العَمَمِ

غزلانه سنحت ورقاؤه صدحت
انهاره طفحت بالبارد الشبم

قامت دعائمه هبّت نسائمه
باتت حمائمه في أحسن النغم

شطّت مطارحه طابت روائحه
تشدو صوادحه في صوتها الرخم

الوحش ساكنه والطير قاطنه
أمست معاطنه مالوفة الرخم

ستّاره نظر في وسطه نهر
حصباؤه درر يغنيك عن آرم

مع كل ناجبة الجديّن ناعمة
الخدين ناهدة الثديين في هضم

زَجٌّ حواجبها سود ذوائبها

بيض ترائبها في حمرة العنم

في لفظها رتل في ردفها ثقل

في مشيها كسل اعيت على الأمم

وسناء في دعج لعساء في ثلج

حمراء في بلج تغشاك في الحلم

وعدي مما طلة بالجور عاملة

عنّي مزائلة سفّاكة لدمي

جاءت على عجل تختال في حلل

كالبدر في ظلل من حندس الظلم

والشوق سائقها والمسك سابقها

والنجم رافقها في زيّ متّهم

والحيُّ من ارج الأردان خلت به

عُدّت مآثر قوم عند ذكرهم

ابناء ناصيف حقا ليس يجهلهم

إلا حليف عمي عن واضح اللقم

إن كنت جاهلهم فانزل مَنَازِلهم

واسأل مُنازِلَهم عن يوم بأسهم

عزّت نظائرهم طابت سرائرهم

تزهو عناصرهم في الأعصر الدهم

زكّت مناسبهم عمّت مواهبهم

ذاعت مناقبهم في العرب والعجم

وقال الشيخ علي مروة يمدح حمد البك مشبهاً تبنين بمكة أم القرى:

باتت على مضض السرى سهدا ... مشغوفة في سيرها أمدا
خمصاء ظامية الفؤاد وقد ... ألقت على جمر الحصا زبدا
والأفق من حد الغزالة في ... ارجائها نار الغضا وقدا
والشوق حاويها وقائدها ... لم يلوها نصب وطول مدا
حتى أتت أم القرى ورأت ... في ربعها ليث الشرى حمدا[1]
الوارث العلياء عن سلف ... قد شيّدوا من أصلها عمدا
هم معشر طابت عناصرهم ... قدما وصحّت لحمة وسدا
يا ابن الجحاجحة الأولى جعلوا ... فينا طرائف مجدهم قددا
فخرت بك الشامات وابتهجت ... لما جلوت عن القلوب صدا
وأقمت من أمر النظام بها ... ما كان من معوّجِهِ فسدا
يا من بنى المجد الأثيل على ... رغم العدى فاستظهروا حسدا
ما احنف ما حاتم بلغا ... منه المدا يوما وقد جهدا[2]
يسقي النديم سلاف منطقه ... فيخال أن الشهد ما شهدا
لم يبغه أحد ينازله ... إلا موارد حتفه وردا
واسأل رميشا حين باكرها ... بالغارة الشعوا وسل صفدا
واسأل بروجا زلزلت وهوت ... من عكة لما ان احتشدا
خرّت له في الحال ساجدة ... والسور تعظيما له سجدا

---

(١) أم القرى وهي لقب مكّة المكرمة، وقد شبّه الشاعر مروّة، تبنين بمكّة.

(٢) يقول الشاعر ان الأحنف بن قيس وحاتم الطائي لم يبلغا ما بلغه حمد البيك في الكرم ورجاحة العقل.

والنصر وافاه بناصرة وانحلّ ما القاضي بها عقدا
خابت مساعيه ومامله إذ لم يصب من أمره رشدا
امست انوف القوم مرغمة مذ انجز الإقبال ما وعدا

وقال السيد موسى عباس وهو من أشراف دير سريان يمدح زعيم تبنين حمد البيك ووريثه من بعده علي بك الأسعد:

المع بروق أم بريق الصوارم ام ابتسمت عن ثغرها ام سالم
اجل تلك سلمى سلّمت فتبسّمت دجى فأضاءتنا بروق المباسم
سلام وتسليم على أم سالم وإن كنت من وجدي بها غير سالم
شكوت لها ما بي من الوجد والجوى وهل تنفع الشكوى إلى غير راحم
امالكتي والملك لله فارفقي بصبٍّ كئيب موجع القلب هائم
ولا تحرميني من جمالك نظرة ولا تجعلي الأعراض ضربة لازم
سقى عصرنا بالرقمتين فطالما نعمنا بدعد في رباه وفاطم
بديعة حسن لو تراءت لراهب لناح عليها نوح ورق الحمائم
واصبح عن دين المسيح بمعزل ولم يثنه عن حبّها لوم لائم

تميس كغصن البان رنّحه الصبا
بفرع كمسودِّ الدُجُنَّةِ فاحم
ووجه يحاكي الشمس في رونق الضحى
كما انجلت المرآة ابيض ناعم
بدت روضة للحسن فيه انيقة
حمتها بألحاظ كبيض الصوارم
فمن نرجس غضّ تريه لحاظها
ومن أقحوان يجتلي في المباسم
ومن جُلُّنار أظهرته شفاهها
وورد جنى في الخدود النواعم
مليكة حسن والأنام عبيدها
لها الحكم فلتحكم على كل حاكم
كما تملك الأعناق بالجود والندى
يدا حمد المحمود عند العظائم
اخو الحمد مشتقٌّ من الحمد اسمه
ووالده المحمود فرد الأكارم
كذلك اخوه أسعد الناس أسعد
فتى جاور الرحمن ارحم راحم[1]
وأبقى لنا من بعده خلفا له
عليا علي القدر سامي الدعائم
اولئك قوم ما لهم من مماثل
قد اقتسموا الحمد اقتسام الغنائم

---

(١) أسعد: والد علي بك الأسعد.

لهم شرف من جدهم وأبيهم

وفارسهم ليث الوغى والملاحم

لئن اصبحت آباؤهم وجدودهم

رمائم فالآثار غير رمائم

وذكرهم في الناس ما زال باقيا

وآثارهم مثل النجوم النواجم

يجدّدها من بعدهم خير مالك

تملّك أسباب العلى والمكارم

هو ابن أبي الهيجاء مردي كماتها

وفارسها المعروف عند التصادم

وغوث الورى في كل خطب اذا عرا

ومفزعهم في الحادث المتفاقم

هو الغيث قد عم الأنام مواهبا

هو البحر من جدواه فيض الغمائم

وهيهات اين الغيث من جود كفه

وهل غير باق زائل مثل دائم

على أنه يعطي نضاراً وعسجداً

وذاك بغير الماء ليس بساجم

ولا يتبع المعروف بالمن والأذى

وان وهب الدنيا فليس بنادم

تراه إذا ما جاءه الضيف باسماً

وحين يراه راحلاً غير باسم

تـكـاد مـغـانـيـه تـهـشّ عـراصـهـا
فـتـقـدم مـن شـوق إلـى كـل قـادم

ويـرتـاح لـلـجـدوى ويـطـرب لـلـنـدى
كـإطـرابـه عـنـد اقـتـحـام الـمـلاحـم

طويل نجاد السيف سام إلى العلى
بـهـمـتّـه مـن قـبـل عـقـد الـتـمـائـم

كـريـم دعـاه الـحـمـد يـا حـمـد الـنـدى
ويـا ابـن الـنـجـيـبـات الـعـفـاف الكـرائـم

ويـا مـولـي الـعـافـيـن فـضـلا ونـائـلا
ويـا حـامـلا لـلـغـرم عـن كـل غـارم

ويـا حـاكـمـاً بـيـن الأنـام بـعـدلـه
ويـا مـنـصـف الـمـظـلـوم مـن كل ظـالـم

ويـا نـاظـمـاً شـمـل الـمـكـارم والـعـلـى
ويـا خـاصـمـا بـالـسـيـف كلٌ مـخـاصـم

ويـا مـورد الأبـطـال فـي هـوّة الـردى
ويـا تـارك الأمـوال غـنـمـا لـغـانـم

ويـا نـاهـب الأرواح فـي حـومـة الـوغـى
ويـا تـارك الاجـسـاد طـعـم الـقـشـاعـم

وكـم وقـعـة مـشـهـورة لـك فـي الـعـدى
سـرى ذكـرهـا فـي عـربـهـا والأعـاجـم

تركت بها الأبطال صرعى على الثرى
خـواشـع أشـلاء بـغـيـر جـمـاجـم

وكم مادح أهدى إليك مديحه
وليس بما تقضي الحقوق بقائم
فكان كمن اهدى إلى البحر جرعة
على أنها من لجُه المتلاطم
همام إذا ما جئته في مهمّة
قضاها ولو كانت بحزّ الغلاصم
كريم إذا استمطرته فاض نائلا
وجودا لفيض العارض المتراكم
سريع إلى الجلّى فإن تَدْعُهُ تجد
أخا نجدة كالسيف ماضي العزائم
غيور إذا ما هجته هجت ضيغما
من الغاب يسطو بالأسود الضياغم
هو الليث إن سالمته كنت سالما
وإن لم تسالمه فلست بسالم
صبور إذا ما أعجز الصبر ذا حجى
حليم وإن يظلم فليس بحالم
وقور ولكنّ المديح يهزّه
طروب ولكن عند وقع الصوارم
خبير بصير بالأمور وناقد
لها نقد صرّاف لزيف الدراهم
يرى ما تراه العين بالرأي والحجى
ينام ولكن قلبه غير نائم

به عامل اضحت تفاخر غيرها
يدبّرها تدبير أروع حازم

فلا غرو إن أضحى عليها مؤمّرا
من الملك المنصور صدر الأعاظم

فيا حمد المحمود في الناس فعله
ونائله يا ابن الكرام الأكارم

سموت على هام السماكين رفعة
وفقت على الفضل بن يحيى وحاتم

اليك أتت تطوي الفيافي ركائبي
من النجف الأعلى إلى دير قاسم

براها السرى لم يبق غير أهابها
يقوم على أضلاعها والقوائم

وها هي في مثواك ألقت رحالها
وأنت لها دون الورى خير راحم

فخذها ابن ام المجد كالشمس بهجة
شريفة قدر من شريف وهاشمي

إليك الشريف الموسوي يزفّها
منظمة كالدر في سلك ناظم

ودم سالما ما دامت الأرض والسما
وضدّك منكوس اللوا غير سالم

ولولا علاكم ما نظمت قصيدة
ولا شاقني سلمى ولا ام سالم

وقال يمدحه ايضاً ويمدح ابن أخيه علي بك وارسلها إليه من النجف الأشرف:

إلى عامل شوقي وفي القلب عامل
فيا ويح قلبي ما بي الشوق عامل

يحمّلني ما لا أطيق وانّه
ليثقل رضوى بعض ما انا حامل

فراق ووجد واشتياق ولوعة
وحزن وإن طال المدى متطاول

وذكر حبيب نازح ومنازل
بَعُدْنَ وفي قلبي لهنّ منازل

واجفان عين لا تجفّ دموعها
ونار لها بين الضلوع مشاعل

تشاغل كل الناس فيما يهمّهم
وعن كل شغل لي من الوجد شاغل

وقائلة والنار تسعر في الحشى
واجفان عيني بالدموع هوامل

اراك أطلت الحزن والنوح والبكا
وما تحت هذا الطول للمرء طائل

وعهدي بذاك الطود لا تستفزّه
صروف الليالي والخطوب النوازل

فقلت لها كفّي الملام فربّما
جعلت وقد يستصغر الأمر جاهل

عذلت امرأ لا يخرق العذل سمعه
الا فليطل ما شاء في العذل عاذل

أمثلي من يلحى على طول حزنه
وتطمع منّي في السلوّ العواذل

فما انسى لا انسى الزمان الذي مضى
بعاملة والدهر عنّي غافل

ويا حبذا لبنان من سفح عامل
ويا حبّذا أجباله والسواحل

ولا سيما منها «الزريرية» التي
أقام بها بحر له البحر ساحل

يفيض على العافين فضلا ونائلا
فلا برحت تنهلّ منه الفواضل

لقد خاب من أمسى يؤمّل غيره
فما كل برق بعده الغيث هاطل

وكم قد رأينا من سراب بقيعة
إذا جاءه الظامي فما الريّ حاصل

إلى كل ملك في الأنام وسائل
وإن أياديه إليه وسائل

كأنّ نداه الغيث والغيث سائل
إذا أمّه مسترفد منه سائل

تَعَوَّدَ بسط الكف حتى لو أنه
ثناها لقبض لم تطعه الأنامل

فكل حديث في الندى عنه مسند
كما كل فضل عنه يرويه فاضل

لقد طال حتى لم يجد من مطاول
وساجل حتى لم يجد من يساجل

وقال فلم يترك مقالا لقائل
وان الصواب الحقّ ما هو قائل

لئن فخرت يوماً بسحبان وائل
ففي حمد فلتفخر الدهر عامل

على انه ان يُعْزَ مجدٌ لوائل
نمته إلى جرثومة المجد وائل

بديع زمان والبديع ابتداعه
وقسٌّ أياد والأيادي هواطل

بليغ فلا عبد الحميد ببالغ
مداه وما أن واصل منه واصل

إذا ما جرى في الطرس يوماً يراعه
رأيت القضا يجري على ما يحاول

فمن أجل يقضي لمن جار واعتدى
ومن أمل يقضي لمن هو آمل

يطول على السمر الطوال يراعه
رأيت القضا يجري على ما يحاول

فيا حبّذا ذاك اليراع وحبَّذا
بنان غدت تجري به وتساجل

فهنّ لعمري الغيث والغوث للورى
وهنّ بحور والبحور جداول

فللّه كم أحيت نفوساً وقتّلت
نفوساً فهن المحييات القواتل

عداك الردى والبؤس يا ابن محمد
وغالت عداك الحادثات الغوائل

ولا زلت منصور الكتائب في الوغى
تمدّك من جند الإله قبائل

حميت بلاد المسلمين وصنتها
وأنت لدين الله كاف وكافل

وجمّعت شمل العدل وهو مبدّدٌ
وفرّقت شمل الجور والجور شامل

وكم لك في يوم الحروب مواقف
ثَبَتَّ لها والجو بالنقع حائل

إذا صلت في الأعداء فرّوا كأنّهم
سوام عليها الليث عاد وصائل

وما زلت تروي من دمائهم الثرى
وتصدر ظمآناً وسيفك ناهل

تبدّدهم في البيد شرقاً ومغرباً
كما بدّدت شمل البغاة الأجادل

طلعت على الأعداء طلعة عارض
أطلّ المنايا منه طلّ ووابل

وتقري الوغى يا ابن الوغى كلّ باسل

كميٌّ تحاماه الكماة البواسل

فتثني عليك الوحش والطير في السما

إذ الكلّ منها ناله منك نائل

وتثني عليك البيض والسمر في الوغى

كما لم تزل تثني الجياد الصواهل

فما البيض إلا في يديك صوارم

ولا السمر إلا في يديك عوامل

وما الخيل إلا حيث تعلو متونها

جياد إذا ما قابلتك القبائل

فلولاك ما ثارت جياد إلى الوغى

ولولاك لم تعقد لسيف حمائل

ولا ثقّف السمر العوالي مُثَقِّفٌ

ولا صقلت بيض المواضي صياقل

ولولاك زند المجد ما كان قادحاً

وجيد العلى من حلية الفضل عاطل

أعدت الندى حيّاً وقد كان ميّتاً

فماتت مُلِمَّاتٌ وعاشت أرامل

فما خاب من جاب الموامي قاصداً

إليك ولم تكذبه فيك المخايل

وما أمّك العافون إلاّ وانجعوا

وقد رحلوا تثني عليك الرواحل

فما جاد فيما جدت فيه ابن حُرة
ولا بذل المعروف مثلك باذل

واغرب من عنقاء ما قد رأيته
جهول غبيٌّ في الجهالة واغل

غدا يدّعي ما أنت فيه من العلى
ويا رُبَّ دعوى ما عليها دلائل

فويل له أين القصبًا من القنا
وأين من البيض الرقاق المناجل

فمن كان ذي طول يطول على الورى
فرب طويل ما لديه طوائل

جريت فما جاراك إلا ابن أسعد
على أنّه من سعدك السعد نائل

عليٌّ سما في ذروة المجد والعلى
مقاماً علياً دونه النجم نازل

فلا غرو ان أضحى يماثل عمّه
فشبل العفرنا للعفرنا مماثل[1]

حنانيك قد أغرقت في طلب العلى
رويداً فما فوق النجوم منازل

خطبت العلى حتى ملكت زمامها
وطلت علا ما طالها قطّ طائل

سموت سمّو الفرقدين على السهى
وقمت مقام البدر والبدر كامل

---

(١) العفرنا: الأسد.

إذ عــامــل فـــي عــامــل جــار واعــتــدى

سـقـتـه زعـافـا مـن يـديـك الـعـوامـل

فـكـم مـن شـديـد الـبـاس عـبـل شـمـردل

أتـيـح لـه مـنـك الـحِـمـام الـمـعـاجـل

وكـــم لـــك مـــن يـــوم أغـــرٌ مُـــحَـــجَّـــلِ

لـك الـخـطـب فـيـه ذلٌ والـخـطـب هـائـل

رمـــى الله ابـــراهـــيـــم مـــنـــك وجـــيـــشـــه

بـغـائـلـةٍ فـاغـتـالـهـم مـنـك غـائـل[1]

ثـبـتٌّ لـــهـــم والـــحـــرب فـــاغـــرة الـــلـــهـــى

فـمـا حـلـتـهـم فـيـهـا وأنـت الـمـمـاحـل

وفـــرّ قـــتـــهـــم أيـــدي ســـبـــا فـــكـــأنّـــهـــم

قـطـا ريـع مـن أوكـاره وهـو قـائـل

ومـــا مـــلـــت إلا نـــحـــو مـــجـــد مـــؤثّـــلِ

وغـيـرك نـحـو الـمـال والـسـلـب مـائـل

فـــإبـــت وقـــد زمّـــلـــتـــهـــم بـــدمـــائـــهـــم

ونـسـوتـهـم ثـكـلـى حـيـارى أرامـل

تـــروح وتـــغـــدي الـــســـافـــيـــات عـــلـــيـــهـــم

وتـنـدبـهـم فـي الـنـادبـات الـثـواكـل

تـــزورهـــم الـــعـــقـــبـــان صـــبـــحـــاً ومـــغـــربـــاً

وتـصـدر عـنـهـم وهـي مـنـهـم نـواهـل

---

(١) ابراهيم: ابراهيم باشا المصري، وهو الذي انكسرت جيوشه أمام جيش حمد البيك في رميش وشفا عمرو والحبيس وحمص والأردن.

ومـا بـرحـت تـعـوي الـذئـاب عـلـيـهـم
وقـد مـلـئـت مـنـهـا الـبـطـون الـهـوازل

تـنـوح عـلـيـهـم فـي الـبـراري وحـوشـهـا
ومـا كـلّ مـا تـبـدي الـنـيـاحـة ثـاكـل

وعُـدْتُ فـعـادت بـعـدك الـحـرب أيّـمـاً
وأنـت الـذي الـقـحـتـهـا وهـي حـائـل

فـلا زلـت لـلـهـيـجـاء يـا بـن زعـيـمـهـا
زعـيـمـاً تُـحـيـيّـك الـقـنـا والـقـنـابـل

وكـم لـك مـن أمـثـالـهـا يـا بـن قـطـبـهـا
كـفـاك بـيـوم الـجـسـر مـا أنـت فـاعـل[1]

عـدوت عـلـيـهـم عـدوة الـلـيـث إذ رأى
فـرائـسـه تـدنـو إلـيـهـا الـفـراعـل[2]

فـمـزّ قـتـهـم بـالـبـيـض كـلّ مُـمـزَّقٍ
وألـبـسـتـهـم ثـوب الـردى وهـو شـامـل

وقال الشيخ صليبي الواكد يصف العمال السوريين العاملين في حقول قلعة تبنين:

أسـائـلـهـم لـمـن (حـوران) تـعـزى — فـقـالـوا لـلـذئـاب ولـلـكـلاب
مـرابـعـهـم كـلـون الـقـار سـود — ودورهـم عـلـى جـرف الـخـراب
فـلـم تـسـمـع بـهـا إلاّ نـبـاحـاً — ولـم تـبـصـر بـهـا غـيـر الـذبـاب

---

(١) يوم الجسر: المعركة التي انتصر فيها حمد البيك على المصريين على جسر بنات يعقوب.
(٢) الفراعل: مفرد فُرْعُل وهو ولد الضبع.

ولا تـلـقـى بـهـا إلا كـلابـاً ولا تـلـفـي بـهـا غـيـر الـتـراب

وقال الشيخ صليبي يصف تبنين وأهلها وزعماءها.

جدّ الـمـسـيـر إلـى (تـبـنـين) تـلـقـى بـهـا
شـهـمـاً إلـى ذروة الـعـيّـوق مـرقـاه
قـد أصـبـحـت مـن نـداه روضـة وغـدت
حـصـنـاً مـكـيـنـاً وعـيـن الـلّـه تـرعـاه
ربـيـعـهـا (حـمـد) الـمـنـهـلّ مـن يـده
غـيـث لـو الـزمـن اسـتـسـقـاه روّاه
مـولـى لـه خـضـعـت هـام الـمـلـوك وقـد
سـاس الأمـور فـأضـحـت طـوع يـمـنـاه
لـيـث بـراثـنـه الـبـيـض الـرقـاق ومـن
يـلـقـى الألُـوف فـتـخـشـى هـول لـقـيـاه
فـاسـلـم بـعـزٍّ ومـجـد غـيـر مـنـقـطـع
مـلـيـك فـضـل وشـكـر مـن رعـايـاه

وقال الشيخ حبيب الكاظمي يمدح زعيم تبنين حمد البيك ويعاتبه:

يا بـيـك عـنـدي لـلـعـتـاب لـسـان فـيـه لـغـيـرك صـارم وسـنـان
يـولـيـك بـالـعـتـبـى مـدائـح شـاكـر وإن اسـتـمـرّ لِـحَـظِّـه الـنـقـصـان
تعطي وتمنع حسبما يقضي به حكم اللبيب وحدسك الميزان
وافـى إلـيـك الـجـاعـدون بـنـظـمـهـم شـعـرا لـه تـتـعـاكـف الـديـدان
فحبوتهم منك الجزيل ولم تزل تـحـبـوهـم مـا جـادك الإمـكـان
وجعلت بينهم وبيني قسمة يـعـنـو لـهـا الإنـصـاف والإذعـان

لهم الغباوة والفسالة والعطا والفضل لي والمدح والحرمان[1]
هذا الذكاء وذا العطاء وهذه شيم الكرام وهكذا العرفان
أنت الحكيم بكلّ ما تأتي به ما رسطاليس وما لقمان
من كان مثلك لا عدمت حياته افديه مما سامه الحدثان
يا بحر عَشْرٌ بعدها خَمْسٌ مضت لك مركب سارٍ ولي شطآن
ما ان اجرّ به ليعلو موطئي إلا وجرّ برجلي الخذلان
فأصّح ما الفِيت أنّ وعودكم مثل السراب ومثلي الظمآن
تغري بنا الأوهام في أطماعها حرصا على الموهوم وهو عيان
إن خاب متجرها أعادت ثانيا فكأنّما مرغوبها الخسران
فالله يجزي عنكم أوهامنا خيرا وجاد شبابها الريعان
لكم بها حسن الثناء مؤبّدا ولنا بهنّ مذلّةٌ وهوان
ورسمت ان تقرّبي لك باعث
قطعي صَدَقْتَ وفي النوى الرجحان
فليشكر الرحمان من هو عنكم ناء ويغني عنكم السلوان
ولقد سألتك بالذي فلق النوى وبمن أتي في حقّه القرآن
الاّ أجبت عن السؤال فإنني انا للجواب العاطش الغرثان[2]
ان لم تكن لي في الحياة وأنت في زمن له في راحتيك عنان
فهلِ ادّخرتك للمعاد إذا سعى بي مالكٌ او صدني رضوان
أم في غد في القبر أنشد مدحكم للمنكرين فينتهي رومان
أم في الصراط تمدّني بفوارس فتهابك النيران والخُزّان[3]

---

(١) الفسالة: الرذالة. والعطا: ما ينالونه من حمد البيك.
(٢) الغرثان: من غرث أي جاع والغرثان هو الجوعان.
(٣) الخُزّان جمع خازن وهم خدام النار عند المجوس.

ولعل رأيك أن تكون مواصلا | في يوم لا دنيا ولا سكّان
بعناكم دينا لنشري منكم | دنيا فلا الدنيا ولا الإيمان
هذا جزاء الطامعين بأنّهم | خانت بهم أوهامهم إذ خانوا
فلو انّني استغفرت قدر مدائحي | لَكُمُ أتاني العفو والغفران
ما ان أقمت لكم صلاة مدائح | إلا وكرّر للقنوت أذان
أنا في المديح وأنت حين قطعتني | كلّ له في صنعه إتقان
ومن العجائب أنّ ذاتي جرّدت | أدبا وجرّد ذاتك العرفان
ويضيع مثلي عند مثلك؟ إنّ ذا | أمر تضلّ بمثله الأذهان
لكنّما حظّي وَجُودُكَ نائمٌ | هذا وهذا ساهر يقظان
فتباعد الضدّان في حاليهما | ولكلّ حال حجّةٌ وبيان
ما شد صنعي في الورى إلا الذي | قد شق نبعة دوحه سلمان
الأروع الشهم الهمام الأريحي | اللوذعي الضارب الطعّان

وقال الكاظمي يهنىء علي بك الأسعد بإمارته الجديدة بعد عمه حمد البك ويعزّيه به إذ تخلّف بعده:

بشراك غاض الحزن عن متأسّفِ | أودى بمهجته جوى المتلهّفِ
صبغ البكاء ثيابه من دمعه | فيروح بين مطرّز ومُفَوّفِ
حزنا على من قد شَرِبْتُ بقربه | راح الصفا بمزاج راحٍ قرقف
حتى قضى فعرفت ما صنع القضا
بجفون أسوان ومهجة مدنف
وقد انتشت غبّ الذبول خميلة | يَنِعَتْ بوارق كلّ مجد مشرف
فتراجعت تلك السنون وأهلها | بمهذّبٍ لبس العلا ومقذّف
سار على متن النجوم بعزّة | نجمت بأيمن طالع وتصرّف

ريّان من ماء الكمال يزينه علم ابن روزبة وحلم الاحنف

بحلاوة المستطرفين ورقّة الـ متقشّفين وعفّة المتصوّف

ومقذّف غيران لم يخط العلا متقرّب العزمات غير مسوّف

فغدت به الدنيا عروسا غضّةً تختال في جلباب عيش مترف

من عُدّ للجلّى وكلٌ مُلمَّةٍ غوث الصريح بها وغيث المعتفي[1]

وقال يمدح الأمير حمد البك بن محمد بن محمود بن الشيخ ناصيف بن نصار العاملي ويعتذر إليه:

أين الظباء من الحسان الخود في العطف منها والفروع السود

أين الورود من الخدود وأين من خمر الرضاب لها ابنة العنقود

لكنما لعب الكلام بألسُنِ الشعراء في التشبيه والتجديد

فعدلت عن غزلي بغزلان النقى ومها العقيق وحاجر وزرود

لمديح من عقد اللواء على الولا ء له الزمان وقد مشى بجنود

في بيض مرهفة وسود وقائع ونفوذ رأي في الزمان سديد

(١) المعتفي: صاحب الحاجة والفقير.

قد نابذت جيش المكارم فانثنت

عن كلّ ظلّ من ذراه مديد

حمد العلا من طوّقت آلاؤه

بالفضل منه كلّ عاطل جيد

مستدرك الأمد البعيد باقرب الـ

إيحاء دون تكلّف المجهود

فكأنّ دائرة المدار قضت له

فيما يرى من موعد ووعيد

يقضي بأحكام العلاء وسمعه

يستنُّ بين العذل والتفنيد

يدنو لأخطار الزمان وعزمه

ناء ونوءُ نداه غير بعيد

يعطي الرغائب مُبدئا ويعيدها

اكرم بأفضل مُبْدِءٍ ومعيد

لم تثنه نار الكفاح عن الندى

كلاّ ولا عن عزمه بصدود

يعطي ويلقى والعداة كأنّها

وَفْدُ العفاة ولات حين وفود

يغري ويغرب خلقه وجنابه

لطف النسيم وقسوة الجلمود

متبسّماً عند الكفاح وسيفه

يُذْري العقيق على خدود البيد

فالقضب تركع بالحنيّ على الشوى
والهام خاضعة له بسجود

وسما على كرم الطباع بأربع
جبلت مع الإيمان والتوحيد

في عدل كسرى في شجاعة رستم
في جود حاتم في ذكاء لبيد

يا صاحب الغايات قد أدركت ما
جاز المدى ووطئت كل شديد

إن كانت العتبى تقدّم لي بها
ذنب فإن العفو عين ورود

وشفيع ذنبي عين آل محمد
أعني عليا كهف كلّ طريد

العالم البحر الذي لا ينثني
عن كل وجه للعلاء حميد

يا من بهم دوح المكارم يانع
ابدا وورق المدح في تغريد[1]

حمد الاله الناس عند ولائكم
وتوسّلوا بمحمّد المحمود

جعل المهيمن عيدكم وهلاله الـ
ـبادي الأغرّ علي أسعد عيد

---

(١) الوُرْقُ: جمع ورقاء وهي الحمامة.

وقال يرثي السيدة زينب زوجة حمد البك وإحدى عقائل بني الأسعد ويعزّيه عنها، ويعزّي ابن أخيه علي بك الأسعد. ويذكر تاريخ وفاتها، ودفنت بجوار نبيّ الله يوشع عليه السلام:

قصدوا المسير وأزمعوا ان يذهبوا
واستحسنوا دار البقا فتأهّبوا

لبسوا لها بيض الثياب كأنّها
أحسابهم وبها ارتدوا وتنقّبوا

وذكا بهم طيب الحنوط وذكرهم
عبق ومن طيب الأفاوه أطيب[1]

وتزوّدوا للسير من أعمالهم
ما زيّنوا فيه القصور وطيّبوا

نزلوا بها متنعّمين وغادروا
بين القلوب لواعجا تتقلّب

وفقيدة الأيّام اورث فقدها
رزءاً تهون النائبات ويصعب

ويتيمة رُدَّتْ إلى صدف الثرى
ولها إلى الملأ العليّ تقرّب

ما هذه الغبراء وجه أديمها
بحر فكيف به اليتيمة ترسب

وعجبت للنعش الصموت وقد سرى
والجو مضطرب الجهات مقطّب

(١) الأفاوه: الأفاويه وهي المسك والعنبر وأنواع الطيب.

هل يعلم القوم الذين سروا به	للقبر من حملوا به وتنكّبوا
قد كان ينطق نعشها لكنما	هو أعجم وهي المكارم تعرب
لولا صراخ الحاسرات وراءه	ونداوءها حتى أجابت يثرب
لَسَمِعْتَ للحدباء رَنَةً واجد	أسفا تنوح على الفقيد وتندب
فمن المعزّي الليث نجل محمّد	حمدا له تعزى العلاء وتنسب
فطن تَخُطُّ له البصيرة مظهرا	في مرقب الإيمان لا يتحجّب
صبرا لماتمها وان عزّ العزا	فالصبر أولى باللبيب وأنسب
ان المنيّة لا تطيش سهامها	ابدا وليس من المنيّة مهرب
ولو ان هذا السهم يدرأ بالفدا	لفدا فقيدك دارع ومدرّب
خلق البرية للفناء فكلّنا	نغدو إلى هذا المقرّ ونذهب
ان كان قد عزّ السلوُّ فإنّه	بك يا عليّ يستطاب فيعذب
الأروع الندب الكريم الأريحي	أبو المكارم والسليل الأنجب
سُقْيَاً لقبر انت مضمر سِرَّه	فيه النزاهَة والعفاف مُغَيَّبُ
هي زينب شمس وذا تاريخها	نادى وقد وردت ليوشع زينب
سنة ١٢٧٠هـ

وهذا التاريخ يشير إلى ان زوجة حمد البيك قد توفيت سنة ١٢٧٠هـ أي بعد وفاته بثماني سنوات.

وقال يمدح علي بك الأسعد ويذكر بناء قصره في قلعة تبنين:

علي انت للأمراء فخر	وأنت بدارة العلياء بدر
رفعت بهامة الجوزاء قصرا	ولم ير قبله في النجم قصر
كأنّ القلعة الشمّاء منه	سماء كواكب والقصر فجر
تبدّى عن شروق علاك صبحا	فأدّى فرضه المجد المُقِرّ

وأديت الصلاة به ابتهالا | وتسبيحي به حمد وشكر
سما صرحا فَصَرْحٌ فيه معنى | له في دارة العيّوق سِرٌّ[1]
تسامى شاهقاً في الجوّ حتى | يخال له على الأفلاك وتر
فهذا المهرجان فقم لنجلي | عرائس عيشنا فالعيد دهر

وقال يمدح الشيخ حسين السلمان[2] بقصيدة منها:

وهل بسوى الحسين ينال رشد | له الخرّيت قد ضلّ السبيلا
وأخمد وقد صالية شبوب | بها لم يبرد الماء الغليلا
وبت يد الهوان وبت رايا | برى بحديدة السيف الصقيلا
ألم تسمع بيوم الجسر لما | تجاسرت الفوادح ان تصولا
به مدّت رواق الشر قوم | على روح تحاول ان تميلا
وعاد الناس باالآراء تسعى | لغايتها ولم تجد الوصولا
تجاذبه بأشطان غلال | شددت برأسها خطباً مهولا
فكان المستجار لها حسين | فأسكنها مع الآساد غيلا
ومد لها مدى الأيام ظلاً | على مستنجد النعما ظليلا
وقد بسط العناية من قدير | له كف حوت فضلاً جزيلا
بها خضع الملوك له فأمّت | تمنّي من مكارمه قبولا
الم تنس البلية قد تسامت | توثّب للعناية لن تزولا
كما أهدى المليك له احتفالاً | نفائس تصحب النصر الجميلا
وكم ملك تمنّاها وفيها | نرى شرف السنا جيلاً فجيلا

---

(١) العيّوق: نجم من السماء.

(٢) حسين السلمان: زعيم تبنين وحاكم جبل عامل من قبل الأمير بشير وابراهيم باشا المصري.

فـأي مـدرّع بـالـحـزم يـلـقـى لـثـاو يـأخـذ الـجـوزا مـقـيـلا

أبو الشـبـلين ثامرها المرجّى وسـلـمـان وحـسـبـك أن تـقـولا

وقال يمدح الشيخ حسين السلمان أيضاً ويذكر بناءه «السراية» في بنت جبيل، ويمدح ولده ثامر بك:

هـيـنـئـاً لـلـمـشـيّـد بـالـمـشـاد وما رفـع الـعـمـاد مـن الـعـمـاد

هـنـيـئـاً فـي مـكـرّرهـا هـنـيـئـاً هـنـيـئـاً لا يـؤول إلـى نـفـاد

الا فـاهـنـا جـسـين بـمـا أجدّت لـك الأيـام مـن شـرف الـمـهـاد

هـنـيـئـاً كـلـمـا يـبـدو صـبـاح بـإشـراق كـوجـهـك لـلـعـبـاد

هـنـيـئـاً كـلـمـا انـهـلّـت سـحـاب كـراحـك بـالـرغـائـب والـتـلاد

هـنـيـئـاً كـلـمـا ومـضـت بـروق بـمـثـل ظـبـاك آونـة الـجـلاد

هـنـيـئـاً كـلـمـا ابـتـسـمـت ريـاض كوجـهـك عـنـد مشـتـبـك الصـعـاد

هـنـيـئـاً مـا هـمـت كـفّـاك جـودا بـأنـواء الـمـواهـب لا الـعـهـاد

هـنـيـئـاً مـا عـلـت نـار بـلـيـل كـمـثـل ظـبـاك فـي مـهـج الأعـادي

لـكـم وقـف الـثـنـاء بـكـل ربـع وســال نــداكــم فــي كـل وادي

وقـد أحـكـمـتـم عـقـد الـمـعـالـي عـلـى أيـدي الـسـوابـغ والـحـداد

وكـل مـثـقّـف عـال طـريـر يـهـزّ بـكـف أروع ذي ســداد

فـلا تُـغـرى لـغـيـركـم انـتـسـابـا عـلـى رغـم الـمـكـابـر والـمـعـادي

مـلات مـسـامـع الايـام ذكـراً بـأفـواه الـمـكـارم والايـادي

فـكـم قـلّـدت بـالإحـسـان جـيـداً وكـم عـاف حـمـلـت عـلـى الـجـيـاد

وذكـرك والـنـجـوم مـدى اللـيـالـي سـواعـد فـي الـبـلاد وفـي الـعـبـاد

تـؤمّـن كـلّ جـارحـة إذا مـا دعـا قـلـبـي لـعـزّك بـازديـاد

ومـتّـع بـالـبـقـا بـاجـلّ عـزّ سـلـيـلـك صـاحـب المجـد المشاد

طويل الباع ثامر من إليه سعى الإقبال يمرح في القياد

فكان محلّه كمحلّ نور الـ ـعيون الناظرات من السواد

ولما توفي حسين بك السلمان، وقام بالحكم بعده ولده ثامر بك من أمراء جبل عامل، قال يرثي الفقيد ويهنيء ثامر بك:

الحمد لله هذا الدهر قد سمحا
بطالع نجمه ليل النحوس محا

فأيّ زند من العليا به قدحا
من بعد ما صبَّ من صاب العنا قدحا

وأي باب بها صعب الهموم دحا
فعاد غبّ الرثا أنشا به مدحا

شُكْرٌ يدوم بحمد الله ما برحت
شمس النهار وبدر المجد ما برحا

بثامر دوح هذا المجد قد ينعت
أزهاره وهزار البشر قد صدحا

فإن يكن غاب عنا للعلا قمر
فليهنك اليوم هذا البدر متّضحا

وإن يكن ساخ منا في الثرى علم
فليهنك اليوم طود للسما طمحا

وإن يكن غاض للعافين بحر ندى
فليهنك اليوم بحر للندى طفحا

يوم بيوم وكم لله من منن
لم ينقض الحزن حتى أعقب الفرحا

بـشـارة لـلـمـعـالـي وهـي مـوجـبـة
شـكـر الإلـه وكـم أسـدى لـنـا مـنـحـا

بـجـبـهـة الـصـبـح مـنـه سـيـرة وضـحـت
بالعدل حتى نرى الليل البهيم ضحى

وعـزمـة مـنـه دون الـسـيـف قـد فـتـحـت
بـابـاً مـن الـعـز قـبـل الـيـوم مـا فـتـحـا

واسـتـدرك الـغـايـة الـقـصـوى الـتـي امـتـ
ـنعت عن كل ساع إلى إدراكها طمحا

ولا تـزال بـحـفـظ الله مـحـتـجـبـاً
عـن كـل سـوء وبـاب الـعـز مـفـتـتـحـا

وله أيضاً، وقد جاءت القضاة لإصلاح الحال بين الشيخ حسين السلمان وبين ابن عمه الشيخ حمد البيك من أمراء جبل عامل. فلما وردوا إلى حضرة حسين بيك السلمان ذكّرهم اختلافاتهم وكشف عن حالتهم. وكان الخلاف بينهم قائماً على قدم وساق، فوعظهم ووبخهم وأصلح فيما بينهم:

أتـتـك الـقـضـاة أبـا ثـامـر
ليقضوا صلاحاً وينفوا احتجاجا

فـجـالـوا بـغـيـهـب آرائـهـم
فكانوا الظلام وكنت السراجا

وصـالـوا وصـلـت عـلـى كـيـدهـم
فكانوا السقام وكنا العلاجا

فـكـنـت الـنـصـيـر لـديـن الـهـدى
وكنت البصير إذا الغيّ راجا

فشربك في الدين عذب الفرات
وأسقيتهم منك ملحاً أجاجا

وقال السيد كاظم الامين يرثي أمير تبنين حمد البيك ويبايع خليفته علي بك الأسعد بالزعامة:

اعاملة حيّتك عني ديمة لبست بها برد الربيع مفوّفاً[١]

ولا زال معتلُ النسيم مؤرّجاً لديك بأنفاس الخزامى والطفا

ولا برح الإقبال فيك مخيّماً بيمن فتى اندى من الغيث موكفا

سميُّ أمير المؤمنين ومن به اقيم عماد الدين من بعد ما عفا

عليُّ المعالي ذو الفصاحة والندى فتى جوده ما غبّ يوماً وأخلفا

حميد المزايا ماجد وابن ماجد حليم تناهى عفّةً وتعطّفا

اغرّ المساعي سيّدٌ وابن سيّدٍ كريم تسامى عزّة وتأنّفا

مُرَوِّجُ سوق العلم مُكرِمُ أهله وحارسهمَ إن جائر الدهر أعسفا

همام يردّ الفيلق اللجب ناكسا إذا سلَّ بتّاراً وهزَّ مثقّفا

شجاع إذا ماكرّ أبصرت ضيغما له لبد شاكي السلاح مقذّفا

ومقدام حرب يوصل الرمح بالخطا
وحيا إذا المرّان منه تقصّفا[٢]

وأروع طلاّع الثنايا بعزمة أحدُّ من العضب اليماني وأرهفا

وابلج وضّاح الجبين رقى العلى أغرّ عتيقاً لا هجيناً ومقرفا

فمن كان ذا مجد طريف فمجده تليد به مستطرف المجد أردفا

ومن بات من فرط الغرام سميره من البيض معسول الشمائل أهيفا

فإن عليّاً لا يزال مسامراً
من البيض صمصاما إذا الليل أسدفا

ومن مات مشغوف الفؤاد بربرب من السمر ميّاد القوام مهفهفا[٣]

---

(١) مفوّف: رقيق وناعم

(٢) المُرّان: جمع مُرّانة وهي الرماح الصلبة.

(٣) ربرب: بقر الوحش والغزال.

فإن عليّ الشأن ذا الباس والندى غدا بهوي السمر الذوابل أشغفا
من العرب العرباء ما في طباعهم ترى جفوة أو غلظة أو تعجرفا
ولكنّهم شمُ العرانين سادة
يرون الندى والبشر فرضا موظّفا
من القوم إن عُدّتْ مفاخر وائل مفاخرهم كانت أجلّ وأعرفا
هم القوم كلُّ القوم باسا ونائلا وحلما وآدابا غنى وتعفّفا
هم آل نصار اللذين سيوفهم بنت لهم مجدا على النجم مشرفا
أولئك أتباع النبي وخلّص الـ ـوصيّ وأركان الذي بهما اقتفا
وشيعة أهل البيت حقاً كما أتى به النصُّ عن مولى به الكون شرّفا
فذاك هو الفضل المبين لدى الملا كفاهم به فخراً على غيرهم كفى
لعمري كم أنّي لمستعر الحشا فلا تعذلوني لو قضيت تأسّفاً
على غارة للدهر شعواء شنّها على وائل فاجتاح فيها وإجحفا
عشيّة وافاها بما يصدع الصفا
على حنق فاختار من شاء واصطفى
وآب وفي كلتا يديه غنيمة بها فجع الحيين بكراً وخندفا
لئن بزّ قبل اليوم سحبان منهم
فسحبان بزّ اليوم في الحلم أحنفا
وليث يلفّ الجحفل المُجْرَ بعضه
ببعض إذا ما استلّ في الحرب مرهفا
وغيثاً يباري الغيث هطّال جوده وغوثاً إذا ما الخطب راع وخوّفا
مضى واحد الدنيا وماجد أهلها فقولوا على الدنيا إذاً بعده العفا
مضى حمد المحمود نائل كفّه فيا قاصدي جدواه ويحكما اكففا

مضى حمد المحمود في كلّ وجهة

فقولوا لصنويه الندى والعلى قفا

قضى حمد المحمود في موقف الوغى

فلا تحمدوا للشوس من بعد موقفا

قضى نحبه فود النهى حمد الثنا

فقولوا على شجو لأعينكم كفا

قضى نحبه والدمع ان جفّ منهما

فمن خالص الأحشاء دمعهما انزفا

له كسفت شمس المعالي ولم تكن

على غيره شمس المعالي لتكسفا

وبدر له بدر الكمال طحا به

خسوف وما كان الزمان ليخسفا

لأن خرّ ذاك البدر عن فلك العلى

فكم بالعلى اولى قبيلا وأطرفا

ورب عقاب قد أظلّ جواده

واسد الشرى للوجه تهوي وللقفا

وكم حكم ابدى وكم من مسامع

بأقراط مكنون البلاغة شنّفا

ويا ربُ لِدٌ في الخصومة عندهم

افانين شتّى لن تحدّ وتوصفا

جلا ابن جلا من ثاقب الفكر صارماً

صقيلاً برى ما قدّموه وزيّفا

عـلـيـك سـلام الله مـن مـتـرحّـلٍ تـركـت أخـاك الـمـجـد بـعـدك مـدنـفـا

وخلّفت في لبنان أيّة حسرة عليك مدى الأيام لن تتخلّفا

فكم من يد اسديتها متفضّلا وكم كُرَبٍ نفّستها متعطّفا

وزارك مـن فـيض الإلـه مـجلّلٌ من العطف والرضوان حيّا فأوكفا

وحييت قبراً سامياً بجواره لقبر وصي الطهر موسى تشرّفا

ولا برحت تهدى إليك صلاتها طوائف لا تنفكّ حولك عُكّفا

وقال يمدح علي بك الأسعد:

قسما بأطواد العلى من وائل إنـي لـطـود فـي ودادك راسـي

لك هضبة المجد التي لا ترتقى والسبق في مجرى الندى والباس

ألبست أم المجد شرخ شبابها حتى غدت عذراء بعد اليـاس

مجد على التقوى بنيت أساسه ان التقى للمجد خير أساس

وافاك ملتهف الحشا فرددته ثلج الحشاشة بارد الأنفاس

لما لبست من الرياسة بردها قال الحواسد لات حين لباس

فرأتك قرّة عينها إذ لم تجد عفواً سواك لها من الاعراس

وفرستها والأسد حول كناسها ورعيتها والعود ليس بقاس

ان الورى إن فاضلوك فضلتهم بمكارم نضر وخير بجاس

لـعـلـيّ ابـن الـوائـلـي مـآثـر سكن الزمان لهنّ بعد تماس

يأبى التدنّس عرضه لا خير في الا عراض لم تسلم من الإدناس

اضحى جنابك للملوك معرّجا تنحلّ فيه معاقد الاحلاس

يا ابن القماقم من ذؤابة وائل والطيّب الاعراق والاغراس

أوريت زند المكرمات وانشرت جدواك مجدا كان في الأرماس

ان الفتى ذا الاريحيّة خلقه — يشتقّ من طبع الحيا الرجّاس

وإذا العلى مرضت وأعيا داؤها — أهل النهى فهو الطبيب الآسي

يفديك مطويٌّ على البغضاء في — برديه ما في العرض من ادناس

رقت حواشي بردها حتى غدت — أشهى وأعذب من سلاف الكاس

قامت مقام الزاد للركبان في الـ — ـبيداء والصهباء للجلاّس

وقال السيد محمد الأمين يرثي زعيم تبنين وجبل عامل حمد البيك:

ارأيت اي ملمّة ومخوف — سلب الكرى عن ناظر مطروف

هدمت صروف الدهر ارفع كعبة — ورمت سنا شمس العلى بكسوف

ذهب الذي قد كان من عاداته — في الروع ضرب طلا وخرق صفوف

ذهب الذي كبرت عظائم جدّه — فينا عن التحديد والتعريف

ذهب الذي قد كان طودا راسيا — وملاذ كلّ مؤمّل ملهوف

حمد أخو العلياء نجل محمّد — قمر العشائر من بني ناصيف

بدر عراه الخسف عند تمامه — بدر التمام معرّض لخسوف

أمكلّف أيّام دهرك مثله — هيهات ذلك أصعب التكليف

كم جاء ريب الحادثات بمنكر — فأعاد منكره إلى المعروف

كم قارع الأيّام منه بأروعٍ — ورمى العدى بمقذّف غطريف

كم فلّ في يوم القراع كتائبا — كثرت فلفّ زحوفها بزحوف

يا راحلا رحل العزاء لفقده — الأرض بعدك آذنت برجيف

أبقيت ما بين الجوانح لي جوى — جرح بأظفار النوى مقروف

ما وجد ثاكلة كوجدي لا ولا — كنياحتى مثل الحمام العيف

مالي وجدت الدهر بعدك قد غدا تعب الشريف وراحة المشروف

مالي رأيت الدهر بعدك كاشرا عن ثغر لا حسن ولا مالوف

فكأنني لمّا ذكرتك شارباً يهتزّ للوجد اهتزاز نزيف

اين الذي يسعى لكل عظيمة فينا لها بذوابل وسيوف

اين الذي فضح الصباح بغرّةٍ اوفت على قمر السماء الموفي

من ذا أمال عن البسيطة طودها قسرا فخفّ وكان غير خفيف

من ذا الذي منع الهزبر زئيره ورماه من ريب الردى بصروف

حيّتك من سحب الرضا وكّافةٌ تبكي عليك بدمعها المذروف

ما غاب بدر منكم إلا بدا بدر به يجلى ظلام سدوف

ذاك العليُّ وشبلك السامي علا غوث الضعيف ومنجد الملهوف

امسى بحمد الله بعدك لابسا ثوب العلى والمجد والمعروف

ما جئت ساحته لأمر معضل ألا كفاك مخافة التخويف

يا سيف عامل يا كفيل خطوبها وأمانها من حادث ومخوف

وقفت عليك مودّة من مخلص يفدي علاك بتالد وطريف

قال الشيخ ابراهيم صادق يرثي حمد البيك:

ظعنوا فهل لك بالأسى عنهم يد ام هل يطيعك بالعزاء تجلّد

هيهات اي تجلد لمروّع وعد النوى حتى دهاه الموعد

الموت اقرب من غداة رحيلهم والعيش من بعد الأحبّة أبعد

ولقد وقفت على الغضا من بعدهم بحشاشة فيها الغضا يتوقّد

أبكي فلا غللي تجفّف أدمعي ومن المدامع غلّتي لا تبرد

وأنهنه الدمع الغروب براحتي عن عُوَّدي كي لا يراني العُوَّدُ

واناشد الطلل المحيل ولا ارى طللا يجيب وقد عفا من ينشد

وغياث ملهوف وغيث مؤمّل ... ومنار فضل فضله لا يجحد

عمّت مواهبك البلاد فاتهموا ... بجميل ذكرك في البلاد وانجدوا

حملوك ميتاً والدموع طليقة ... وفؤاد كل شَجٍ عليك مقيّد

والحور تبسم في لقائك بهجة ... والدهر مُغْبَرٌّ المحيّا انكد

ولقد أضاء الرمس فيك مسرّة ... وغدا الفضاء عليك وهو مسوّد

وزهت بقربك روضة قدسية ... لك في ثراها عند يوشع مرقد

فمساء بطن الأرض عندك أبيض ... وصباح وجه الأرض بعدك أسود

ما كنت أحسب قبل قبرك خطة ... يطوى بها البحر المحيط ويلحد

والبدر يمسي في ثراها غارباً ... والصارم البتّار فيها يغمد

من يَلْفَ للمعروف بعدك حافظ ... والصارخ الملهوف مُنْجٍ منجد

من للممالك ساعد ومساعد ... ولأنت طالعها السعيد الأسعد

من في ثغور المسلمين مرابط ... رصداً وأنت بها الرصيد المرصد

من للرعية سائس من للشريـ ... ـعة حارس من للسبيل ممّهد

فعليك أصبح لا يبارحني الجوى ... والوجد بين جوانحي يتردّد

ما زلت آمل ان أراك فصار ما ... بيني وبين مدى لقاك الموعد

كم لي إليك مقاصد أمّلتها ... لولا عليّ قلت خاب المقصد

هو ذلك الملك الكريم ومن غدا ... للمدلجين يلوح منه الفرقد(١)

متجرّداً للحادثات بعزمة ... كالسيف إلا أنّها لا تغمد

ومسدّداً في كلّ معضل مشكل ... حزماً يصيب الأمر وهو مسدّد

تتكلّم الايّام عنه صامتاً ... وإذا تكلّم فالحديث المسند

بصفاته تاج الفخار مُرَصّعٌ ... وبجيده جيد الوجود مقلّد

---

(١) يعتبر الشاعر ان علي بك الاسعد ملكاً وليس اميراً.

مـا ان شـهـدت مـقـالـه وفـعـالـه إلا وراقـك مـنـه ذاك الـمـشـهـد
ورأيت مـن عـلـيـائـه مـا لا يـرى ووجدت من جدواه ما لا يوجد
حـتـى يـقـول الـعـالـمـون مـنـاقـب شـيء يُـجَـمِّـعُـهـا هـمـام أوحـد
يـا أيـهـا الـمـلـك الـمـطـاع ومـن لـه زمـر الـخـلائـق بـالـمـكـارم تـشـهـد
وعـلـيـه تـلـهـج بـالـثـنـاء فـواحـد يـنـشـي مـدائـحـه وآخـر يـنـشـد
صبراً وتسليماً وان عظم الردى وقـعـا فـمـثـلـك فـي الـعـزا يـتـجلَّد
ولـئـن رآك الـشـامـتـون بـفـقـده تشجي وقد ابدى السرور الحُسَّدُ
فـلـيـحـسـبـوا أنّـى تـنـام عـيـونـهـم فـرحـا وأنـت بـهـا الـمـقـيـم الـمـقـعـد
ولك المساعد والنصير محمّد ومحمد نعم النصير المسعد[1]
أحيا الندى من بعد ما فقد الندى طـلاّبـه فـكـأنّـهـم لـم يـفـقـدوا
وحـبـا الانـام نـوالـه فـغـدت لـه بـالـمـدح والـحـمـد الـجـلـيـل تـغـرّد

وقال الشيخ إبراهيم صادق يمدح حمد البيك:

قصارى ما وصل إليه نظر داعيك، بعد مزيد التصويب والتصعيد، قصوره عن الإحاطة بأوصاف معاليك، الممتدة سرادق مجدها في أوج الجلال، إلى أسد بعيد بيد ان لك، أدام الله فضلك، مناقب بلغت في الاشتهار مبلغ الشمس في رائعة النهار. فهي كالضروري لدى كل احد، والبديهي الذي لا يختلج جحوده. في خلد منها انك جمعت أشتات مفاخر لم تنلها يد الاواخر والأوائل. ورفعت أركان مجد اسس بنائه آباؤك الكرام من وائل. ورحت ولك القدح المعلّى بغاية تمطر فيها مستقيم وهازل، فلا بدع ان جرّت مطارف

(١) محمّد: محمد بك الأسعد.

فخرها على غيرها من أجلك اليوم عامل. متى عد أعاظم الزمان كنت جذيلها المحنّك، الذي لا تميله الفحول بغواربها، وإن ذكر أفاخم الأوان كنت عذيقها المرّجى، في مشارق الأرض ومغاربها. فلا تعقد خناصر الأعداد إلا عليك، ولا يشار في مجامع الأمجاد بإحدى الإشارتين إلا إليك:

وإن رفعت للمجد في الدهر راية ... ونادى المنادي أيها الناس من لها
سبقت إليها من دعاك وحزتها ... وكنت أحق الناس فيها وأهلها

وكم لك من مفاخر روّجت بعد الكساد سوقها، ووفيت بحمد الله تعالى حقوقها، حيث الناهض بهاتيك الحقوق أعزّ لدى الناس من بيض الأنوق:

ومتى يقال من العصام من الردى ... لهج الورى ذاك الاشمّ الاخشب
حمد بن محمود الفعال أجلّ من ... لبس المفاخر في الأنام وانجب
وكفاك منقبة إذا ذكر الندى ... كرم لحضرتك العلية ينسب
ومواقف مشهورة لك في الوغى ... حيث القنا والمشرفية تلهب
ومعارف قصرت عليك لأنها ... بك يا جمال ذوي المعارف أنسب
وخلائق عم الخلائق نشرها ... كالروض غب المزن بل هي أطيب
وشمائل تحكي النسيم وإنما ... هي من صبا نجد أرقّ وأعذب
وعزائم يعنو لها ليث الشرى ... في غابة والدهر منها يرهب
وسياسة عجب الأنام بحسنها ... وسداد رأيك في الحوادث أعجب
وبلاغة عربية آياتها ... تليت فأضحت عن كمالك تعرب
ومراتب في المجد عزّ مرامها ... بعدت مدى فالنجم منها أقرب
وهناك جمّ مناقب لا تنتهي ... وكواكب الأفلاك أنّى تحسب

يا واحد الدنيا وأكرم من له ... جمل المدايح والثناء تُرَكِّبُ

وابرّ من رحم الوفود كانه ... لهم. وقد نزلوا بساحته .اب

وابن الالى ملكوا العلى وتسنّموا ... مرقى له ظهر المجرّة مركب(١)

من آل نصار الذين فخارهم ... كالشمس إلا أنّه لا يحجب

شملت مواهبك العفاة فشرّقوا ... بجميل مدحك في البلاد وغرّبوا

وسرت اياديك الجسام فأخضبت ... رحب الفلا والدهر قفر مجدب

وانار طالعك الليالي فانجلت ... أظلامها وانجاب عنها الغيهب

واللطف منك سجيّة وجِبِلَّةٌ ... فيك المحاسن والوفا لك مذهب

وقال الشيخ علي سبيتي يرثي حمد البك ويؤرّخ وفاته:

أرأيت كيف المجد راح مقوّضاً ... وقضى الزمان على بنيه بما قضى

اليوم أضحى بالنوائب كلّها ... ريب الزمان مصرّحاً ومعرّضا

محقت يد الأيام بدراً كان لي ... سيفاً على ريب الحوادث منتضى

كنّا به والليل ليس بأسود

ومضى فليس الصبح مُبْيَضّ الفضا

غادرت يا حمد المحمّد مهجتي ... بالمكرمات وكلّ يوم أبيضا

أسقى ضريحك ديمتان قديمة ... تهمي بغفران وأخرى بالرضا

تاريخ ذاك المجد مات فأرّخوا ... لجوار آل محمّد حمد مضى

سنة ١٢٦٥هـ

وله أيضاً في رثائه:

هجرتك بعد الصدّ والإيناس ... خود كخوط البانة الميّاس

---

(١) يرى الشاعر أن مكان حمد البيك هو ظهر المجرة وليس زعامة تبنين وجبل عامل فقط.

وقست على الصبّ العميد وإنما عهدي بها والقلب ليس بقاس

شمت ولولا العذل كانت ريّضاً والشمس في الآرام ذات شماس

زعمت ودادك والهوى يوم النوى أقـوى قـواء الاربـع الادراس

أقسمت يا طود العلا من وائل أنـّي لـطـود فـي ودادك راسـي

لـك هـضـبـة الـمـجـد الـتـي لا تـرتـقـي والـسـبـق فـي مـجـرى الـنـدى والـبـاس

ألبست أمّ المجد شرخ شبابها حـتـى غدت عذراء بـعـد الـيـأس

مجد على التقوى بنيت أساسه إن الـتـقـى لـلـمـجـد خـيـر أساس

وافاك ملتهف الحشا فرددته ثـلـج الـحـشـاشـة بـارد الأنـفـاس

لما لبست من الرياسة بردها قـال الـحـواسـد لات حـين لـبـاس

فرأتك قرّة عينها إذ لم تجد كفوا سـواك لـهـا مـن الأعـراس

وفرستها والأسد هول كناسها ورعيتها والعود ليس بقاسي

إن الورى ان فاضلوك فضلتهم بـمـكـارم نـضـر وخـيـر بـجـاس

لـعـلـي ابـن الـوائـلـي مـآثـر سكن الزمان لهن بعد شماس

وللشيخ إبراهيم صادق في رثاء حمد البيك نثراً أيضاً:

ولمحرره الفقير لمن أمات وأحيا إبراهيم بن صادق بن يحيى وذلك أنه سنة ١٢٦٩ من هجرة سيد المرسلين قد إنتقل إلى جوار العزيز الغفار أكرم من احتاطت به قبة الفلك الدوار من أرباب المجد والفخار ومن تغنى الحادي بماله من الايادي في جميع الأقطار حمد البيك بن محمد المحمود من آل نصّار وقد كنت يومئذٍ نازحاً عن الديار في جوار الإئمة الأطهار فنظمت في رثائه هذه القصيدة المشتملة كما تراها بسواد الحداد وأرسلت بها في طي كتاب الإكتتاب

من باب التعزية عن المصاب إلى هذه البلاد لدى سعادة منار المناقب والشيم وزخار المواهب والكرم والمُعطي كل ذي حق حقه من السيف والرمح والقلم أبو السعود علي بك الاسعد المحترم دام بالعزّ والنعم بحرمة البيت والحرم وها أنا أملي الآن صورة ما يحضرني مما كنت كتبته في ذلك الزمان:

هذه نفثة مصدور تصاعدت زفراته وتتابعت عبراته وتولت مسراته فتوالت حسراته:

وامسى بسهد لا تنام جفونه — وأمسى بهم لا يعيد ولا يبدي

ليس ولوعه إلاّ بالهيام ولا تطوى ضلوعه إلاّ على حرّ الأوام من وقوع تلك المصيبة العظيمة والرزية النازلة بفناء الكرماء من آل نصّار والزلزلة لابنية المجد وأعمدة الفخار والقارعة التي تستصغر في جنبها الكبار وتستحقر عندها النوائب والأخطار:

بكر من الاقدار رجّ منارها — فطوى بها علم العلى المنشور

ما بعد هذا الخطب من خطب له — فلك العلى والمكرمات يمور

كلا وان عظائم ذلك الخطب كمكارم من فقدناه ورزاياه على حد مزاياه وكل منهما لا يحدّ بحد ولا ينتهي حصر عدده إلى أمد:

قد كان حسب بني الدنيا ندى وهدى

فصار وجدهم همّاً واحزنا

بيد ان الذي أذهب من الوجد ما نجد وأثلج أوارا بين اضالع المجد يتقد وجود سادات وجوه القبائل ودوام سعادة الكرماء من آل وائل فإنهم ولله الحمد من قبل ومن بعد:

نجوم سماء كلما انقضّ كوكب تجد كوكباً تاوي إليه كواكبه

لا ترى منهم إلاّ مرتدياً من المفاخر باسنى رداء ولا تعاين منهم إلاّ من يقال في حقه هذا الذي أحيا المآثر وكلهم في ذلك شرع سواء:

من تلق منهم تقل لاقيت سيّدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري

وجميعهم بفضل الله تعالى خير خلف عن كل من مضى وسلف:

وفي عليّ لنا عمّن مضى خلف تلقاه من بين أهليها مُبجّلها
بقية النفر الماضي وأكرم من عليه أم العلى ألقت مُعوّلها
وما تساجل أهل المجد في شرف إلا وكان علي القدر افضلها

فيا أيها المتوّج بتاج الفخار والرشاد المتردي برداء الوقار والحلم والسداد:

صبراً على مرّ الزمان فإنما شيم الزمان قطيعة الأمجاد

على انّه ليس والحمد لله بمفقود من كنت انت قائماً مقامه وناشراً على رؤوس الانام أعلامه:

وما مات من في الدهر انت وليّه
وهيهات يطوي من نشرت له ذكراً

وأن كان ذاك البحر قد غيض في الثرى
فكفاك قد ابدت لنا ابحراً عشرا

وان تكن العلياء غاب منارها
فإنك فيها مطلع انجما زهرا

وبعد فلنا ولك أسوة في هذه الحال بل في كل الأحوال بما جرى على الآل من النوب العضال، والموت غاية كلّ الأنام من الخاص والعام:

لا شجاع يبقى فيعتنق البيـ ض ولا آمـل ولا مـأمـول
وقصارى الحياة مهما استطالت أن نـراهـا كـمـثـل ظـل يـزول

وهنا أسأل الذي أنشا حمداً حميداً وأماته سعيداً أن يقرّبه من رحمته (ويبوّئه) في جنته مقاماً علياً والسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً وعليكم وعلى من لديكم ورحمة الله وبركاته.

ثم لما كان نظمي وإرسالي لهذه القصيدة إنما وقع ذلك اليوم بعد وفاة البك المرحوم بمدة مديدة، كتبت أيضاً في هامش قرطاسها هذه الفقرات الآتي ذكرها من باب الإعتذار موضحاً للسبب الذي اعاقني عن إداء ما يلزمن من واجب الرثاء على وجه الفور والبدار وهي:

ثم ليكن بشريف علم سعادة أبي السعود المحترم، دام بالعز والنعم، بحرمة البيت والحرم، إني ما نسأت بالإختيار ما يلزمني على وجه البدار إداءه من الرثاء، حتى أكون قد أسأت مع من أساء، بل قارن ورود تلك الخبر الشنيع والنبأ المفجع الفظيع حدوث أعراض قد وزّعتني سهامها حصصاً، وعروض أمراض قد جرعتني آلامها غصصاً ولم تزل تلك الممضّات حشو حشاي، حتى ضاعفت، أجارك الله، ضعف قواي، وسلبت مني الحواس الخمس وأوقفتني على شفا الرمس، وصيرّتني ذا بنية نحيفة مرضوضة، بحيث إذا نهضت يكاد يصرعني لا صرعتم، تنفس بعوضة.

ورحـت لا أحـمـل الـيـراع ولا أمـلـك إصـلاحـه إذا كـسـرا

وربما تنقشع الآن عني أعراض الألم وترعرع طفل البنان حتى قدر على ركوب أدهم القلم، بادرت لنظم هذه الأبيات التي هي من بيوت العناكب أضعف. وأنا لما بي من وجد شحن أهابي أوهى قوى من العنكبوت وأنحف. وبودّي يوم أرسلتها لفسيح تلك الرحاب، أن أكون مندرجاً معها في طي كتاب الإكتئاب، لأشاهد من أنوار مطالع سعادتكم ما أشاهد، وأجدّد عهد الصبا بتلك المعاهد، وغب إن حشدت لاستماع تلاوة تلك الأبيات جماعة العلماء الأمجاد، وكرّر إنشادها على رؤوس تلك الأشهاد، بأشجى لحن يكاد ينصدع له قلب الجماد. سيرتها لساحة سعادتك تجرّ من فرط الشجون ابراد ثكلى، وتستمطر شآبيب الشؤون عن العيون أنى تتلى. فإن حصلت منك على الرضا فقد فازت لديك بأجلّ محصول، وإن سمحت مكارمك بقبول عذري فذاك عندي نهاية المأمول والعذر عند كرام الناس مقبول، والداعي حال التاريخ مستمر على أداء فرض الدعاء لكم، ونائب بالحضور عند قبور الأئمة الأمناء عن المرحوم المبرور، وعنكم، كل ذلك حسبة ووفاء، وإخلاصاً وصفاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إلى تبنين من حجت إليها ... جميع الناس خاضعة رقابا

وقال الشيخ علي مروة يمدح تبنين وزعماءها:

اصفراء الترائب كم ليال ... سُقيتُ بقربك الشهد المذابا
ليالٍ قد سرقنا اللهو فيها ... ورفّهنا الشبيبة والشبابا
نقصّ على مسامعنا حديثاً ... ونجتنب الخنا فيه اجتنابا
ولما حان وشك البين يوم الـ ... وداع وزحزحت عنها الحجابا
وابدت معصما ورنت بطرف ... ودمع العين ينسكب انسكابا
اراك قد اتخذت السير همّاً ... وجوب البيد فوق الجرد دابا
وما حصّلت في مسعاك حظّاً ... ولا أدركت من أحد ثوابا
علام تركت رأس الناس طرّاً ... وأعظمها ويمّمت الذنابى
تركت أعزّ من ركب المذاكي ... وفارسها الذي ملك الرقابا
وقد رُبّيتَ في نعماه طفلا ... وكهلا لن تُذمّ ولن تعابا
فقلت لها وقد قلقت ركابي ... ونار الوجد تلتهب التهابا
لقد حدثني الاعداء لما ... حباني جوده وكفى وحابى
وغيّره الوشاة فصدّ عني ... وأظهر لي جفاءً واجتنابا
ولما لم أجد شهماً كريماً ... بعامل غيره يولي الرغابا
رجعت إلى الابا وخرجت منها ... خروج مهنّد سلب القرابا
ومن فوق السماك وضعت نفسي ... ورضت المدلهمّات الصعابا

إلى ان فرّج الرحمن عني ... بما أمّلت منه واستجابا
ذريني للعلى أسعى فإني ... وجدت إلى طريق المجد بابا
وها أنا سائر من فوق عنس ... تجوب بي الفدافد والهضابا
إلى تبنين من حجّت إليها ... جميع الناس خاضعة رقابا
هناك أبو السعود بها عليٌّ ... على هام السهى ضرب القبابا
ترى ملكا تفيض يداه بحرا ... كأنّ بكل أنملة سحابا
ترى العظماء مطرقة لديه ... كأنّ على رؤوسهم العقابا
سما أصلاً وفرعاً واثلياً ... وغرساً طاب غارسه فطابا
إذا ما سار للغارات سارت ... عشائر خلتها أسداً غضابا
يؤازره الفتى البطل المحامي ... محمد من به افتخر انتسابا
أخوه في الشدائد وابن عمّ ... متى ما يَدْعُهْ يوماً أجابا
أسود لا يهابون المنايا ... قد اتخذوا رماح الخطّ غابا
أبا الأشبال لا زلت المُرَجّى ... إذا ما نائب الحدثان نابا
وباسمك حين يدعى في جيوش ... العدو تطايرت تحكي الذبابا
ولما أن عصى لبنان يوماً ... على الأملاك واضطرب اضطرابا
وفرسان الدروز تشبّ حرباً ... على الأعداء تلتهب التهابا
ولم يبرح فؤاد[1] الملك يوماً ... إليه ولم يجد للحرب بابا
دعا الأبطال دعوة مستغيث ... فكنت إليه اسرعهم جوابا
رآك أشدّ هذا الناس بأساً ... وأعظمهم وأفصحهم خطابا
وأفضل من تقمّص في برود ... المعالي وارتقى الخطط الصعابا
فجرّد منك بتّاراً صقيلاً ... ورايا يثقب الصمَّ الصلابا

(١) فؤاد باشا، الذي جاء إلى سوريا لمعالجة الحوادث الطائفية بين الدروز الموارنة.

وسـرت إلـيـه بـالـفـرسـان حـتـى أجـلـت بـه الـمـسـوّمـة الـعـرابـا

أسـرت كـمـاتـهـم وقـريـت مـنـهـم سـبـاع الـبـر والـطـيـر الـسـغـابـا[1]

وسـرت إلـى الـشـآم تـثـيـر نـقـعـاً خـيـولـك بـيـن أفـسـحـهـا رحـابـا

فـلـمـا عـايـنـوك هـوَوا سـجـوداً عـلـى الأذقـان والـتـثـمـوا الـتـرابـا

وفـي حـوران والـجـيـدور كـم قـد هـززت الـبـيـض والـسـمـر الـكـعـابـا

وقـد هـابـتـك أعـراب الـبـوادي وفـرّت مـنـك تـجـتـاب الـشـعـابـا

وقـد عـلـم الأنـام بـكـل أرض بـأنّـك فـي الـوغـى أمـضـى ضـرابـا

كـشـفـت عـن الـعـشـائـر كلّ خـطـب جـلـيـل لـو رآه الـطـفـل شـابـا

وكـم لـك يـا ابـن بـجـدتـهـا مـعـال أبـت شـرفـاً بـأن تـحـصـى حـسـابـا

فـمـا أبـقـيـت فـي الـدنـيـا فـخـاراً لـمـفـتـخـر وجـاريـت الـسـحـابـا

ومـا أنـا فـي الـثـنـاء عـلـيـك إلا كـمـن أهـدى إلـى صـبـح شـهـابـا

بـقـيـت أبـا الـسـعـود بـعـزّ مـلـك وأنـعـم عـيـشـة طـابـت وطـابـا

قال الشيخ حبيب الكاظمي يمدح علي بك الأسعد:

الخيل صافنة على أبوابهم

رقّ الـشـمـول وراق فـيـه الـشـمـأل ولـه عـلـى وجـه الـريـاض تـعـلّـل

مد الربيع على البسيط بساُطه وعـلـيـه اروٰاح الـصـبـا تـتـمـلـمل

فجرا الندامى في الحديث تذكّراً مـا قـد تـضـمّـنـه الـزمـان الأول

فـصـددت عـمـا فـات عـنـا مـدبـراً لـيـدٍ بـهـا سـمـح الـزمـان الـمـقـبـل

بغطارف بيضٍ إذا استنصرتهم لِـمُـلِـمَّـةٍ لـبّـى نـداك الـفـيـصـل

من يـعـرب فـيـهـا تـسـامـت يـعـرب فـمـكـفّـل فـي مـجـدهـا ومـكـفّـل

---

(١) قريت منهم من القرى: إطعام الضيف، والسغابا من السغب: الجوع.

هم آل نصار الذين إذا انتموا لبس المفاخر حارث ومهلهل
الباسطين أكفهم لولاءهم وعداتهم سحب تديل وذبّل[1]
جبلت على كرم الطباع نفوسهم فكأنَّ من كرم الطباع تنسّلوا
الخيل صافنة على أبوابهم والرعب يعدو في القلوب فيقتل
وهم الأولى اتخذوا العلاء مطيّة لم ينزلوا عنها ولم يتحوّلوا
فنسيم ذكرهم بذاك مطيّبٌ وحديث مجدهم هناك مطول
حمد المحمّد من يمدّ لفضله شرفاً يدوم وعزّة لا تخمل
قصرت به أنسابهم وتطاولت أنسابهم وكذا النجار مسلسل
بالبيض دون البيض منه معوّض والسمر دون السمر منه مبدّل
لم يعتقل سمر القنا عن حاجةٍ وبعزمه للباترات مفلّل
لكنّما اعتقل الرماح لعلةٍ ان يستجير به السماك الأعزل
لم يرض إلا الحمد منه مكسباً ولو انه تحت السيوف مظلّل
لكم الهنا آل الصغير مكبّراً في عز شان علاكم ومهلّل
هنّيتم فيما الإله أدالكم نعماً بأثواب المسرّة ترفل
بقران دُرّيّيَنِ في أوج العلى شمس تنير علاً وبدر أكمل
هو ذا عليّ البيك أسعد واطيء هاماتها وهو الحرّيّ الأفضل
شهم تخال المكرمات أيالة وهو الأمير بها يقول ويعدل
ما زاغ عن نجد البسالة يافعاً حتى استقرّ له المقرّ الأبسل
وهو الذي أعطا الوفاء هديّة بحياته ان ليس عنها ينكل
لو كان صوّر نفسه ما زاد في تهذيبها ويزيد فيما يبذل

---

(١) الذبل: الرماح الذوابل، أي التي تذبل وتلتوي من كثر ما خرقت صدوراً وجندلت فرساناً.

بض الأهاب له الحديد ملابساً فيه الحديد على الحرير يُفَضَّلُ

وله بأبكار المكارم يافعاً وله العفاف عن التي تتغزّل

من كل رامزة العيون إذا بدت رأد الضحى منها الغزالة تخجل

في السلم أحيا من فتات وفي الوغى

وقح الثبات يفلّ منه المنصل

ما عانقته سوى الخمائل للظبا وتراقصت إلاّ لديه الذبل

أكرم بأشرف فاخر نفساً لها شرف العفاف وكلما هو أجمل

بيت القصيد من الأولى قد حمّلوا ظهر الزمان مآثراً لا تحمل

بثنائهم نطق الحمام تردّداً والخيل تذكّر الهياج فتصهل

يا من له في كل قلب مركزٌ لولائه المرتاد لا يتزلزل

فاسلم ودم في عيشة موصولة بخلودها ولك المكارم منزل

زعماء تبنين جواهر لا تصدأ بالسنين

وله كذلك هذه القصيدة في مدح حمد البيك:

وعيت ما أخبر الهندي واليلب

عن المعالي وفي ما تفصح النجب(١)

فاصغي لها ان في أخبارها عظة

واحكم بذاك ففي آثارها العجب

واعرك من الحزم أذنيه بقاصية

في عزمة بيتها الإقبال والرتب

---

(١) الهندي: السيف الهندي. واليلب: الترس والدرع.

والبس لها نصباً في السعي مرتقباً

راحاتها ان باب الراحة التعب

نَصُحَةُ المجد وَهْنٌ في تعلّقها

والعجز أن صحّ في تعليله العطب

فزوّج الحزم بنت الباس تولدها

فحل المنى فله صعب القياد أب

نصِلٌ وَصِلٌ واعتقلٌ لام العلى أبداً

فالملامة الماضيان السيف والأدب

فالشمس أدمت جبين الأفق إذ لطمت

بالصبح وجه الدجى فانثالت الشهب

والبحر لما سمى قدراً له ارتجعت

أنهارها وعليه طافت السحب

وامسك إذا كنت محفوظ الجناب على

حفيظة للأولى في ظلّك احتجبوا

لا يكرم المرء ان هينت عقائلله

فالطرف يعشو إذا ما أوهن الهدب

غنيمة المرء في دنياه واحدة

أدراء لولا وهل منها نجى حسب

سوى أبي فدعم الفذّ الذي بذخت

بمدحه غرر الأشعار والخطب

من امتطى صهوة صعباء ما ركبت

كلا ولا ذلّلتها قبله العرب

جاءت على الأين مرقالا تحثّ له

سعياً ومن سيرها التقريب والخبب

حتى إذا بلغت بالسير مركزها

ألقت عصاها لديه وانتهى الطلب

وأوضحت غرّة العلياء جبهتها

والجود تحجيلها والحلم والأدب

فكان موضعها منه إذا انتسبت

كالسيف والزند لا يعلوهما نسب

جاءت له وهي تهواه فكان لها

بمثل ما كان عند الزيبق الذهب

فلم تزد من علاه شأو عزّته

وهل يزيد بضوء البارق الشنب

لكنها بلغت منه على قدرٍ

وحكمة العدل مرموز بها السبب

نادى به المجد من قرب ومن بعد

وأفصحت عن ذكاه اللدن والقضب

فاختاره الملك عضباً وارتضاه يداً

يسطو بها وحباه المجد ما يجب

هذي المآثر لا ما قيل محتملاً

وذي المكارم لا ما تسطر الكتب

يا باسم الثغر والأبطال عابسة

وماطر الجود والهيجاء تلتهب

إن كنت والناس في الناسوت متحداً
فالعود والعود ذا ند وذا حطب
او كنت والنجم في التشكيل مختلفاً
فرمز معناك هذا الخمر والعنب
إن الجواهر تصدى بالسنين ولا
يصدى ثناك ولو مرّت به الحقب
انخت في كل قلب فاتخذت به
بيتاً من الحبّ لا يهوي له طنب
فالسمع والعين في آثارك اشتغلا
بالبعد هذا وذا بالقرب يحتلب
صيغت مزاياك ما حلّت جواهرها
جيد الدهور فما الياقوت والذهب
حتى اضاءت فمدّت من اشعتها
ومضاً يشاهده ناءٍ ومقترب
بلغت كالشمس أوصافاً كملن علاً
فإن قلاك له شانٌ فلا عجب
قد يهجر الشمس من أودى به رمد
ويكره الماء من أودى به الكلب
كم وقعة لك في الأيام رافلة
اثوابها فوق وجه الدهر تنسحب
فالنسج منك وأقلام الثناء لها
نقش الطراز وإن طال المدى قشب
يوماً نهضت بعزم الليث مستبقاً
صيد الفوارس لا وانٍ ولا رهب

وقد جَلَتْ سُحُبُ الهيجاء راقية
أسمائك الغر إذ تجلى بها الكرب

عناية الله إن ما شاء يمنحها
بل الشياطين لا ترضى بما يهب

يوماً به احتشدوا ان يرتقوا سبباً
بالبغي ترقي به للسمك واعتصبوا

وقد أبى الله الا ان يذللها
رجم النجوم فنادت عندها الهرب

من بات يقرع ناب الليث مقتحماً
لا يأمننّ ففي أنيابه العطب

فقل أبا فدعم هُنيّت في شرف
يحكي السماء ويحكي شخصك القطب

أبا المكارم لا زالت يداك على
فود العداة وفي أحشائها اللهب

الرأس أنت وهم أذناب مؤخرها
وهل يساوي بأنف الناقة الذنب

وللعلى بعليّ قد أشار إلى
معنى بها للأيادي الغرّ مصطحب

مآثر مثل ضوء الشمس إذ بهرت
لراحةٍ مثل سحب الغيث تنسكب

فللولاة نعيم والعداة لها
منها العذاب فجلّ البشر والغضب

لو رام فوق الذي حازت مكارمه
زيادة لم يكن فيها له أرب

وقــاكــم الله شــرَّ الــحــاســديــن ولا

زالت بكم تنجلي النكباء والكرب

الله أكبر اي طود قد هوى

وقال يرثي زعيم تبنين حمد المحمود:

خذ بالبكا ما كل دمعٍ يذخر / فالرزء ادهى والمصيبة اكبر

خطب تكاد الراسيات لوقعه / تعفو واكباد السما تتفطّر

ارايت من حملوا على أعوادها / ورأيت كيف خبا الشهاب الأنور

ما كنت أعلم قبله ان الثرى / فيه مصابيح الدُجُنَّة تقبر

حتى شهدت وقد شهدت مواقعاً / فيهن أرباب العقول تحيَّر

قمر تسير به السحاب وخلفه / أرعاد صارخة وعين تمطر

حتى ارتوى منها الفجاج فأنبتت / خضر الكلا والجو منها اكدر

والشمس من نسج العجاج تنقّبت / عنّا على خجل وليست تسفر

وكان صوت الهاشمية معلن / في الناس إمّا سامع أو مخبر

حمد قضى فالياس أحرى بعده / من ان يكيس لنا الزمان وأجدر

فعجبت من نعشٍ يقل بنانه / هل كيف لا يخضرُّ منه ويثمر

وعجبت من ماءٍ يراق لغسله / ونقيّ عفّته اشفُّ وأطهر

هلاّ تغسّله دموع المجد إذ / ذرفت عليه ولم تزل تتحدّر

وحنوطه طيب الثناء فنشره / عبق إذا ما ضاع مسك أذفر

أمُلَفّعٍ بالبيض من أكفانها / ومناله بالبيض مجد أخضر

ما فارقتك البيض يابن محمد / كلا وبيض ثناك لا يتغيَّر

بالبيض والصفر الفواقع ان تجد / ولدى الهياج مُبيّض ومصفّر

بيض الوجوه ولات عزمك في اللقا
وبه لمن عاداك وجه أصفر

يبكي الفرند وطالما أضحكته
والحرب في ثوب العجاجة تخطر

والذابلات قد انحنت ولطالما
هزّت بك الأعطاف إذ ما تشجر

ويد تصرفها المنون وطالما
منها جرى في الروع موت أحمر

وبها تردّ النائبات فما لها
أمست بنائبة المنية تكفر

ولواقح الإيمان تنتج منظراً
فيه لأسرار الهداية مخبر

عرق الجبين دليل ما عرقت به
كفّ بأسداء الرغائب تهمر

وتلاوة الآيات تعلن آية
في وجهه للطور منها مظهر

وجه به قد جاء دين محمد
والحقّ فيه مؤيّد ومظفّر

أو لا يضيء لدى المنون بغرّة
نجمت بنور الهاشمي تخبّر

فتشعشع الإيمان فيه وقد جرى
فيه النظار وراق منه المخبر

كم من يد في الله منك بها يد
بيضاء عن ضوء المكارم تسفر

أسديتها في الله حتى هلّلت
وجه النبي وسرَّ منها حيدر

أمحمّل الأعناق أطواق الندى
مننا بأسماع الدهور تكرّر

ما عطّلت حتى جعلت حليَّها
طوقاً على الأطواق عال تزهر

فكأن نعشك والقلوب وراءه
تجري وموكبك العديد الأكثر

سيف بن ذي يزنٍ سرى بركابه
ولديه قحطان تسير وحمير

ولقد غلطت بشبهه سيف إذا
ما كان عن سيف يجلّ ويكبر

بل كان لما آن ينشر آية
والناس تعلن بالأذان وتخبر

صبحاً علا والناس ترقب فجره
لصيامها فمهلّل ومكبّر

صاموا عن اللذّات بعدك فالبكا
من وردها وعلى التأسّي تفطر

الله أكبــر أي طــودٍ قــد هــوى ... مــن آل نــصّــارٍ وبــدرٍ يــخــفــر

هــي أكبر الآيــات مــحــتــوم لــهــا ... فرض الصلاة سوى الذي يتخيّر

حــتــى إذا أدّوا لــديــك صــلاتــهــم ... وعليك صلّى الخالق المتكبّر

ستروا مُحَيّاً طالما كشفت به ... دجن العنا وامتدّ صبح أنور

ما حقّ دفنك في الثرى ومحلّه ... خدّ المجرّة بالأهلّة يحفر

لكن نزلت ثرى تمنّى لثمه ... الأملاك إذ هي عن علاك تصغر

يا راحلاً أخذ القلوب ولم يدع ... إلاّ جسوماً بعده تتسعّر

حيّا ثراك الغيث ما دام الحيا ... وحباك عفو الله فيما تدخر

مالي أجدّ على السلوّ فلم أجد ... باباً لديه لجازع يتصبّر

إلاّ وجود أبا السعود فإنّه ... نجم بآيات السعود يبشّر

جمع العلى بمحاسن لو صوّرت ... ليلاً لَنَظَّمَ جزعها المتصوّر

الحَوْلُ والنَّدْسُ الأريبُ المصقعُ ... الفذُّ الأريب الأرْيَحِيّ القَسْوَرُ[1]

فهي المحامد جئت في إجمالها ... عجزاً عن التفصيل إذ لا تحصر

عذراً اليك أبا السعود بمجمل ... قد أدّ عن تفصيله المتحيّر

عُزِّيتَ عما قد أصاب وإن يكن ... رزء يقلُّ إذا القلوب تُفَطَّرُ

واصبر فإن الصبر أحرى بالفتى ... الحرّ الكريم إذا أصيب وأجدر

واسلم لنا ذخراً ولا برح الهنا ... ظلّ بباب علاك لا يتغيّر

---

(١) الحول: الحاذق. الندس: السريع الفهم. والقسور: الشجاع والأريب: ذو العقل الراجح.

وقال يرثيه أيضاً:

ما للمدامع قد خدّت مجاريها من الخدود وقد سالت مآقيها
ماذا العويل وما هذا الضجيج وما
هذي الزلازل قد دكّت رواسيها
مالي أرى الشمس لم تكسف بموكبها
وجه النهار وقد ماجت أقاصيها
مالي أرى الصبح قد حالت أشعته
ليلاً وقد وقفت عنه سواريها
مالي أرى الناس في لأواء داهمة
أزالت الأرض أم زلت بمن فيها
مالي أرى الجو مغبرّاً جوانبه أدكدكت أرضها أم ساخ عاليها
مالي أرى مهجة الأيّام خافقة ما راعها والورى تخشى دواهيها
مالي أرى لجديد الحزن قد لبست ثوب الحداد سواداً من دياجيها
مالي وما للبرايا إن سألتهم عمّا أصاب أجابتني غواديها
والكلّ من شجن الأحزان في شغل
عنّي وسؤلي لنار الوجد يذكيها
قالوا قضى حمد العليا فقلت لهم
الله أكبر فات الركب حاديها
نعى أبا فدعم الناعون فانسلبت قوى المعالي وقد جزّت نواصيها
نعى أبا فدعم الناعون فانهدمت أركانها وعلا في الجو سافيها
نعى أبا فدعم الناعون فانكسرت أعلامها ولوى بالذلّ راجيها
يا راحلاً مودعاً في كلّ جارحةٍ ناراً تؤجّج للأحشا فتصليها

غالت بك الغيل اللاتي عددت لها إن غالت القارعات الشوس تفنيها

غالت بك الغيل اللاتي إذا برزت لـهـا ظبـاك الان الـذلّ قـاسـيـهـا

لا خير بعدك في الدنيا وساكنها لا خير بعدك في الدنيا ومن فيها

قـد كـنـت يـا كـوكـب الـدنـيـا وزهـرتـهـا

ودرعـهـا الـسـابـغ الـمـجـلـي ومـاضـيـهـا

طـود تـلـوذ بـه الأيـام إذ زحـفـت لها الخطوب وعاثت في دواهيها

فمن لها الآن يا حرز الأمان وقى يردّ عنها يد البـأسـا ويـحـمـيـهـا

ويا حمى الدين والدنيا وساكنها ويـا سـنـا عـمّ دانـيـهـا وقـاصـيـهـا

من لـلـخـيـول إذا جـالـت سـوابـقـهـا مـن لـلـجـمـوع إذا نـادى مـنـاديـهـا

من للسيوف إذا صالت بوارقها مـن لـلـرمـاح إذا هـزت عـوالـيـهـا

من لـلـضـيـوف إذا وافتك طارقة بالزاد والمال والأخلاق تقريها

من لـلـمـلـوك إذا ما أزمة عرضت وحار كل لبيبٍ في تـقـاضـيـهـا

بالرأي روّضت منها كلّ معضلة ولـلـصـواب بنور الـعـلـم تـهـديـهـا

يا صاحب الغيث والغبراء مجدبة وواهـب الألـف راجيها وعـافـيـهـا

من للعفاة إذا أبدت خصاصتها وكنت كالغيث ترويها وتغنيها

من للمضيف وللعاني اللهيف وَللنائي

الـشـريـف إذا ضـلّـت مـسـاعـيـهـا

من للكريهة إن نادتك صارخة وهل سواك على اللأوا يلبيها

عجبت يا واحد الدنيا لواحدةٍ لما حملت وقد سارت سواريها

مـجـرّداً وسـيـوف الـهـنـد مـغـمـدة وسائراً والمذاكي في مواضيها

وقـد سـمـعـت الـنـدا مـن كـلّ نـاحـيـةٍ

والأرض تذرى على الهامات سافيها

والـنـادبـات وكـلٌ نـادبٌ شَـجِـنٌ — تردّد النوح في أشجى قوافيها
هل فـادح بعد هذا الخطب يرقبه — مـن الـبـرية قـاصـيـهـا ودانـيـهـا
لِمَ لا تقم نـاهـضـاً بـالـسـيـف إذ سـبـقـت
عـاداتـك الـغـرّ فـيـمـا أنـت مـجـريـهـا
إن لا تـغـضّ عـن الـشـاكـيـن مـن خـطـرٍ
ولا تـردّ عـنـانـاً عـن تـشـكّـيـهـا
فكيف أغضيت عن موجوعة كبدٍ — حرّى وكم مثلها تذرى مثاقيها
يـا راحـلاً شـيّـعـتـه كلّ جـارحـةٍ — منا إلى الترب لا سالٍ يعزّيها
وفـائـتـاً خـلّـدت فـيـنـا مـحـامـده — تبلى الدهور وليس الدهر يبليها
خطّت نجوماً على الأيام مشرقة — تضيء للناس إن ضلّت فتهديها
ما إن تذكّرت أياماً بكم سلفت — إلا وجدّ الأسـى نـاراً فـيـذكـيـهـا
نار الخليل بقلبي وهي مضرمة — ولـم أجد قـائـلاً كـونـي فـيـطـفـيـهـا
أواّه لـو تـنـفـع الآهـات مـنـتـجـعـاً — أو يبلغ القصد بالنذراة باكيها
بكيت حتى ترى الطوفان ثانية — ونـوح حـزنـي بـالإنـشـاد تـالـيـهـا
لو يدفع الموت فادٍ لافتدتك به — شوس اللقا والمنايا في مواضيها
لـكـنّـمـا الـمـوت كـأس لا فـراغ لـه — والـكـل شـاربـهـا والله سـاقـيـهـا
لـيـس الـسـلـوّ لـنـا إلا بـمـشـتـمـلٍ — بـرد الـعـلـى ولـه أقـصـى مـعـانـيـهـا
عـلـيٌّ أسـعـد مـن يـمـشـي بـسـالـفـةٍ — من الـمـعـالـي وأعـلا مـن يـباريـهـا
الـوارث الـمـجـد مـن آبـائـه سـلـفـاً — والآخذ العزّ فيما شاع تنويها
صـحـف الـمـآثـر مـنـه لـسـت أحـصـرهـا
وكـيـف يـحـصـر صـحـف الـمـجـد تـالـيـهـا
عـلـيٌّ صـبـراً فـمـا فـي الـحـزن مـنـتـجـع
والـصـبـر أحـرى بِـحُـرٍ زيـد تـنـبـيـهـا

مآثر حاضرة باقية على مرّ الزمان

وقال الشيخ علي زيدان يرثي حمد البيك:

قفا نسقها منا الدموع السواكبا
منازل للأقمار أضحت مغاربا

ديار عفت منها الطلول وطالما
حبسن على ساحتهن الركائبا

كأن لم تلح فيها الدراري ولم يكن
حماها لفتيان المعالي ملاعبا

ألحّت عليها الحادثات فغيّبت
شموساً واقماراً بها وكواكبا

اقول لأظعان مررن بها قفوا
تروا شارقاً من ذلك البدر غاربا

فتى كان طوداً للمعالي وغاربا
فجبّ الردى منها سناماً وغارباً

فتى كان رحب الباع عفّاً إزاره
يحبّ التقى طبعاً ويأبى المعايبا

فتى مارس الأيّام حتى تهذّبت
فلم تلف ذا عيب ولم تلف عايبا

فتى كان يقري السامعين فصاحةً
كما كان يقري الوافدين مواهبا

فتى كان في كسب المحامد راغباً
كما كان عن كسب المحارم راغبا

همام ربيط الجأش يخشى التقائه
وما كان من شيء سوى الله راهبا

قضى وطراً من كل فضل ولم يدع
سوى الفضل في الدنيا غلاماً وصاحبا

له شِيَمٌ غرّ من المجد أوجبت
عليه من المعروف ما ليس واجبا

وثاقب نور لو تجلّى به الدجى
لنظم ذاك الجزع من كان ثاقبا

سل الملك عنه والملوك فكم بنى
له في العلى طوداً وكم شاد جانبا

فمن ذا يجوز السبق في حلبة العلى
وينشيء من صوب العقول سحائبا

ويثني عنان الحادثات إذا طغت
بقضب حجى أمضى من السيف قاضبا

ومن ذا لشمل الملك يرعى سوامه
إذا ما غدا بالملك راعيه لاعبا

ومن يشتري الآداب خضر الجنا ومن
يُرَنِّحُ أعطافاً لها ومناكبا

ومن لي بمسؤولٍ ومن لي بسائلٍ
يباحثني حتى أكون المجاوبا

ومن ذا لآذان الليالي مشنّفاً
يُزَيِّنُ أجياداً لها وترائبا

وأيــن وَدِيُّ الــزنــد مــن آل وائــلٍ

تـقـود لـه الأيـام تـلـك الـجـنـائـبـا

وأيـن أخـو الأقـلام يـخـضـب هـامـهـا

فـيـثـنـي الـعوالـي أو تـضـلّ الـكـتـائـبـا

وأيـن الـذي جـدواه تـسـتـغـرق الـمـنـى

فـيـحـمـي ضـمـاراً أو يـريـش الـمـطـالـبـا

تـحـجّ بـنـي الآمـال كـعـبـة جـوده

فـتـمـلأ بـالآمـال تـلـك الـحـقـائـبـا

فـتـحـمـل مـن ذاك الـعـبـاب نـفـائـسـاً

وتـمـتـاح من ذاك الـسـحـاب مـواهـبـا

ومـن بـأسـه فـي الـروح تـلـقـى كـتـائـبـاً

ومن كفّه فـي الـجـود تلقـى سـحـائـبـا

فـمـن مـبـلـغ فـتـيـان وائـل أنّـه

أصـاب الـردى مـنـهـا ذراً وغـواربـا

وإنّـا فـقـدنـا الـيـوم طـيّـاً وحـاتـمـاً

وقـسّـاً وقـحـطـانـاً وكـسـرى وحـاجـبـا

وغـالـت يـد الـدنـيـا نـزاراً ويـعـربـاً

وفـهـراً وعـدنـانـاً وادّاً وغـالـبـاً

الاّ فـجـعـت مـنـه بـامـضـى مـضـاربـاً

الا رزئـت مـنـه بـاعـلا مـراتـبـا

الا هـكـذا فـلـيـورث الـمـجـد مـن قـضـى

ويكسب تليد الحمد من كان كاسبا

فتىً كان للجلّى إذا ما دعوته
يلبيك عند الحادثات مجاوبا

فتىً سلب الأزمان بيضة ملكها
ويسلبها الراجي إذا ما جاء طالبا

لئن هدمت منه دعائم عمره
فما هدمت مجداً بنى ومناقبا

سقى الرايح الغادي ثرىً حلّه فتى
له كن غدران المعالي مشاربا

فأقسم بالبزل الهجان شوازبا
اقلّت من الركبان قباً شوازبا

تسير على رغم الدياجي إلى حمى
فتىً أوسع الدنيا علاً ورغائبا

تؤوم حمى رمسٍ تخال على النوى
حصى تربه تلك النجوم الثواقبا

لقد نُعِيَ الإسلام وانفجع الهدى
وفاقت به الجلاً وحلّق ذاهبا

فيا طود مجد كان هضبة سؤددٍ
وشهماً لأذيال المكارم ساحبا

ملكت لواء الحمد إن كنت ضارباً
غداة التقا الجمعان أو كنت واهبا

إليك العلى زفت وما كنت خاطباً
سوى المرهف الماضي الذي كنت خاضبا

لئن غالبتك الحادثات فطالما

برغم الليالي كنت للدهر غالبا

وإن قارعتك النائبات فطالما

قرعت لفرسان الصياح كتائبا

وإن شُرِّعَتْ فيك المنايا فطالما

شرعت لدين المكرمات مذاهبا

ايدري الردى من ذا ألمّ به الردى

وأنشب أظفاراً به ومخالبا

أيدري سرير سار دونك انه

تعدّى الثريا كاهلاً ومناكبا

أيعلم لحد ضمّك اليوم أنّه

حوى المجد بدراً والعطايا سحائبا

سحاب من الجدوى تقشّع مزنه

وبدر من الآمال حلّق غائبا

تسبّلت الدنيا لفقدك واغتدت

رياض المنى منها قفاراً سباسبا

خطوب بذات المجد ألْوَت فشيّبت

برغم العلى فوداً لها وذوائبا

أفاضت عيوناً للمعالي وأثكلت

عقائل مجدٍ محصناتٍ نجائبا

فما بال عرنين المكارم اجدعاً

وما بال خدّ العزّ اغبر شاحبا

تـخـذنـاك فـي الأيـام كـهـفـاً وإنّـمـا
تخذنا الأسى من بعدك اليوم صاحبا

الا قــاتــل الله الــزمــان فــمــا غــدت
نــوائــبــه إلا وراحــت نــوائــبــا

وعــاداتــه مــن عــهــد آدم لــم تــزل
تـدبّ عـلـى مـر الـلـيـالـي عـقـاربـا

لـقـد غـال مـن تـلـك الـبـنـان مـكـارمـاً
وقـد فـلّ مـن ذاك الـيـمـانـي مـضـاربـا

لـتـاتـي اللـيـالـي مـا اسـتـطـاعـت فـمـا أنـا
عـلـى زمـن مـن بـعـدك الـيـوم عـاتـبـا

شـربـنـا الأسـى والـضـيـم فـذّاً وتـوأمـاً
لـفـقـدك حـتـى غـصّ مـن كـان شـاربـا

ولـيـس الأسـى فـيـض الـدمـوع وإنّـمـا
أحـر الأسـى مـا كـان فـي الـقـلـب لاهـبـا

مـن اجـتـبّ مـن ذاك الأشـمّ سـنـامـه
مـن اجـتـاح مـن ذاك الـخـضـمّ غـواربـا

مـن الـيـوم يـرعـانـا مـن الـدهـر إن سـطـا
ويـقـضـي حـقـوق الـمـجـد نـفـلاً وواجـبـا

ومـن ذا الـذي أبـقـى لـه الـمـجـد والـتـقـى
عـواقـب مـن فـضـل كـفـتـه الـعـواقـبـا

ومـن ذا يُـسَـوّي الأمـر مـن بـعـد بـعـده
ويُـعـلـي بـيـوتـاً لـلـهـدى ومـحـاربـا

فيا ثاوياً في لحده أي شارقٍ

سناه يفوق الزاهرات الثواقبا

غدت بعدك العلياء شمطاء حاسراً

وكانت تُرى في الحي عذراء كاعبا

فيا حسرتا للثاكلات من العلى

تروح وتغدو ناعياتٍ نوادبا

وللسمر والأقلام والبيض في الوغى

إذا لم تصادف من يمينك ضاربا

وما كنت إلا الطِيبَ في كلّ وجهة

وأنفاً وعيناً للمعالي وحاجبا

إذا نفحت من طيب ذكراك نفحة

أهبّت لنا ريح الثناء جنائبا

أبا فدعم أبقيت فينا مفاخراً

تظلّ لآجال الرجال سوالبا

فكم لك من تلك المزايا مآثر

تكاد لعمري أن تكون كواكبا

مآثر إما فضلها فهو حاضر

وإن كنت عنا شاحط الدار غائبا

فما ذهبت في الخافقين خواطف

من البرق إلا دون ما كان ذاهبا

هي الزاد للركب المقوّض راحلاً

هي الفصل للراوي إذا قام خاطبا

تسامت إلى أوج المعالي عزّةً
كأنّ لها عند السواري مآربا

غرائب لو كانت لهنّ أقارب
لكانت لها زهر النجوم أقاربا

ولو كُنّ عقياناً لكنّ فرائداً
ولو كُنّ أتراباً لكنّ كواعبا

تحلّ من الجدوى لعمري تمائماً
وترخى على جيد المعالي ذوائبا

إذا جليت في الحي كانت خريدة
وإن سافرت في الركب كانت مواكبا

فيا قبر هل واريت منه مكارماً
طوافح من نوء الندى أم نواضبا

ويا ظاعناً عجلان طار به النوى
ألاَ ليت شعري هل أرى منك آيبا

فإن كان ذاك الشمل أضحى مجانباً
فهلاّ خيال الطيف أضحى مقاربا

وإنّي وإن وافيت في العصر آخراً
لآءتٍ بما فاق العصور الذواهبا

على أن شعري في معاليك قاصر
نظمت القوافي أم نظمت الكواكبا

فقل لحسودٍ راح يغضي على قذىً
يكابد أضغاناً ملأن الترائبا

أتأمل من حوض الأماني مشارباً

ولم تشرب الكأس الذي كان شاربا

تزحزح قصيّاً قام بالأمر حازم

وشبّ غداً عن ذلك الليث نائبا

أعاد من الأزمان ما كان ذاهباً

وبيّض من وجه الأماني مطالبا

هو الغيث بل أندى من الغيث ساكبا

هو الليث بل أعدى من الليث واثبا

بلوناه ميمون المساعي مجرّباً

وفي الحلم برهاناً كفانا التجاربا

يرينا سعود النيّرين وهل فتى

يقيس بنور الشمس تلك الحباحبا

فدم يا علياً في سما المجد شارقاً

وعضباً إذا ما سلّك الدين قاضبا

وهل كان ريب الدهر الا كمذنب

رأى الذنب مغفوراً فوافاك تائبا

ألم تر أنّ الموت ضربة لازم

وهل ينمحي ما كان ذو العرش كاتبا

سل الدهر هل أبقى سليمان سالماً

واسكندراً في ملكه والمرازبا

وفي كل يومٍ للمنايا نوائب

تظلّ لأعمار البرايا نواهبا

لـئـن جـبّ هــذا الــمـوت مــنــا مــنــاكـبـاً
فــإنّ لــنــا مــن ســاعــديــك مــنــاكـبـا

وإن غــاب ذاك الــبــدر عــنــا فــإن مــن
عــلاك لــنــا بــدر يــضــيء الــغــيــاهــبـا

وإن ذهــبــت مــنــا الــرزايــا بــغــالــبٍ
فــإن لــنــا أمــراً مــن الله غــالــبـاً

وأيديهم يوم النوال تخالها سيولاً

قال الشيخ حبيب الكاظمي يمدح علي بك الأسعد:

رغبت القوافي واجتنيت المكاسبا   على أنّني فيها انتجعت المطالبا
إذا رمت عقباها هديت بنجمها   لِحَقٍ فأوضحت الذي كان واجبا
وان رمت دنياها سلكت بنجدها   لمدح عليٍّ فاغتنمت الرغائبا
همام إذا ما أنشد الركب باسمه   على رابيات الصلد أضحت ذوائبا
وإن لمست كفّاه منهنّ جانباً   عدتها فعادت للرياض سحائبا
تسيل على وجه البسيط جداولاً   فتنبت أزهار القنا والمناقبا
له منصل فصل الخطاب حكومة   معادن للجلّى شباباً وشائبا

يرى الخطب عرساً كلّما سلّ خاطباً
يُخَضِّبُ من صبغ النجيع الذوائبا

هلال ولكن للعدات مطوّقٌ   ونون ولكن يرهب النون كاتبا

يقي كلّ فعلٍ للخطوب مضارعاً
عن الكسر حتى يرجع الجزم ناصبا

فمن رأيه والسيف كلّ إذا سطى   يجرّد منه للقاء كتائبا

تجد بين رسميّ مستقيم وأعوج | قد اتفقا عند الثبات عجائبا

ومنها:

أخو القلم الساعي على الرأس طائعاً | فيصمت رجّالاً وينطق راكبا

اذا ما جرى تجري المنايا خلاله | يقود خميس الرأي بالحزم دائبا

تنال به أوفى القصود مسالماً | وتردى به أقصى الخطوب محاربا

وللعزم زند لو تروم اقتداحه | على اليمِّ أمسى من تلظّيه لآهبا

كأنّ الظبا والرأي عينان فيهما | ترى من خفيِّ الأمر ما كان غايبا

ألم تخبر الآثار عما أثرته | من الحرب يوماً أصبح البغي ناشبا

سطوت على الباقين حين تمرّدوا | فكانوا شياطيناً وكنتم كواكبا

فلاقوك بالأقفاء حتى نجت بهم | نجائبهم مستنجدين النجائبا

وقد كفّنوا منها السنابك خيفة | تدلّ بآثار السنابك طالبا

وولّوا وقد دقّ الطراد قلوبهم | برعب كما لفّ الحريق المناضبا

وما كان لهم إلاّ الرجاء وسيلة | وليس لهم من دون عفوك صاحبا

فلا عجب من آل نصّار إن أتت | عجائب للعلياء تولي عجائبا

وقد خلقوا للعزّ والبذل واللقا | وقد أخذوا منها سناماً وغاربا

إذا ركبوا يوم الهياج حسبتهم | ليوثاً وخطيّ الرماح مخالبا

ألِفْنَ متون الصافنات كأنما | ولدن عليها وارتضعن القواضبا

وأيديهم يوم النوال تخالها | سيولاً جرت للمعتفين مواهبا

فيا من إليك القصد لا رُدّ قاصد
لبابك يرجو بُلْغَةَ القصد خائبا
ذخرت لهذا اليوم منك فضائلاً
فكن يا سحاب الجود بالجود ساحبا

تبنين مآل بني الدينا

قال الشيخ محمد حسين مروة يمدح علي بك الأسعد:

صحى قلب هذا الصبّ من بعد ما صبا
أم انقاد للبيض الكواعب أم أبى
أم البعد عن لمياء أسقم جسمه
وأذكى جوىً بين الحشا متلهّبا
سأسعى إلى من طبّق الكون ذكره
وغنّت به الركبان شرقا ومغربا
ومن ضربت فوق السماك قبابه
ومد على الجوزا رواقاً مطنّبا
هناك أرى مولىً بتبنين عاملٍ
مآل بني الدنيا إذا العام أجدبا
فتى آل نصار العلى وزعيمها
وضرغامها الشهم الهمام المهذّبا
رفيع سنام المجد رحب «فناءه»
مجرّا لأطراف الرماح وملعبا
حثوطاً على مجد العشيرة ماجداً
بصيراً بصرف الحادثات مجرّبا

ولا طائشاً يوماً إذا الخيل أحجمت

ولا فاشلاً عند النزال مغلّبا

هو العَلَمُ السامي على الذي سمى

على الناس فخراً مستطيلاً ومنصبا

وحزماً وإقداماً وحلماً ونائلاً

وبراً وغوثاً مستجاراً وموهبا

نمته إلى أزكى الأروم وفاخرت

به وائل دهراً نزاراً ويعربا

إذا ركب الجرد الجياد لغارةٍ

ترى الجو مغبَّراً من النقع مقطبا

ومضطغن باغٍ ملكت قياده

وكم حاسد قد حاد عنك منكّبا

وقدت لأرض اللاذقية جحفلاً

وأظهرت للاعداء يوماً عصبصبا

فاذعن منقاداً إليك عميدها

حقيراً ذليلاً بعد أن كان مغضبا

وله قصيدة ثانية جاء فيها:

ولم أنسها يوم النوى ومدامعي

وأدمعها ينثرن دراً وعسجدا

فقلت ذريني أطلب العزّ والعلى

وأسعى لمن يهوى الصفيح المهنّدا

وفي الحرب إن ثار القتام مضاربا

به الأسد إلاّ في يمين ابن أسعدا

عـمـيـد الـورى مـن آل نـصّـار يـنـتـمـي
وواثـل طـابـت فـيـه فـخـراً وسـؤددا

أولـئـك آسـاد الـعـريـن بـنـى لـهـم
عـلـى هـامـة الـجـوزا قـبـاء مـوطّـدا

وذو سطوة في الحرب ترهبها العدى
وعـزم يـقـدّ الـسـابـري الـمـسـرّدا

إذا سـار لـلـغـارات سـارت عـشـائـر
مـعـوّدهـا لـلـكـرّ لا تـرهـب الـردى

تَـؤُمُّ أبـا الـفـرسـان سـيّـد واثـلٍ
وصـارمـهـا عـنـد الـهـيـاج الـمـجـرّدا

وشـهـمـاً تـهـاب الأسـد مـن سـطـواتـه
ويسقى الأعادي في الوغى سمّ أسودا

عـلـى سـابـق نـهـدٍ أقـبّ مـخـبّـب
سـلـيـم الـشـظـى فـي الـكـرّ لـن يـتـبـلّدا

إذا مـا جـرى لـم تـلـحـق الـريـح شـأوه
بـيـوم الـوغـى تـحـت الـعـجـاجـة أرعـدا

إذا جـاءه الـمـلـهـوف يـرجـو نـوالـه
فـلـم يـعـد حـتـى يـمـلأ الـكـفّ عـسـجـدا

إذا هـو أعـطـى مـالـه لا يـشـوبـه
بـمـنٍ ولـم يـفـكـر بـمـن راح أو غـدا

إذا اهـتـزّ قـوم فـي الـمـقـال بـمـفـخـر
فـأنـت الـذي تـهـتـزّ لـلـفـعـل سـؤددا

رآك وزيـر الـمـلـك ذو الـعـزّ وامـق
لـعـامـلـة كـفـواً كـريـمـاً وسـيّـدا
فـاثـنـى عـلـى أوصـافـك الـغـرّ لـلـمـلا
ثـنـاءً بـه صـارت لـك الـشـهـب حـسـدا
لأنـت أحـقّ الـعـالـمـيـن بـعـامـلٍ
وأنـدى الـورى كـفّـاً وأطـولـهـم يـدا

ومنها:

أهـذّب فـكـري فـي عـلاك بـمـقْـوَلٍ
فلم أستطع في الوصف أن أبلغ المدا
بـقـيـت بـقـاء الـكـون لـلـنـاس سـرمـداً
وكـان لـك الـبـاري نـصـيـراً ومـنـجـدا

ربع تبنين فاق الجوزاء علاً وصعوداً

وقال الشيخ عبد المطلب مروة يمدح علي بك أيضاً:

وطـفـقـت أنـشـىء ذكـر مـن نـال الـعـلـى
وغـدا عـلـى آل الـفـخـار عـمـيـدا

وأناشد الحادي المجدّ بسيره
فـي ظـهـر مـرقـالٍ تـقـدّ الـبـيـدا

أودى بها الوخد الملمّ فاصبحت
تشكو الظما لا تستطيع ورودا

ان ما مررت بربع تبنين الذي
قد فاق للجوزا علاً وصعودا

فانزل فسيح رحابه وانظر تجد
للجود بحراً مترعاً موردوا

من وائل الشرف الرفيع محطّه
فوق السماك مواطئاً وحدودا

ندب همام أروع ما زال في
تمزيق صرف الحادثات فريدا

لم يتّخذ غير المهنّد صاحباً ... والأسمر العسّال منه عضيدا
ومطهّما نهداً أقبّ حسبته ... كالطود اتلع اشقراً خنديدا[1]
يجري به تحت العجاج كأنّما ... قد خلته في جريه جلمودا
ومتى سمعت صهيله ورديفه ... فتخال منه صواعقاً ورعودا
ما زال مقداماً لكلّ كتيبةٍ ... وقوامها ولوائها المعقودا
لمّا رأته الدولة الغرّاء في ... تدبير أحكام الأمور وحيدا
فَرَأَتْ وحُقّ بأن ترى في واحدٍ ... رأياً وإقداماً به التسديدا

وللعالم الأديب الفاضل السيد عبدالله النصري الطرابلسي (مفتي صيدا الأسبق) من موّشح على طريقة أهل الأندلس في مدح زعيم تبنين علي بك الأسعد:

الله يخص علي بك الأسعد بالجود

مفرد بالحسن لما سلما ... ردّ روح المستهام اليَائِسِ
فله بالحال ألقى السلما ... حيث من إحسانه لم ييئس

دور:

غصن بانٍ قد غدت ريح الصبا ... تستميل العطف منه والقوام
قد صبا قلبي إليه في الصبا ... ونفى عن مقلتي طيب المنام
كم أقاسي في هواه وصبا ... وأراعي النجم في جنح الظلام
قد سبا عقلي ولُبّي عندما ... ماس عُجْباً بالوشاح الأطلس

---

(١) الخنديد: الطويل.

خدُّه الزاكي يحاكي عندما قد كسى بالحسن أبهى ملبس

منها:

هان بذل الروح منّي في هواه حيث طال البعد منه والجفا
لكن الرحمن قد جلّ ثناه جاد باللطف وعنّي قد عفى
وهداني للذي عزّ حماه وعلي بالجود حقاً والوفا
صاحب الفضل الذي قدماً سمى للعلى فوق الجَوَارِ الكُنَّسِ
وجهه قد فاق أقمار السما وأضا في الكون شبه القبس

دور:

فهو ذو المجد عليّ الأسعد من حباه الله منه بالرضا
طاهر الأصل كريم المحتد منتهى الفخر سميّ المرتضا
ناصر الدين القويم الأحمدي وعلى الأعداء سيف منتضى
غوث هذا العصر تاج الكرما مظهر الحقّ ونور المجلس
خصّه الرحمٰن بالجود كما خصّص الهادي بروح القدس

تبنين تتبرج بعلي بك الأسعد

قال السيد عبد الله الأمين يمدح علي بك الأسعد:

رشأ ببردٍ جماله متبرّج وبنشر عنبر خاله متأرّج
ومن الغدائر بالدلاص مسربل ومن المحاسن بالسلاح مدجّج
عذب اللما قاني الخدود مهفهف الأعـ
ـطاف مكحول العيون مزجّج
قد ساغ سلسال الرضاب بثغره للواردين فأين منه الحشرج

جرحت محاجره القلوب فخدُّه ... كبنانه بدم القلوب مضرَّج

وبمهجتي خُودٌ عليّ أعانها ... قـدٌ رديـنـيٌّ وطـرفٌ أدعـج

يرتادها قمر السماء سناً وعن ... فلك السماء بها استقلّ الهودج

أتحرّج اللحظات عنه وإنما ... يفتي بسفك دمي ولا يتحرّج

بالخال دبّج خدّه فكأنّما ... بالآس غصن الجُلّنار مدبّج

وبوجهه انبلج الصباح كأنّما ... بجمال نور علينا متبلّج

عَلَمٌ بصدر قناته قام الهدى ... وبه استقام إلى الرشاد المنهج

وغدا مقيماً في مرابع أهله ... تبنين فيه بالعلى تتبرّج

ليث بمطرفه السنيّ مجلّل ... وبتاج مفخره الجليّ متوّج

العدل في أبياته والمجد في ... أسيافه والعزّ عنه ينتج

أمعرّج الآمال كم أوقرتها ... ركبانها عرجوا إليك وعرّجوا

هذي صنائعك السنيّة في الورى ... ظهرت وألسنة الثنا بك تلهج

أم نور مجدك في الورى متشعشع ... أم نار جودك للقرى تتأجّج

لله كم لك من يدٍ بيضاء في ... نعمائها أيدي الكروب تفرّج

وإذا الورى ضلّوا السبيل عن الهدى ... فإلى الهدى بصراح مجدك ينهج

وإذا الكرام إلى المكارم رغبة ... عرجوا فأنت لك المكارم تعرج

وإذا نهضت تقاعدوا وإذا خطوت ... تقاصروا وإذا نطقت تلجلجوا

قلّ للذي في المجد حاول شأوه ... أقصر فأنت بما تحاول أهوج

أين الهجين من الهجان إلى العلى ... سبقاً وأين من الهزبر الأخرج

شتّان في طلب العلى بين البرا ... يا المستقيم طريقه والأعوج

قد انتجت شكل العلى لك بعدما ... عقمت وهل شكل عقيم منتج

لبست لفقد أبيك ثوب حدادها ... وبحليّ عزّك بعده تتبرّج

وإذا هوى بدر المكارم اشرقت ... كالشمس منك مكارم تتوهّج

روّجت سوق المجد بعد كساده ... فيه وليس له سواك مروّج

بك تزدهي تبنين زاهية كما ... يزهو بمطلول الرياض بنفسج

واقمت فيها ناشراً للعدل في ... أرجائه والمجد أبيضُ أبلج

أرّجت أنفاس القريض ولم يزل ... بأريج مجدك نشره يتأرّج

زعماء تبنين تداولوا ملك البلاد ودوّخوا العباد

قال الشيخ محمد علي عز الدين يمدح زعيم تبنين علي بك الأسعد:

حيّتك سافرة النقاب أمالها ... فرط الحيا حُيِّيتَ حيّ خيالها

بيضاء في درع البها ما مسّها ... بَشَرٌ سواك ولا أطاف جبالها

قد كنت طلّقتُ القوافي قبلها ... من بعدكم وتركتها ورجالها

وتركت آخرها يناجي أولاً ... فيمن يفكّ من الورى إشكالها

حتى أتاني ذكر فضل مملّكٍ ... طرق البلاد جنوبها وشمالها

فإذا أنا يومي كامسي مُسْفِرٌ ... وهلالها ما أن يزال هلالها

ومليكها هو ذاك لم يبرح لها ... كفواً كريماً لن يرى إهمالها

انعم صباحاً يا ابن أسعد اسعدت ... بك وائل إذ كنت أنت ظلالها

سوّغتني منك الجميل تكرّماً ... سوّغت من نعم الإله زلالها

أنت ابن من ما قابلتهم صعبة ... الا رأت همّاتهم إذلالها

قوم هم حفظوا الديار وأوردوا ... حوض الردى من قد أراد نكالها

مدّوا إلى بيض المكارم باعهم ... فتناولوا دون الرجال طوالها
وتسنّموا بزل الفخار فاتعبوا ... من رام يدرك ركضه إرقالها
وتداولوا ملك البلاد ودوّخوا ... من رام يلبس دونهم سربالها
وتملّكوا اقيال كلّ قبيلةٍ ... فغدوا لكلّ قبيلة أقيالها
ما زلت تنقل في ظهور كرامهم ... حتى اتت أمُ العلى آمالها
فنبغت أربط فارسٍ جاشاً إذا ... أحمى الوطيس سهامها ونصالها
واعزّ مفترسٍ ليوم كريهةٍ ... هام الرجال إذا الحمام أدالها
وأجلّ باسط كفّه يوم العطا ... تسقى العفاة من الهباة زلالها
وإذا الرجال تجادلت بقضيّة ... عسراً وقلت بها قطعت جدالها
وإذا الحلوم هفت فحلمك ثابت ... يزن الثقال جبالها ورمالها
وإذا الأمور تعاظمت صغّرتها ... وكشفت عن وجه الورى معضالها
فلكم ولجت ظلام كلّ كتيبةٍ ... دهماء غيرك لم يلج أهوالها
ولكم حللت عقال كلّ عقيلة ... أبت العقول بأن تحلّ عقالها
فاتتك أمّ المجد في أثوابها ... علماً بأن الله قد أوحى لها
فلذا الذي يبغي مكانك قاصداً ... أن يبلغنَّ من الأمور محالها
طلب النجوم فلا هي انقضّت له ... عمر الزمان ولا هو استعلى لها
فاهنا بما أولاك ربّك إنّه ... أولاك من نعمائه مفضالها
واسمع قوافٍ فيك راق نظامها ... وثناك أسمن ضعفها وهزالها
أحكمتها فتناثرت أحكامها ... حكماً يعيد السامعون مثالها
يصغي الحسود لها فتسكر أذنه ... ويودّ سامعها بأن قد قالها
جاءت مهذّبة بمدح مهذّبٍ ... مذ قد أطلّ على السيادة نالها

مكرمات علي بك الأسعد ساطعة كالشمس:

وقال الشيخ محمود مغنية يمدح زعيم تبنين علي بك الأسعد:

زهت هذه الدنيا وفاح كلاها　　وعبّق عرنين الأنام شذاها

وأصبح وجه الأرض اخضر يانعاً　　يدرّ له ثَدْيُ الغمام مياها

ومهزوزة الأرداف مطويّة الحشا　　تقرب أن يدجو الظلام خطاها

تزور على رغم الرقيب وتنثني　　إليّ وتشكو وجدها وهواها

منعّمة قدُّ القضيب قوامها　　إذا هبّ معتلُّ النسيم ثناها

شكت وجدها عند الوداع وأسبلت　　بمغرورقٍ يحكي «الغدات» شجاها

تأوّبني طيفٌ لعلوة بعدما　　نأى عن عيوني نومها وكراها

يعاودني طيف الخيال وإنّما　　يعود لينفي صدّها وجفاها

ومنيَّتُ نفسي بالوصال وإنّما　　تقطّع أوصال النفوس مناها

وأدماء أضناها المسير وشفّها　　وأرمض من حرّ الهجير حشاها

إذا وطئت أرضاً برامة أحجرت　　نفت بصحيحات الأكفّ حصاها

دغشنا بها والليل أسود أقتم　　وجوزائه بالأفق غاب سناها

فما قطعت ربعاً ولا ربعت حمى　　مع الركب إلاّ والعقيق مناها

عنيسيّة تهوى إلى أرض رامة　　وتبعد عن أرض الغوير خطاها

فما ذاك إلا عن غرام تجنّه　　وعن ولعٍ بالرقمتين شجاها

شجاها هوىً لا تحمل البزل بعضه
وكانت مواريد العذيب شفاها

مهازيل من حر المصيف تباعدت　　فأنحلها طول السرى وبراها

تسير إلى دار ابن أسعد غدوة　　فيحسن منها وخدها وسراها

سأركبها قهراً وأجعل وجهها　　إليه ونحو العاذلين قفاها

ومُـنْـيَـتُـهـا إن لا تـحـلَّ بـغـيـره قـلـيـلاً ولـو كـان الـقـلـيـل مـنـاهـا
فتىً إن يعمّ المحل أو يقلع الحيا ويجدب وجه الأرض كان حياها
وإن مـا الـمّـت بـالأنـام مُـلِـمَّـةٌ محا وجهه الوضاح صبغ دجاها
لـه مـكـرمـات كـالـنـجـوم زواهـر يفوق على شمس النهار سناها
نـمـتـه كـرام مـن ذؤابـة وائـلٍ حما ربعها أسد الشرى وحماها
هم القوم مجّوا صفوها وسواهم تـبـاعـد عـنـه عـذبـهـا وصـفـاهـا
إذا ركبوا الجرد العتاق وقوّضوا يضيف بهم رحب الفضا وفلاها
وان جرّدوا سمر القنا لعدّوهم تسيل على حد الشفار دماها
أصاب الردى منهم على الرغم ضيغماً
فـأصـدع قـلـب الـمـكـرمـات شـجـاهـا
وأثلم سيف المجد من بعد فقده وعـاود عـيـنـي سـهـدهـا وبـكـاهـا
ومعلنة بالحزن تهتف باسمه وتـنـدب شـجـواً إلـفـهـا وفـتـاهـا
تـنـاديـه لا تـبـعـد ولـيـس بـنـافـعٍ إذا أبـعـدتـه الـنـائـبـات نـداهـا
فلي عوضٌ عنه بأبيض ماجدٍ شـبـيـب إذا هـز الـقـنـاة سـقـاهـا
فدم سالماً ما دام بالأفق طالع ومـا زالـت الـورقـاء تـلـثـغ فـاهـا

وكتب محمود مغنية نثراً يمدح علي بك الأسعد فقال:

عامل وما ادراك ما عامل.

بلاد بها أسود الجحافل.

وترجمان المحاسن في الأواخر والأوائل.

كما بها من بيت مجدٍ كأنّ رواهصه النجوم.

وقديم عائلةٍ لم تدر غير المعارف والعلوم.

من كل فارسٍ يستقلّ المرزمين كواهلا ونواطحاً.

بهمة حرب إذا اصطدم الوغى أعزلاً ورامحاً، ينفخ من شراسته الرعب مرعوبا.

ويتقصّف عن بأسه الرمح انابيباً انابيبا.

إلى كرم يفضي إلى منازل فيح.

وأعراق مجدٍ تلحق الطليق بالصريح.

تؤلّف ما بين رحلتي فخار وشرف.

وطيب عنصر يهتز منه الشارف والأشرف.

ومن بحر اذا خضخضته حشد المحيط عليك بغماره.

ومن روض فضلٍ يتأرّج بشذاه وأزهاره.

أن سألته الفقه كشف لك عن وجهه الإلتباس.

وأسمعك ما كأنك تستوعبه من لسان ابن عباس.

وممن رثاه وذكر شهر وفاته العلامة الشهير الفاضل الشيخ ابراهيم افندي الأحدب نائب قضاء بيروت وقتئذٍ، حيث يقول من قصيدة رثاء مطلعها:

نجيب بك وشبيب باشا ثمرتا دوحة المجد

سهم النوائب لا يبقى ولا يذر	فكلّ قلب به من وقعه أثر
والبين ما زال في نحر الوجود له	كفّ به نظم عقد المجد ينتثر
وحادثات الردى لا شيء يدفعها	وليس ينفع من مقدورها الحذر
والمرء يطوي الليالي غير منتبه	وطيّها لجميع الخلق منتشر

والطين والماء أصلاه فكيف يرى ... كاس الحياة له ما شابها كدر

سلخ الشهور بها للمرء معتبر ... هيهات أين الذي تلقاه يعتبر

تبدو الأهلّة من آفاقها فيرى ... بالشكل منها لأساد الردى ظفر

قسيّها طالبات بالمنون فهل ... لها علينا كما شاء القضا وتر

أَلَمَّ خطبٌ خطيب البين قام به ... يتلو خطاباً به الأحشاء تنفطر

وقد بدا حاضراً حزن بصدمته ... عن المسرّة غاب البدو والحضر

حمى بشارة بالأنذار روّعه ... رزء به للردى قد أعلنت نذر

وجاءنا مبتدا وجدٍ فأحزننا ... بفقد بدر العلى السامي له خبر

عليّ اسعد أكليل الزمان ومن ... آثار جدواه في نحر المنى درر

غوث الطريد وغيث النازلين به ... فسحبه معروفة للوفد تنهمر

يوم النوائب فيه راع بدر علاً ... ليل الذي في حماه كله سحر

وفي ربيع قضى من للأنام يرى ... ربيع فضلٍ به يحيى الثنا العطر

ببشر طلعته نشر السرور إذا ... طوى إليه الفيافي للرجا بشر

شهم به انهار ركن الملتجى وغدا ... نهار من أمّه بالبين يعتكر

في برده للندى شخص به طبعت ... لطالب العرف في افق العلى صور

به خواطر أهل المجد قد شغلت ... فقد الخطير له بين الورى خطر

للبيض والسمر في أيّامه شرف ... به قَدِ ابيَضَّ في ليل المنى سمر

بكت عليه سماء المجد إذ أفلت ... شموسها وهو من افقها القمر

بكت عليه العوالي حيث قد ظمئت ... وما لها بعده ورد ولا صدر

بكت عليه عتاق الخيل اذ فقدت ... مولىً به كانت العلياء تفتخر

بكت عليه عيون للندى طمست ... وأصبحت بدماء البين تنفجر

أوجبت ندب علاه حيث كان يرى ... فرض السماح إذا وافاه مفتقر

سرى وخلّف من يرجو عوارفه ... كليم قلبٍ بنار الحزن يستعر
لكن بنجليه من يسمو كمالهما ... كأنّه طال بالذكرى له عمر
أعني النجيب وثانيه الشبيب هما ... لدوحة المجد فيما بعده ثمر
أبقاهما أثراً للمرتجى حسناً ... يبقى الربيع لنا من بعده المطر
كلاهما فرقدا عزٍ سمت بهما ... سماء علياه وازدانت بها الزهر
داما ينيران أفق المجد ما تليت ... في مدح آل النبي المصطفى صور
وما بمسك الثنا في حبّهم ختمت ... آيات حمدٍ شذاها دائماً عطر

علي بك الأسعد فتى أعده الله للمعضلات

قال الشيخ علي السبيتي يمدح زعماء تبنين علي بك ومحمد بك الأسعد:

أقمها حنايا تنقل العزّ والنصرا ... نجائب قد حَمَّلْتَها الاسل السمرا
نواقل فرسان الطعان إلى الوغى ... بكلّ بعيد الهمّ يلحظها شزرا
من الشدقميات المُضَمَّنِ شوطها ... دراك المعالي أو بوازرها الغبرا
عليها فحول الموت من آل وائل ... إذا لقّحت حرب لها ابتهجت بشرا
قماقم لم تبهج بغير عظيمة ... ولم تنشرح في غير ضائقة صدرا
أشاوس حرب أو مصاليت غارة ... طلائع جيش تخدم المجد والفخرا
هم الركب ركب الموت إما جهلتهم
سل الحرب تعطيك المثقّفة الخبرا
مغاوير بأس وابن أسعد سعدها ... إذا أظلمت ليلا يشقّ لها البدرا
بعيد طويل الهمّ رحب فناؤه ... يدفقّه جودا فيجهدها شكرا
أبو زيدها في النائبات وعمرها ... فهل لسواه اليوم محمدة ذكرا

سرى صيته حتى تقطّع تحته		من الحافر الخفُّ المثقلها ظهرا
فـتـى قـد أعـدّ الله جـلّ جـلالـه		لـمعضلة عوناً لـمهيضة ذخرا
فتى تنظر البدرين سيماء وجهه		أسارير سرّ تدفق الخير واليسرا
يـعـاضـده فـي الـنـائبـات مـحـمـد		فتـى القـوم يوم الـحرب اثبتـهم صبرا
يعلّق في مثل السواري حمائلا		يلامع في شفراته الموتة الحمرا
من المقدمين اللاء إما ذكرتـهم		تـهلّل وجه الوفد أحمدهم ذكرا
أقـامـوا الـمـعـالـي درك سـبـق خـيـارهـم		فـجـاؤوا بـهـا بـيـضـا غـطـارفـة زهـرا
على أنّهم لو أنصفوا لتفاخروا		بـأبنـائـهـم آبـاء غيـرهـم فـخـرا
بنوا ما بنوا للمكرمات وللعلى		فشيّدها مجداً وجاوزها نسرا
لـهم كلّ فيّاض اليدين من الندى		إذا قام فيه الأمر أثقلها شكرا
عـلـيّ الـمـعـالـي وابـن أسـعـد جـدّهـا		إذا ضـاق أمـر الـخـطـب أوسـعـها فكرا
يضيق على غير ابن اسعد رايه		ويعصيه ماضيه فيرهقه عسرا
فتى فرّج المعقود من كلّ مشكل		على حالة قد ضاق مشكلها أمرا
لـه سيف مقدام مـحـمّدها علا		يفلّق في الظلماء من سيفه فجرا
أبـو فـائـز فـي الـنـائـبـات وفـائـز		إلى القرم يمشي مشية البطّة الكدرا
قـريـب مـن الـداعـي بـعـيـد عـن الـخـنـا		سريع إلى الجلّى بطيء عن الصغرى
ترى حمله بين الورى غير طائش		وبين القنا كالجنّ يذعرهم ذعرا

إذا ما امتطى ظهر الجواد تضايقت

جبال الورى شوسا وبيداؤها شقرا

بكل منار الفخر في رأس شاهق يقلّبه يمنى ويرقصه يسرى

إذا صال أعطاه الزعامة بأسه وإن قال أعطته رياستها الكبرى

بدور المعالي والعوالي فلن ترى

لها منكرا صعبا سوى صعدة سمرا

تغالط أم الطفل بالسرج طفلهم فيصعد ظهر المهد يحسبه مهرا

يشاطر وفد الركب أشطار ماله رصائعها جردا شداقمها عفرا

ويقري بتهليل الأسارير أشعثا رماه المدى في كل معضلة غبرا

فلست ترى في ساحه غير قلّص مقطّعة الأنساع ثاقبة ظهرا

حراجيج أمثال الأهلّة شُسُّفاً

تلفت خوف اليسر مرعبة زجرا[1]

عليها لطول اليسر كلّ شمردل على كتفها جنّاً وغاربها نسرا

يقول لها قُرِّى فهذا ابن أسعد لناناقتي من كل قاصمة ذخرا

وكم مثلها من كل نقابة الذرا فذاك ذراها اليوم تحسبه قصرا

ودهماء مثل الخوص يعلو قتارها رصائع أرغتها شكائمها الحرّا

فيا حاسباً عدّ المكارم في الورى فليس لها في ابن أسعدها حصرا

حصرت وأنّي في الورى ذو بلاغة

فما حيلتي والعجز يقعدني حصرا

سوى أنّني أتلو مديحاً لذكره فيبهجني ذكرا ويشرح لي صدرا

---

(١) شسّفا جمع شاسف: وهو الضامر والنحيل.

لـه كـلّ يـوم فـي الـمـعـالـي مـجـدّد
من الذكر طول الدهر لا يعرف الدهرا

مـدائـح فـي جـبـهـات ذا الـدهـر غـرّة
عليٌّ علاها كيف لا يحسن الشعرا

فـخـذهـا كـأفـواه الـريـاض قـصـيـرة
يطول على غيري مدى بحرها شعرا

جود بنان زعيم تبنين يبدّد جيش المال

وقال يمدح علي بك الأسعد من قصيدة وأرسلها إليه سنة ١٢٧٧:

وان الـكـرام الـغـر مـن آل وائـل
لـهـم شـرف الـفـضـل الـطـريـف وتـالـده

بـنـوا فـي طريق الـمـكـرمـات مـوضّـحـا
يـلـمّ بـه الـعـافـي فـيـكـرم وافـده

تـألّف فـي أفـنـائـهـم كلّ شـارد فـذاك فـنـاهـم لا تـعـدّ قـواصـده

لهم بدر مجد في العلا نال رتبة فمن دون أدناها السهى وفراقده

يبدّد جيش المـال جود بنـانـه كما بدّد الجيش العرمرم ساعده

اذا سار سار الموت تحت لوائه وذلك حوض لا تغيب موارده

وقال الشيخ علي السبيتي يمدح علي بك الأسعد أيضاً:

إليك اشتياقي لا لزينب أو هند وفيك غرامي لا بسعدى ولا دعد

ومـالـي لا أهـوى الـفـخـار وسـؤددا
هو الظلّ للضاحي وجدوى لمستجدي

ففكّ لماسور وإطلاق موثّق وإثراء ذي عدم وإرغام ذي حقد
فكم راح يشدو في علاك مملّك
يجرّ على وجه الثرى فاضل البرد
حشدت عليه بالعطايا زواخرا بها غرق السامي فعيق عن المدّ
وظلّ بها عيّا يحاول منطقا
وقد حصرت فيه المناطيق عن عدّ
فملك بني قيس بن موسى تركته يماني ينسى يوم راهط للوفد
على انه الملك الذي ضيّق الفضا عطاء وغص البرّ في البزل الجرد
فتى أوقد الغورين ناراً وماءها دماء وقد كانت زلالاً لذي ورد
كذا تغلب متّت إليك قرابة وأين يمان بالقرابة من سعد
وذا حمد في القبر قرّت عيونه غداة رأى كيف ابتناؤك للمجد
وذي جفنة ذمّ ابن جذعان جوده لديها وأمسى لا يعيد ولا يبدي
أبا المجد يا عليا نزار ويعرب
وحاتمها المجدي وفارسها المردي
نزلت ببيروت وخلّفت عاملا
فما عامل من دون صارمك الهندي
فعجّل فدتك النفس واملأ قلوبها مسرّة ذي وعد يبادر بالوعد
وخذها عروسا بضّة بنت ليلة ثناك حلاها تزدهي منه في عقد

بعد هذا العدد الجمّ والغفير من القصائد الشعرية التي قيلت في مدح ورثاء علي بك الأسعد، لاحظنا أن بعضها بايع شبيب باشا بالزعامة بعد وفاة والده. ولما ترك شبيب باشا تبنين إلى استامبول، فبالتاكيد إنفضّ هؤلاء الشعراء عن البلاط التبنيني، ولم يعد هناك من زعامة في تبنين تجمع حولها الشعراء والأدباء.

وانحصر الشعر والأدب في تبنين من هذه الحقبة من الزمن، أي من سنة (١٨٦٥م ١٢٨٢هـ)، حتى سنة (١٩١٦م ١٣٣١هـ)، بقصائد وشعر شبيب باشا نفسه، ونحن لا نستطيع ذكر القصائد التي كتبها شبيب باشا بمدح ورثاء والده، بكونه من تبنين وسيرته وشعره سوف يأتي الحديث عنهما في الكتاب المخصّص لذكر الحركة الأدبية والشعرية في تبنين، لذلك سوف ننتقل إلى فصل آخر وعنوان آخر عن الشعر والشعراء العامليين الذين مدحوا أو رثوا زعماء ورجالات تبنين، أو تراسلوا مع شعرائها، بقصائد ومباسطات إخوانية، تنحو منحى الهزل والفكاهة وعرض العضلات في ميدان الشعر والقريض.

كانت تبنين ملتقى كًبيراً للشعراء والأدباء العامليين، حمد البيك حوّل قصور القلعة أشبه بقصور حلب أيام سيف الدولة، وعلي بيك الأسعد، جمع حوله من الشعراء والأدباء في قصره في تبنين أكثر ما جمع جدّه حمد البيك. وبعد وفاة حمد البيك وهجرة شبيب باشا إلى استامبول، نزل الأدب والشعر من علياء قصور القلعة إلى بيوت وجهاء العائلات التبنينة. فكانت خيمة الشيخ محمد بري نادياً أدبياً بجمع أدباء وشعراء تبنين ومنطقة بلاد بشارة بأكملها، وقد كنا قد تحدثّنا عن ظروف نشأتها، وعن الشعراء الذين كانوا يتسجالون ويتناظرون فيها في المقدمة النثرية.

كذلك كنا قد أشرنا أيضاً إلى منتدى السيد يوسف مصطفى صالح الأدبي الذي كان يعقد تارةً في منشر الدخان (التبغ) في حاكورة آل الحراجلي، وطوراً في منزله.

من هنا، اختصت تبنين بأكثر من شاعر وأديب كان له مع أهلها وزعمائها وشعرائها مساجلات ومناظرات وقصائد ومنظومات، ومنهم الشيخ محمد نجيب مروة، والحاج حسين قصفة، والشيخ علي مهدي شمس الدين وعبد الحسين عبد الله.

وعندما توفي محمد يوسف مقلد رثاه الشاعر أحمد الصافي النجفي بقوله:

يا ليتني أحسن الرثاء	لأرثي النبل والوفاء
هذي عيوني عليك تبكي	فهل يكون الرثا بكاء
يفوه دمعي بألف معنى	لا يعرف الحرف الهجاء
صمتي، وجومي، عبوس وجهي	ترثيك فاسمع لها نداء
يا هائماً في جمال شعر	ترويه، تشدو به انتشاء
ترى، أيرضيك شعر دمعي	إن كنت أهديكه رثاء
وهل ستروِيه في جنان	لشاعر يسكن السماء
كم طفت في الأرض أو كتاب	تستكشف الحسن والبهاء
جلبت من مهجر غذاء	للقلب والعقل، لا ثراء
كتبك ترثيك لا قريض	مخلّدات لك الثناء
جاهدت للحق في يراع	لا يعرف الكذب والرياء
أرضيت بالقول وجه حقٍّ	أغضبت بالصدق أصدقاء
حتى أنا كنت منك ألقى	صراحة تصدع الأخاء
فكنت أعفو وكان ودّي	ينمو كما شئته وشاء
فَعُدْ لِيَ اليوم انتقدني	وخذ بشكرانيَ الجزاء
في القلب نار عليك تذكو	بالدمع لا تقبل انطفاء

أبحث في الأفق، في ضميري ... عنك، لعلّي أرى لقاء

فهل يكون اللقا محالاً ... والحب لا يفقد الرجاء

أسأل ربي لقاك يوماً ... أواصل البحث والدعاء

لا خير في العيش بعد صحب ... كانوا ليَ العيش والهناء

يا سائلي عن جديد شعري ... مهما جلسنا معاً سواء

رثاك هذا جديد شعري ... فاسمعه واسمع به البكاء

أولاً ففي حشرنا استمعه ... إذا رُزقنا به التقاء[1]

أحمد الصافي النجفي

وكتبت العرفان في هامش هذه القصيدة نعياً للشاعر مقلد جاء فيه:

---

(١) الاستاذ محمد يوسف مقلد اديب من الجنوب، من جبل عامل هذا الجبل المهمل المنسي، كاتب شاعر، عرفه قرّاء العرفان بما نشر له من المقالات والقصائد الكثيرة، لم يترك فرصة تمر إلاّ وكتب عن بلده ومنطقته وغنّى في شعره أحاسيس قومه، توفي رحمه الله منذ شهر ونيّف، ولم نعلم بوفاته إلاّ بعد ثلاثة أيام. حق على العرفان التي رافقها منذ البدء إلى الختام ان تذرف دمعة عليه وان تكون اول من يرثيه. وسقط رحمه الله مغشياً وادركته الوفاة وهو في مكتبه بوكالة الانباء الوطنية بوزارة الانباء فهل ينال تعويضاً مناسباً اسوة بغيره او ان فقير المال مغبون بحياته وبعد مماته، لا حاجة بنا إلى القول انا نشارك آله في مصابهم، فنحن أيضاً آله، وها هو شاعرنا الكبير الصافي الذي لا يرثي احداً، قد جاءه الوحي في رثائه، ولا غرو إذا فاضت قريحة الاستاذ إبراهيم بري وعواطفه في هذا المجال، عزاءً لتبنين. ولتذكره دائماً فقد تغنّى بها نثراً وشعراً في كل مناسبة. لقد كانت انشودته الكبرى، عزاء لجبل عامل فقليلون هم الذين أعطوه حقّه مثلما أعطاه الفقيد.

ورثاه الشاعر ابراهيم حاوي بقصيدة عنوانها:

رفيق الشباب

إلى روح الصديق محمد يوسف مقلد:

يا دهر يا مجموعة الأوصاب بدّدت من حولي جميع صحابي
واخترت إخوان الصفا من بينهم فتيان أحلامي: رفاق شبابي
كانت نوادينا بهم معمورة بالأنس إذ حوّلتها ليباب
كنا كعقد «الكهرمان» جماعة فأهاب بالتشتيت صوت غراب
ما أضيق الدنيا على رحباتها خلوى من الأتراب والأحباب
يا طيبه عيشاً تقضّى بينهم مرّت لياليه كمرّ سحاب
في ساحة السنغال حيث تجسّم الإخلاص بين جماعة وصحاب
من هؤلاء يونس ومحمد والمرتضى ذو الخلق والآداب
«لله در صحابة عايشتهم» أخلاقهم تحكي زهور روابي
عشنا ندامى إلفة ومحبة ومجالس سكرى بغير شراب
ولرب معضلةٍ تُحَلّ بواحد منا: تُحَلُّ بسائر الأصحاب
كنا كمثل الجسم في تركيبه متنوّع الأجزاء والأعصاب
فإذا أصيب ببعضه من كلّه فالكلّ حتماً شاعر بمصاب
تالله مهما عشت ضمن تجارتي وغذذت من سيري ومن تجوابي
لا ألفي السنغال مدرسة الوفا بلداً هدانا لاتبّاع صواب
متآلفين فما يفرّق بيننا حسد ولا بتنابذ الألقاب
ولقد مررت على ربوع أحبّتي أهلي، وقومي، نبتتي، وترابي
فوجدت قوماً ليس عهدي عهدهم أبداً: ولم يك دابهم كما دابي

في كل بيت نزعة وسياسة ... لتنازع، لتنابذ، لخراب

* * *

ومررت بالأموات أسكب دمعة ... حرّى على الأحرار من أترابي

فوجدت قبراً حلّ فيه أخو وفاً ... جمعت كلانا أوضح الأنساب

* * *

لهفي عليك غريب دار لم يفز ... من عذب أحلام بغير عذاب

أميمّماً شطر الخلود وتاركاً ... دنياً مخاتلة وعيش سراب

أنعم بها دار البقاء رغيدة ... وكما تشا خلوى وذات رحاب

وأبلغ أمانيك التي لم تحظها ... واهنأ بخطوة دفتر وكتاب

ولرّب يوم كنت فيه بيننا ... رب الكتاب وحلية الكتّاب

ولرّب يومٍ كنت فيه منشئاً ... بين المجاهل ساحة الأداب

وهناك انشئت الأماني[1] حرّة ... في الغاب حيث اخترت وحي الغاب

ولرّب يوم كنت فيه حاملاً ... للضاد راية سحره الخلاب

واخترت أخوان الصفا وصحابة ... في عالم ما كان غير ذئاب

يتهالكون على الحطام ولم تعر ... للقوم إلاّ نظرة المرتاب

ومضيت لا تلوي على أصنامهم ... وجعلت نصبك قبلة الآداب

واخترت باقية الخلود أثيرة ... عن كل ما أحرزت من تطلاب

لا يبعدنَّ الله عنّا نازحاً ... ترك القلوب بلوعة ومصاب

وسقى ثراك الله فيض سحابة ... بالمغفرات جزيلة التسكاب

إبراهيم حاوي

---

(١) الأماني، مجلة خطية أدبية انشاها الراحل في مجاهل أفريقيا.

الشيخ محمد نجيب مروة والشعر في تبنين:

كتب الشيخ محمد نجيب مروة يشرح علاقته مع تبنين وأهلها وشعرائها فقال:

«أنّه لا يخفى على كل من يعرفني، ما بيني وبين أهل تبنين من المودّة والصداقة والإخلاص، نظراً لأنّي أقمت بين أظهرهم في الزمن الماضي سنين، وشاهدت من شهامة أكثرهم، ما يوجب المدح والثناء. كنت أختلف إليهم وأتردّد عليهم بعد خروجي من بلدتهم، بسبب وجود حسين بك الدرويش مديراً فيها، وقد حصل بيني وبينه صداقة متينة، لذلك، كان في كل برهة، يحرك ساداتها ومشايخها، ويحرّضهم على مراسلتي، رغبة بالحصول على الجواب، ليسمع من شعري الفكاهي ما يانس به. فكانوا يراسلوني. وأراسلهم (شعراً). وفي بعض الأيام، أتاني منهم رقعة فيها أبيات من الشعر المكسّر العربية والوزن، وفيها تهديد أدبي وتوعّد. وقد زعم كاتبها، أنها من نظم الشيخ أحمد يوسف (حمود)، فأرسلت هذه الأبيات للشيخ أحمد يوسف جواباً ولأصحابه وهي:

اغمد السيف شيخ آل حمود	واحذر القتل بعد هول شديد
لست في الجواب شجاعاً إذا ما	عفّر المشرفيُّ وجه الصعيد
لست وقت الطعان تلفى عميدا	بل بوقت الطعام خير عميد
خلق الله للقتال رجالاً	ورجالاً لقصعة وثريد[1]
أيها الشيخ لست كفواً كريماً	للقائي لدى المجال البعيد

---

(١) الثريد: اللحم المطبوخ.

لكن قومك حرّضوك وقالوا ... أنت كن واقفاً أمام الجنود
أو لم يعلموا بأن سوف أرمي ... مجدهم بالهبوط بعد الصعود
هل رأيتم ثعالب البرّ قامت ... في زمان إلى حروب الأسود
أيها القوم بيضكم منذ صيغت ... لم تزل مستقرّة في الغمود[1]
جرّودها فسيف عزمي يهوى ... أن تروها مثلّمات الحدود
إن وقفتم إليّ يوماً فإنّي ... سوف ابليكم بداء القعود
ولئن أنتم اقتدحتم بليل ... نار حرّ رميتها بالخمود
واقتدحت الغداة ناراً عليكم ... هي نار الجحيم ذات الوقود
ليس للناس في الزمان عليكم ... من ملام ولو قطعتم وريدي
حيث دون الانام طراً لعيسى ... بعتكم سابقاً كبيع العبيد
إن جيشي من الأرامل يخشى ... بأسه ابن الرشيد وابن السعود
ذلك الجيش كم به غانيات ... ناصعات محمّرات الخدود
ومن السمر كم به فتيات ... لا يرى مثلها بأرض الصعيد
ذاك جيش عرمرم غير شخصي ... ليس في عامل له من عقيد
كل شيخ وسيّد هو فيكم ... سوف ياتي مكبّلا بالقيود
وكذاك الحسين بدر دجاكم ... سوف ياتي مصفداً بالحديد[2]

ويتابع الشيخ محمد نجيب قائلاً: وبعد ذلك فهمت أن الشيخ أحمد يوسف (حمود) بريء من أبيات الخطاب، وإن ناظمها الشيخ جميل من آل بري فأتحفته عند ذلك بهذه الأبيات:

عيون الشعر والآداب قرّي ... ففي تبنين قد ظهر المعرّي

---

(١) البيض: سيوفكم.
(٢) الحسين: حسين بك الدرويش مدير ناحية تبنين.

ألا مـن مـبـلـغ عـنّـي جـمـيـلاً أديـب الـعـصـر زيـنـة آل بـرّي

أراك عـلـيَّ قـد جـرَّدَت عـضـبـاً عداك الـفـهـم مـا هـذا الـتـجـرّي[1]

أمـثـلـك مـن يـكـون لـه ثـبـات مـع الأبـطـال فـي كـرّ وفـرّ

تـنـحَّ فـلـسـت لـلـهـيـجـاء أهـلاً وسالم واجتنب في الحرب شَرّي

فمثلك عند مشتبك العوالي تـقـول لـه بـنـو الـهـيـجـاء: بَـرّي

جميل الاسم كيف عليّ تسطو وأنـت مـجـرّبٌ حـلـوي ومـرّي

ألـم تـعـلـم بـأنّـي لـسـت أخـشـى جـمـيـع الـقـوم مـن عـبـد وحـرّ

أظنّك إذ نـظـمـت الـشـعـر فـيـنـا حـسـبـت بـأنّـه نـثـرات درّ

فـرحـت بـذاك مـمـتـلـئاً سـروراً وقـلـت غـلـبـتـه، لـلّـه درّي

أفـيـدك بـأنّـه لـمـا أتـانـي شـهـدت بـأنـه شـعـر يـخـرّي

فـدع عـنـك الـذكـا وازرع وفـلّـح وبـعـد الـحـصـد أدرس ثـم ذرّ

وعندما يتحدث محمد نجيب مروة عن نشأته يهجو كل القرى التي نشأ أو سكن فيها، أو عاش، ولكن عندما يصل لذكر تبنين وأهلها، ترّق ألفاظه وتعذب كُلَمُهُ وتهدأ أعصابه، كأنّ في تبنين وأهلها شيء من المغناطيس الجاذب يجذبه إليها وإلى أهلها. وقد روى الحاج محمد عطا الله دكروب، أن الشاعر مرَّ على عمّه أبي قاسم محمد دكروب في دكان الإسكافي في الزاقوق يريد إصلاح حذائه فطرح السلام على أبي قاسم، فلم يجبه، فقال له: ما لك يا أبا قاسم؟ لماذا أنت غاضب مني: فأجابه أبو قاسم وحذاؤه بيده يعمل على إصلاحه: أليس هذا بعلم؟ وهو يعني صنعة الأسكافيين فتبسّم الشيخ محمد نجيب مروة، وربتّ

(١) العضب: السيف.

على كتف أبي قاسم معتذراً، وقال له بلى... بلى إنّه علم، وأن آل دكروب متعلمون:وكان سبب غضب أبي قاسم، قصيدة قالها الشاعر، واعتبر أن العلم مفقود بين آل فواز وآل دكروب والقصيدة التي قالها كتب لها عنوان: نشأتي: وقد قال فيها:

قصيدة ذكرت بها رغبتي في طلب العلم من أوّل النشأة وسبب عدم بلوغي الدرجة القصوى من ذلك، والتلهّف على عصر الشباب إذ تصرّم بين أناس خاملين:

نشأتي

العلم فخر ينال الفضل طالبه ويدرك المجد والعلياء صاحبه
ولا ينال وإن هانت مطالبه إلاّ بجدّ وتعليمٍ وتدريب

* * *

وللدراهم فضل ليس يجحده من رام علما فإن المال يسعده
والفقر عن نيل فضل العلم يقعده
حتى وإن كان ذا فهم وتهذيب

* * *

لقد عشقت العلى والمجد عن صغرٍ
ورحت صبّا حليف الوجد والسهر
فلم أنل منهما قصدى ولا وطرى
وعذبتّني الليالي أي تعذيب

* * *

يلومني الناس إذا لم أبلغ الأربا
من العلوم وهم لم يعلموا السببا

قالوا حويت الذكا والفهم والادبا
وكان حظّك من بعض الأعاجيب

* * *

لو كنت عصر الصبا بالعلم مشتغلا
لنلت مجداً أثيلاً واكتسبت علا
لكنما كنت في روض الهوى ثملا
تجني ثمار الملاهي والملاعيب

* * *

فقلت تا اللّه ليس الجهل من أربي
ولا تماديت في لهو ولا لعب
ولا رغبت بوصل الخرّد العرب — بل كان نيل المعالي جلّ مرغوبي

* * *

لكن دهري عن التعليم أقعدني — ومنهل العسر والإملاق أوردني
كم قد دنوت من العليا فأبعدني — عن نيلها بعد تقديم وتقريب

* * *

لقد ترعرعت في سلعا ولا كتبٌ — عندي ولا فضّةٌ كلا ولا ذهب
ولا فتى ذو علوم زانه أدب — من أهلها يتولّى أمر تهذيبي
هذا ولي والد بالفضل مشتهرٌ — وبالعفاف وتقوى الله مؤتزر
لم تَصْفُ أيّامه إذ كلّها سفر — وتصرّمت بين تشريق وتغريب

* * *

لذاك شملي به ما كان مجتمعا — لتحتسي فكرتي من علمه جرعا
تا الله ما كنت من دنياه منتفعا — إلا بلبس ومأكول ومشروب

* * *

إن الخمول سقاني الدهر خمرته		وأورثتني دواعي العسر سكرته

لهفي على العمر إذ قضّيت زهرته		ما بين سلعا وباريش ومعروب

* * *

عصر تقضّى بأحياء الرعاة سدى
إذ لم أنل منهم علماً ولا رشدا

لو أن حزني عليهم نافع لغدا		حزني عليه يساوى حزن يعقوب

ونحن نلاحظ سلاطة لسان الشاعر على أهل بلدة سلعا وأهل باريش وأهل معروب. ولم يوفّر حتى والده فهجاه، ونعت أهالي هذه البلاد بالهمج والرعاة. أما عندما وصل إلى تبنين وأهلها، انسابت الكلمات انسياباً، والقوافي تهذّبت .وتشذّبت بعد أن كانت خشنة فظّة:

ولي بتبنين أيام إذا ذكرت		ترى دموعي على الوجنتين جرت

أيام صفوٍ رعاها الله ما كدرت		إذا قد تقضّت مع الغيد الرعابيب

* * *

عاشرت فيها أناساً لم تقس بهم
من حسن عشرتهم عربٌ ولا عجم

إنّي شهدت بهذا في الورى لهم		بعد اختبار وتوكيد وتجريب

لكنّما العلم لم ألق له أثرا		فيها لاقضيَ من لذّاته وطرا

ولا لقيت فتىً بالعلم مشتهرا		في آل فوّاز أو في آل دكروب

بيع تبنين

يقول الشيخ محمد نجيب مروة عن نفسه أنه زعيم جماعة عيسى، وعيسى في شعره هو رمز للنحس والإحباط والفقر والإملاق وعدم النجاح في سبيل أمور المعاش، نسبة لإسم أحد حكام لبنان الجائرين الظالمين، من آل عثمان كان اسمه عيسى سيف. وأصبح المثل السائر لإطلاق اسمه على كل منحوس فيقال: راكبه عيسى.

ولكثرة الإحباطات والفشل الذي وقع به الشيخ محمد نجيب مروة، أخذ يبحث عن فكرة يتخلّص بها من هذا النحس. وجاءته الفكرة في المنام، وهي أن يسلّط عليه أناساً (راكبهم السعد) على الدوام، وبسعدهم يستطيعون كسر عيسى ونحسه، وطرده من عيتا ومن كل البلاد العاملية. وبعد البحث والتدقيق والتفتيش، لم يجد صفة السعد والقدرة على محاربة النحس وخلق النكد لعيسى إلاّ عند أهل تبنين. فقرّر أن يبيع تبنين وأهلها لعيسى سيف ونظم قصيدة بعنوان: المبيع العيسوي: أو (آخر سهم في كنانتي) يعني أنه إذا لم يقدر على تسليط أهل تبنين على عيسى ونحسه، فهو لم يعد يملك أي حل آخر لطرد هذا النحس. فقال في مقدمة هذه القصيدة:

بتاريخه قد بعت تبنين كلها لعيسى ومثلي بيعه غير باطل

وصيغة عقد البيع بيني وبينه

جرت عن تراض بالشروط الكوامل

وهذا بيان للحدود التي لها كما صحّ عند الواضعين الأوائل

فقبلتها عيتا التي أصبحت بها منازل سادات كرام أفاضل

وحُدّت شمالاً باليهودية التي
توطّن في أبياتها كلُّ خامل

ومن شرقها طود رفيع براسه
حكت صفد البطيخ إيوان بابل

ومن غربها حاريص بلدة من غدت
به تُضرب الأمثال بين القبائل

بدائر هاتيك الحدود ومن غدا
مقيماً بأطلال لها ومنازل

* * *

كساداتها طرًا وآل هزيمة
كذا آل فوّاز وآل الحراجل

كذا آل (دكروب) وأبناء (مقلد)
وعائلة الأعجام ذات القناصل

ومختارهم مع كل شخص يخصّه
وما عندهم من غلّة في الحواصل

كذاك بنو (البرّي) الذين تفرّدت
مشايخهم فيها بضرب المنادل

ويشمل هذا البيع من كان منهم
مقيما (بدير نطار) فوق المجادل

ومن كان في (النايورك) منهم مهاجرا
ومن كان منهم قاطنا في السواحل

كباراً صغاراً من غنيّ ومعدم
ومن ناقص في العقل منهم وكامل

وقد بعته الخوري وأبناء نوفل
وأبناء برهوم ولست بواجل[1]

أولئك ظنيّ فيهم غير خائب
وغيرهم في البيع ليس بداخل

وأما نساء الفرقتين فإنّني
له لم أبع منهن غير الأرامل

ولم تبق دار من جميع ديارهم
لها عقد هذا البيع ليس بشامل

مع الأرض من سهل وحزن وما جرى
بأكنافها من أعين ومناهل

مع الشجر المغروس في فلواتها
مع الزرع فيها من خصيب وماحل

---

(١) أبناء نوفل، هم آل القهوجي وأبناء برهوم، هم آل الحداد.

وأبقارهم ما كان للحرث قابلاً وما كان بطّالاً له غير قابل
مع العير طرّاً والبغال التي بها مع الخيل من كدش بها وأصائل
مع الطرش من أصناف ضأن وماعز
ذكوراً أناثاً من سمين وهازل
مع السود من جنس الحمير بأسرها
مع الغبر فيها من سريع وهامل
وتدخل في البيع الكلاب جميعها كباراً صغاراً من عقور وعاقل
كذا كل أصناف القطاط التي غدت لديها لحوم الفار خير المآكل
وما رحت مثل البائعين مهيّئاً لتعداد أصناف الفلوس أناملي
على أن هاتيك المباعات كلّها
بمجموعها المعروف عند المُفاصل[1]
بوجه الرضا والإختيار وهبتها لعيسى ولا أخشى بها عذل عاذل
على أنه بعد الوثاق يفكّني ويطلقني من أسر تلك الحبائل
ويكشف عنّي غمّة الجور والأذى
وعن سائر السادات من أهل عامل
وقد صار بيني في المبيع وبينه خيار إلى حول من الدهر كامل
فإن هو أضحى بعد ذلك محسناً إلينا فهذا البيع ليس بباطل
وحينئذٍ يغدو لتبنين مالكاً وليس له في ملكها من مُجادل
وإلاّ فهذا البيع ليس بثابت لعيسى وذاك الملك ليس بحاصل
وكانت شهود الحال فيها كثيرة وربّي عما قد جرى غير غافل

(١) المفاصل: من فاصل يفاصل: أي ناقش في سعر البيع والشراء.

شهود الحال

ولقد شهد على هذا الصكّ (صكّ البيع) شهادة نظمّها حضرة الأديب المفضال الشيخ علي شرارة: وهي هذه:

أقـرّ لـدى الـجـانـي عـلـي بـن أحـمـد
مـحـمّـد فـي الـبـيـع ذا إقـرار عـاقـل

وأشـهـدنـي والله أكـبـر شـاهـد — على البيع لكن بالحدود الكوامل

وإفراغها رأساً لعيسى متى يشا — بصور لدى مأمورها والتنازل

ومـا بـاعـه تـبـنـيـن إلاّ لـيـغـتـدي — بـهـا لاهـيـاً عنـه كـثـيـر الـشـواغل

وهـيـهـات عـيـسـى أن يفارق خلّه — ويـغـتـر فـي أطـلالـهـا والـمـنـازل

فعيسى صدوق في الوداد وثابت — وليس له في صدقه من مماثل

تعشقّه عيسى قديما ومن غدا — هواه قديماً لا يصيخ لعاذل[1]

فلو باعه السبع السموات كلّها — مع الأرضين السبع ذات الزلازل

وما فيهما من خلقه . ما ارتضى بها
وعـن ظـهـره مـا كـان قـطّ بـنـازل

عـلـى أنّ عـيـسـى لا يـقـرّ قـراره
إذ لـم يـزره فـي الـضـحـى والأصـائـل

الا أيها الشيخ الذي راح بائعاً — لـتـبـنـيـن مـع قـوم كـرام أمـاثـل

لَبَيْعُك تبنيناً كمن باع خصمه — سـلاحـاً وأهـداه مـحـزّ الـمـقـاتـل

أما خِفْت أن يقوى علينا بجنده — ويعتزّ في فرسانها والعوامل

وما هِبْتَ إن بعت الأرامل كلّها — كـأنّك لا تـخـشـى سـلاح الأرامل

(١) أصاخ: سمع وأدار أذنيه والعاذل: اللائم.

واني أرى أن نفسخ البيع عاجلا لدى ثقة خالي النقائص عادل

وإلا فقل للقوم يا قوم انّني وإن قُلْتَ، لَكِنْ، قائلٌ غَيْرُ فاعلِ

وقال الفاضل شيخ الشعراء الشيخ علي شمس الدين تصديقاً على ما ذكر:

نزلت بعيتا من سنين قلائل بربع فسيح في بني الفضل آهل

ولما دخلت الحيَّ شمت بسوحه حماراً لطيف الشكل حلو الشمائل

فقلت لمن هذا الحمار الذي أرى فقالوا لعيسى، سيف ربّ الفضائل

وشاهدت خرجاً فوق متنيه هالني لما ضمّ من جنس مليح وعاطل

به كل طربوش تقادم عهده لشهم كريم من سراة السواحل

وسروال جوخ غيّر الدهر لونه وسيف بلا غمد عتيق الحمائل

وطقم من الطرز الجديد تقطّعت حوائصه من شدّها بالكواهل(١)

وربطات عنق كم بها اغترّ أحمق وكم أوقعت رعباً بأحشاء جاهل

وعمّة مسكين يصوم شرائها طويلة أطراف على غير طائل

وتاج مليك طاول النجم رقعة فاصبح بعد العزّ في زي سائل

* * *

ولما أحسّوا بي تسابق جُلُّهم إليّ كاسرى أطلقت من معاقل

وقالوا الا أهلاً على الرحب جئتنا ونحن لعيسى سيف، أكلة آكل

---

(١) الحوائص: جمع حياصة وهي التي تربط بها برذعة الحمار حول بطنه.

أتــى زائــراً لــكــن رأيــنــا بــوجــهــه
على السلب والتشليح أقوى الدلائل

ألست ترانا والنجيب محمّداً
نحاول من عن قصده غير حائل

فلما رآني أظهر اللطف وانثنى
يشاغلني منه ببعض المسائل

ومن أي البلاد الشيخ جاء مشرّفاً
وقد أشرقت منه جميع المنازل

فقلت له من مجدل إنّ مجدلاً
محصنّة من أسدها في بواسل

فبات يريني الشرّ منه نكاية
وكاد بأن يمسي من الغيظ آكلي

يكلّمني في الأمر تكليم جاهل
ويفعل في التفتيش أفعال عاقل

على ما بِدُكّانِ النجيب بضائعاً
ليجعلها منه بأمنع حاصل

ويظهر لي شأن المقيم بصنعه
ويجمع بالأسباب تجميع راحل

ولمّا رأى أنّ النجيب محمّداً
على حكمه دون الورى غير نازل

أراد بــه مــا قــد أراد وقــلــبــه
عليه غلا بالحقد غَلْيَ المراجل

وحــيــن بــدا لــي مــن نــجــيــب إبــاؤه الــ
خضوع وعن عيساه ضاقت وسائلي

جنحت إلى الإصلاح ما بين صاحبي
وعيسى وبالإصلاح فضّ المشاكل

فــقــلــت لــه: بــع أرض تــبــنــيــن كــلّــهــا
له واسترح من فعل هذا المخاتل

فقال: لنعم الرأي رأيك أنّني
لقد بعتها منه فكن أنت كافلي

فصدّق رعاك الله بيعي كلّها
وكن شاهداً إذ أنت أكرم عادل

وحرّر صكّا بالذي باع كلّه
بخطّ يديه عاجلا غير آجل

فقلت له: لزّقه بالبول وامضه
إذا كنت عما قلته غير نافل

فلزّقه بالبول والبول واجب
فرار الجزا حقاً على كل فاعل

ومذ تمّ بالتلزيق صدّقت عاجلاً وسلّمت عيسى صكّه غير واجل

وقال الشيخ محمد نجيب يمدح أبا نايف محمد علي افندي غطيمي:

يـا أبـا نـايـف وفـاؤك بـادي شائع الذكر في جميع البلاد

انت قد سُدْت في الأنام بجدّ واجـتـهـاد وعـفّـة وسـداد

واحـتـشـام وحـسـن خـلـق وجـود

قـد حـكـى لـلـعـفـاة صـوب الـغـوادي[1]

فـبـهـذا بـلـغـت مـجـدا رفـيـعـا ومـكـانـاً قـهـرت فـيـه الأعـادي

وقال يمدح الأستاذ سعيد فواز مدير الاقتصاد الوطني:

أُخـيَّ إلـيـك تـمـثـال الـسـعـيـد آخـا الآداب والـرأي الـسـديـد

فـتـىً بـالـجـد نـال عـلاً وفـضـلاً وقـدراً سـامـيـاً لا بـالـجـدود

بـريـعـان الـشـبـيـبـة كـبـرّتـه مـعـارفـه عـلـى رغـم الـحـسـود

نـوى إذ سـاد مـا بـيـن الـبـرايـا عـلـى نـفـع الـقـريـب مـع الـبـعـيـد

فـمـنّ الله مـن حـسـن الـنـوايـا عـلـيـه بـالـرقـيّ وبـالـصـعـود

أما الشاعر الحاج حسين قصفة، فقد كانت تربطه صداقة مع عمّنا السيد يوسف مصطفى صالح، حيث كان عضواً في ناديه الأدبي، ومن الشعراء الذين يعتمد عليهم السيد يوسف في الخصومات الأدبية، ولما مات السيد يوسف، تأثّر الشاعر كثيراً لموته، ورثاه بالقصيدة التالية:

---

(١) العفاة: جمع عافي وهو طالب الحسنة والصوب وهو الغيث الماطر والغوادي جمع غادي، أي المطر الآتي غدوة.

بقاؤك في الحياة هو الحياةُ ... وموتك لو علمت هو المماتُ

فبعدك دبّ في الأحياء حزناً ... وقد فرحت بلقياك الوفاةُ

وأظلمت السما والأرض مادت ... وضاقت في نواظرنا الفلاة

يموج العالمون وهم حيارى ... ولو تفدى بموتهم لماتوا

مصاب لو رمى قِلَلَ الروابي ... لمادت من شجاها الراسيات

ولو صبَّ المصاب على صفاة ... لذابت من تألمها الصفات

فلا وأبيك مثلك ما بكينا ... فقيداً لا ولا نعت النعاة

قضيت العمر بين الناس قاض ... ببيت شيَّدته المكرمات[1]

وكنت لكلّ مظلوم نصيراً ... سواء آل بيتك والعراة

فبعدك من يجود على فقير ... وتغدق من أنامله اللهاة

وبعدك من يكون لنا ملاذاً ... إذا جارت علينا الحادثات

وبعدك هل نرى رجلاً عظيماً ... يلازمه التواضع والأناة

وهل لسوى محلّك من محلٍّ ... تحلُّ به الأكابر والقضاة

وتابع مادحاً ولده السيد علي صالح قائلاً:

ولولا نجلك السامي عليٌّ ... لما هدأت شجونٌ هادراتُ

هو الفذُّ العليُّ أخو المعالي ... له عنت الأمور المشكلات

فنم بالقبر مرتاحاً قريرا ... عليك سلام ربّك والصلاة

وقد توفي السيد يوسف صالح سنة ١٩٥٣، وهو في ريعان

(١) إشارة إلى لجوء أهل المنطقة إلى التقاضي والإحتكام لأحكام السيد يوسف صالح، لإيمانهم بوجاهته الدينية والدنيوية.

شبابه وقمة عطائه وعنفوانه، وكان لوفاته أثر كبير في نفوس محبّيه، فقد امتلئت الأفئدة أسىً وشجىً وحزناً على فقده، وقد رثاه ابن عمه، السيد مصطفى صالح بهذه القصيدة:

خذ من تشاء فلا أبالي بالردّى	لا الصحب أبكيه ولا أرثي العدا
مات الذي هتف الزمان بجوده	مات الذي في داره ولد الندى
مات الذي ساد الجنوب بهديه	هيهات نلقى بعد يوسف مرشدا
لا لا اعتراض إذا هتفنا كلّنا	يا ربنا يا دائماً يا سرمدا
خذ من تشاء ليبقى فينا يوسف	فجميعنا يوم النداء له فدا
تبنين كانت للجنوب منارة	من ضلّ، من أنوار تبنين اهتدى
فأبو محمد من يلوذ بداره	لم يخش غائلة ولا يخشى الردى
يلقى بدار أبي محمد زاده	وبداره لمن استجار السؤددا
يستقبل الأضياف محتفياً بهم	ويمدّ من كرم لمحتاج يدا
كالبدر دوما وجهه متألّقٌ	وتخاله بين الكواكب فرقدا
يا سيداً من آل صالح نَبْتُهُ	طابت أرومته وطابت محتدا
أنت الذي بالجود فزت على الورى	أنت الذي صوت العفاة له حدا

وتابع يصف عمّه ووجاهته في منطقة جبل عامل فقال:

كان الجنوب بعهدكم متوثّبا	والكلّ ان نادى الجنوب مجنّدا
والآن أصبحنا بفقد عميدنا	كلّ يعيش بلا أخيه على حدا
سرّ للنبي محمّد ولآله	بين الأئمّة فلتعيش مخلّدا

فهناك حيدرة الإمام بسيفه
سحق الطغاة ومن على الدين اعتدى

وهناك تلقى المجتبى الحسن (الزكي)
وترى الحسين ومنه أعلام الهدى

فاهنأ بقرب المصطفى وبآله
في الخلد مع من بالرسول قد اهتدى

عهداً علينا قد قطعناه إذا ... عشنا بدنيانا وإن طال المدى
لن ننسى ذكرى يوسف كلا ولا ... نرضى سواه لآل صالح سيّدا
في ظلّه كان الأمان يحوطنا ... ودياره للدين كانت معهدا
ما زال صوتك يا ابن هاشم عالياً ... للزائرين وللضيوف له صدى
أبناء عمّك شيبهم وشبابهم ... يبكون فيك بني الحسين وأحمدا
تبنين تندب نسرها وزعيمها ... ومن الزهور وكلّ طير قد شدا
فإليك منا دمعةً جبلت أسى ... من آل صالح كلما نجم بدا

ولا بد لنا من الإشارة إلى أن زعامة العائلة انتقلت بعد وفاة السيد يوسف إلى ولده الأصغر السيد علي صالح . أبو عدنان . لأن ولديه الاكبرين محمد علي ومحمود بقيا في المهجر. وقد عاد السيد محمد علي الولد الأكبر من المهجر الأميركي إلى تبنين، وتوفي بعد عودته بعدة سنوات. واستمر السيد علي صالح يقود العائلة في تبنين والسلطانية وبيت ياحون، ويرعى شؤونها ومصالحها، إلى أن توفّاه الله في ١٩ أيار سنة ١٩٨٩.

وقد رثاه الشاعر مصطفى صالح بقصيدة جاء فيها:

يا راحلاً جئت بالأشعار أرثيه ... وسيّداً ضمّ أغلى الناس ناديه
ومصلحاً ان رأى جوراً يغيّره ... وكل صرح هوى بالحب يبنيه

يا خير من فجعت فيه عشيرته وأجود الخلق كفّاً في أهاليه
ويا عليّ الندى وابن الكرام ومن قد خصّه في جميل الخلق باريه
لم ندر أنّ المنايا يا عليّ لها مفاجآت عزيز القوم ترديه
وأنت أنت غريب الدار وأسفي من يرجع الشهم حياً كي نهنّيه
الجسم في الغرب أمّا الروح هائمة
في الشرق بين رجال المجد والتيه
يا بن الذي كان كالطائيّ في بلدي
من بعد يوسف للملهوف تأويه
يا بن الميامين من صلب النبيّ ومن
إن يذكر المجد كانوا في أعاليه
عدنان نجلك مع إخوانه فقدوا رمز الأبوّة من طابت ذراريه
ذريّة من عليّ الطهر أولها وبضعة المصطفى الزهراء ثانيه
قال الشهادة سبط المصطفى ومضى
فأيّ مجدٍ جنت قل لي أعاديه
وأنت يا من فقدناه وكان حمى يوم المصاعب والبلوى نناديه
بل كنت والله يا بن الطيّبين لنا نوراً لمن أظلمت فيه لياليه
لو كان يجدى الفدا كنا لسيّدنا بالروح بالمال بالأولاد نفديه
لكن مشيئة رب العالمين قضت كل ابن أنثى ملاك الموت مفنيه
والآن يا من أتينا كي نودّعه وزفرة من حنايا الصدر نهديه
عليه منّا تحيات الوفا وغداً بين الأئمة في عدنٍ نلاقيه

وقال ابن عمنا السيد فخر الدين فخر الدين يرثي إمام تبنين العلاّمة الشيخ موسى جميل بري:

الملائكة تسجد للشيخ موسى

لكم تلاحق في هذى الدنى حشدُ   وما تخلّف عن ركب الردى أحدُ

نهيمُ عبر متاهات الفنا أبداً   تُعزي بنا لمعات الآل إذ يقد

وكم تصوغ لنا أضغاثنا أملاً   وحباً، يقصّر عن أبعاده الأبد!

والعمر أقصر من حلم نحققه   وهل تُمَدُّ له بالمعطيات يد؟

يا حاملاً من رسالات الهدى شعلاً   مضى سريعاً عن الدنيا بك الأمد

فكم تأملتَ في الدنيا وزخرفها   وفي الذين ببطن الأرض قد رقدوا

فقلت:. «إنّ حياة المرء متعتها   زيف، وإن رؤى أضغاثنا فَنَدُ»

قد قلتها ودموع العين واكفة   وأنت من فرط خوف الله ترتعد

خشيتَ ربك إقداماً ومعتقداً   إن البطولة إقدامٌ ومعتقد

إن البطولة كبح النفس إن عرضت   لها المطامع أو أغرى بها الحسد

والناس أضحوا طغاةً من جبانتهمْ   فهل تراهم سوى دنياهمُ عبدوا

تسوقهم نزوات النفس سادرةً   في مهمه الغيِّ لا نهي ولا سدد

عبيد نفسٍ على أهوائها انطلقت   أغير وِرد الشقا نفس غوت ترد؟

أيعجزون عن الإصلاح في أمم؟   هم الذين إلى الأفلاك قد وفدوا

والباخلون إذا نودوا لمكرمةٍ   ويأكل الشرُّ ما صانوا وما اقتصدوا

أفكاً يشيعون أن العلم رائدهم   لولا المطامع ما طاروا وما جهدوا

مولاي موسى وجلّ الناس قد جبنوا

أمام أنفسهم حتى لقد فسدوا

أدمى فؤادك حزناً أن ترى ملأً

عن الهداية والأخلاق يبتعد

والكون بالخير لا بالشرّ نعمره والقلب يصلحه الإيمان لا الحقد

فكم وقفت خطيباً غير مقتصد ولست في دعوة الإصلاح تقتصد

ومن لسانك قول الحق منطلقٌ ومن جبينك نور الله يتقد

يا راحلاً وصفاء العيش يتبعه أنذرف الدمع؟ أم يودي بنا الكمد؟

لا تسكبي الدمع يا عيني على رجلٍ

له الملائك إذ وافاهم سجدوا

والطيّبات على الأفناد دانيةٌ ومن جداول خلد الله يبترد

وابكي علينا فنحن الخابطين عمىً

أولى بدمعك مِمَّن في الدجى هجدوا

نحن الذين غرقنا في توهمنا ومن نسيج مخازينا لنا بُرَد

ربّي حنانيك فالبيداء داجية ورائد الركب بين الركب مفتقد

تبنين ١٩٦٦

وكذلك رثاه السيد محمد حسن الأمين بقصيدة عنوانها:

مضيت ونمضي

إلى روح العلامة الشيخ موسى بري،
دمعة على الصلابة في الإيمان والعناد في سبيل العقيدة.

جاء فيها:

أتسمعني أم بيننا المنتهى سدُّ ... يشلّ نداء الروح أم أنّه اللحد

وهل ان روحاً بين جنبيك رفرفت ... غداً سوف يجثو عند ساحلها الخلد

أم ان ظلام الواقع المرّ تارة ... يصوّر وهماً كاذباً أنّه جدّ!

سأمشي وادري ان في الغيب هوة ... ستفجأني ظلماء من حيث لا تبدو

وأجهل ما ان كان غامض سرّها ... سنى يؤنس الهاوين أم هو مربدٌ

سأبلغ يوماً ما يعيش بخاطري ... سؤالاً ولا أدري متى يوماً الردّ

* * *

يعذّبني زهو الحياة وسحرها ... فما الرغد، ما الأحلام، ما العزُّ، ما المجد

وما الأمنيات البيض تهدر في دمي ... وما الحلم النشوان في خاطري يشدو

إذا كان هول الريح سوف يهزّها ... ويمتصّها عصف الخريف، فتنهدٌ

ووهم بأن الورد يبقى أريجه ... فلا شيء، يبقى بعد أن يذبل الورد

بلينا فرحنا نغزل الوهم واقعاً ... ونحسب شمعاً أصفراً أنّه الشهد

وطاب لنا في حمأة الحزن والأسى
بأنّ الأسى ماضٍ ويعقبه السعد
وان الذي نخشاه في الناس سنّة فما ميّز عن مولاه في حتفه العبد

* * *

مضيت ونمضي موكباً إثر موكب
ويسحق كبر الجزر مهما طغى المدُّ
تلوح لنا المأساة غولاً فنرتمي
ونجبن حتى أن نفرّ وان نعدو
ونسلمها ما لو تخيّر واهب
لآثر ان تختاره وهو معتدُّ
ونقصر ان نقوى على جبروتها
ونملك أنّا عبر نيرانها وقد

* * *

مضيتَ نقيّاً لم يدنّسك مطمع
وحلّق عنهم فيك إيمانك الصلد
وما اخترت هذا الرأي سلعة تاجر
يبيع تقاه حيثما يوجد الرفد
وقد كنت عفّ الكف خلواً من الغنى
فطاب له أن يرتدي بردك المجد
وغيرك باسم الدين يحشد حوله
جموعاً ليحكي: أنه الجهبذ الفرد
وانكأ ما في الجرح إن خداعهم
يسود، ويخفي ما تبطنه الجلد

نقدسهم حتى الألوهة، لا يد

تزيل قناع الوهم عنهم ولا نقد

ولا بدّ من يوم يهبُّ صباحه

فنعلم أن الدرب غير الذي مدّوا

* * *

ويتجه نحو ولده الشيخ عبد اللطيف بقوله:

عزاء رفيق الدرب لن يلوي الأسى

شباباً على هول العواصف يشتدُّ

بقلبي جرح قبل جرحك راعف

فأنت لقلبي في جراحته ندُّ

وحسبك والأقمار تخلف بعضها

بأنّك ظلٌّ منه في الحقل يمتد

ولن يوحش السمّار أنّ كؤوسهم

خلت وَدِنَانُ العطر ما غيّضت بعد

سنعبرها درباً كما شاءها الأسى

وهيهات يومي في مفازاتها رغد

ولكن خلف الدرب كأساً ننالها

إذا ما انتحى في خطونا العزم والجدُّ

محمد حسن الأمين

وقال الشاعر فخر الدين فخر الدين يرثي الأستاذ ابراهيم محمد ابراهيم دكروب الذي قضى إثر حادث سير:

يا شراع الحياة كيف تُراح؟ وعلى البحر لا تكل الرياحُ

عبثاً ننشد الحياة صفاءً كيف تصفو الحياةُ وهي كفاح؟

سُفُنٌ قبلنا على البحر تاهت ولها عند شطّه مستراح

فني العمر والشواطيء ظلّت حُلْمَ سَفْرٍ ومُنيةً لا تُتاح

أيهٰذا الإنسان، قد قلت علماً فتغنّى بما بلغتَ النجاح

تصنع الآلة ابتغاء رفاهٍ وبها تقصر الطوال الفِساح

أنت من شاءها فكانت جَموحاً ولها الأرض والفضاء مراح

هل وَقيتَ النفوس شرّ جماح حين يطغى على الزمام الجماح

شاء ربّي فما تأخر حَيْنٌ لا ولم يُتَّقَ القضاء المتاح

باعث الحرف في النفوس حياةً أيقظتها من الخمول فصاح

خير ما يرسم المعلّم حرفاً فيه هديٌ وفيه نهجٌ صراح

كم حضنت السطور تهدى خطاها وعلى فيك بسمةٌ وارتياح

من عناء النهار، من سهد الليل يعترى نفسك الطّموحَ انشراح

تسلخ النور من عيونك حتى من ثناياها يشرئبّ الصباح

وترى البيد جنّةً من ظلالٍ يزحم الآلَ بردُها والقراح

وبقومي يطير نحو علاهم وإلى ملعب النجوم جناح

يا شباباً تألّق العزم فيه أنت وهج من الحياة مُداح

ناهدٌ في مسالكٍ لا تبالي أن ترامت جبالها والبطاح

نيّرٌ تملأ الدروب ضياءً عجزت أن تنال منه الرياح

ما انطفت شعلة السراج ولكن حطّمَتْه حرارة وطِماح

كفكفي يا عيونُ فيض دموعٍ ما بكانا؟ ما الشجى؟ ما النواح؟
عجزت آه أن تقبّل فاه فانشدى الكبر والإبا يا جراح
فـفـم الـدهـر نـاطـقٌ بـجـلالٍ: «من جراح الشباب يبدو الصباح»

تبنين سنة ١٩٧٠

وقال يرثي القاضي محمد عبد الكريم دكروب وعقيلته اللذين قضيا بحادث سير أيضاً:

حين تهوي النجوم

حين تهوى النجوم قبل المغيبِ تسكب النور جمرةً في القلوبِ
يوم تخبو الشموس هل يتبقّى؟ في جبين السماء غير الشحوب؟
ودموعٍ تفيض في كل عينٍ حرقةً من مرارة ولهيب
يا عصيّاً نثرتُك اليوم دُرّاً لستَ أغلى من النجيع الخضيب
لستَ أغلى من الشباب نضيراً ينحني منه كلُّ عود رطيب
لستَ أغلى من دمع طفلٍ لطيمٍ قد جفاه حنان صدر رحيب
لستَ أغلى من حشرجات فؤادٍ دامع الخفق غارقٍ في النحيب
أيُّ خطبٍ، أمضُّ جرحاً لقلبٍ ولعينٍ من خطب فقد الحبيب
قدر يدفع البرية قسراً في دروبٍ من ظلمةٍ وغيوب
قدر يصنع المصير، وفيه نتردى: غبيُّنا كاللبيب
هل ترى حكمةَ اللبيب أفادت واتقى العقلُ عادياتِ الخطوب؟
كلنا في مسالك العمر رهنٌ بالمنايا، على طريقٍ غريب
رائدات النجوم نحو المعالي سابقات النجوم نحو الغروب

أيُّ قولٍ يرثيك؟ والقول أمسى   لعثمات على لسان الأديب

يا قريباً من كلّ قلبٍ وروحٍ   لهف نفسي على افتقاد القريب

لك خُلقٌ، من طيبه وثناه   يُخرج اللفظ عابقاً بالطيوب

كنت تسمو إلى معاليك فذّاً   تبلغ النجح باقتدارٍ عجيب

كلما نلت غايةً، نحو أخرى   نشطت فيك همّةٌ للوثوب

يا بعيد الآفاق، أيُّ سماء   لم تعطّرها من ثناك بطيب

كم بنيت النفوس بالعلم حيناً   فاستطال البناء رحب الجنوب

تبعث الحرف في النفوس حياةً   إنما الحرف باعث للشعوب

رب حرفٍ كالغيث يهمي رياضاً   وربيعاً في كل قفرٍ جديب

تنطق اللفظ حكمةً تتلظى   قبساً فاض من نداك السكوب

فأنرت العقول علماً وخُلقاً   وأشَعْتَ الضياء فوق الدروب

ووليت القضاء في الحكم حيناً   ان دعا العدل كنت خير مجيب

إن عدلا أقمت فيه رقيباً   من ضمير، أكرم به من رقيب

هتف الناس بين يأسٍ ودمعٍ   خلف نعشين في جلالٍ مهيب

يا شموساً تميل نحو غيابٍ   لا تغيبي، تمهلّي، لا تغيبي

فلكِ القلب والعيون ثواء   فأنزليها، أو فانزلي في القلوب

تبنين في ١٩/٨/١٩٧٣

وقال الشاعر فخر الدين فخر الدين يرثي الشاعر محمد يوسف مقلد:

عبق الأنسام

نمضي على سبلٍ قد خطَّها القدر ... لا العقل ينفعنا فيها ولا الحذرُ
نُقاد في غامض الأرجاء مُلتطمٍ ... ومركب العمر صعّاد ومنحدر
لا تلبث اللجّة الهوجاء تقذفه ... حتى يحطِّم أشلاءً وينتثر
يطفو الغثاء على موج الضياع وفي الـ
أعماق تُحتضنُ الأعلاق والدرر

امسى محمد والأنواء هائجة
ما انساب في ساعديه الضعف والخور
يختال في مركب الأحلام يدفعه ... ودون آماله الأفلاك والزهر
حتى انبرى لشراع المجد يحطمه ... ما ليس يهرب من أشراكه البشر
والحلم بعدُ نديٌ في مشارقه
وروضه الخصب فوّاح الشذا عطر
وشاعر يغتذي من قلبه ألم ... يبيت ينعم في أجفانه السهر
يعيش في موته، والسادرون غوى
موتى، وإن هُمُ لم تحضنهمُ الحفر
يصوغ من جرحه شعراً لأمّته ... لعلّ في الناس من يصغي ويعتبر
فالأرض أضيق عن إذكائها فِتَناً ... تأتي على الكون، لا تبقى ولا تذر
طاروا بأقمارهم والشرُّ رائدهم ... فلم يرحّب بهم نجم ولا قمر
هلاّ سألت ذوي الأبواق لاهثة ... لفرط مانطقوا زهواً وما افتخروا

- فـأيّ عـدلٍ إلـى الأجـواء قـد حـمـلـوا
وأيّ حـقٍّ عـلـى هـذا الـثـرى نـشـروا

وذي فلسطين ما زالت أكفُّهُمُ حمراءَ من دمها تهمي وتنهمر

يا راحلاً عن حياة كلّها كدر ما ثبّط العزم فيها أنّها كدر

درب الحياة الذي آثرت تسلكه لم يثنِ جهدَك عنه أنّه وعر

أن ضاق عنك مجال الرزق في بلدٍ
باتت تضمّك في أحضانها أخر

مهاجر لا يني، إيمانه أبداً أن الحياة كفاح والعطا ثمر

فجاد من نفسه السمحا وقد بذلت
ما ليس تبذله بيض ولا صفر

هذي مآثره الغراء ناطقة
هلاً سألتَ ولم ينطق بها الأثر

فكم تضوّع من «أنسامه»[1] عبق وكم تغنّى على أشعاره الوتر

من أرض لبنان، من أنجاد عاملةٍ
أضحى يُضمِّخُها طيب الشذا العطر

لم يحجب الموت عنا روح صاحبها
ولا محمد في الأجداث مُحتضر

ففي النفوس وفي الأجفان دامعة عمران: خُلِّد عمر، وانطوى عمر

١٩٦٥/٣/٢١

---

(١) الأنسام: ديوان الشاعر.

ولإبن عمنا السيد مصطفى محمد صالح . أبو علي . قصائد ومرثيات في العديد من أبناء تبنين وخاصة من أبناء عمومته وعمومتنا السادة من آل صالح ومكي وهاشم وأبو الحسن.

يقول السيد مصطفى في رثاء الشهيد البطل علي محمد حسين بري الذي قضى دفاعاً عن أرض جبل عامل المقدسة في خراج بلدة دبل المحررة:

أيّ صوت من رحاب الخلد جاء ... ملأ الأسماع صبحاً ومساء
ردّدته الحور في جنّاتها ... وأتى الوحي به للأنبياء
كل من دافع عن أوطانه ... باذلاً في ساحة الروع الدماء
لا تقولوا مات عن أحبابه ... عند ربّي لا يموت الشهداء

* * *

إنّ للأوطان بالأعناق «دَيْنْ» ... فَلْنَثُر إن غاصبٌ مدّ اليدين
وطن تحرسه أشباله ... كلّ شبرٍ راقبته ألف عين
فعليٌّ كان من أبطاله ... كعليّ يوم بدر وحنين
ثار للحق وضحّى نفسه ... هكذا في كربلا ضحّى الحسين

* * *

آل بريّ ان فقدتم بطلا ... وضربتم للتفاني مثلا
كلّ طفل إن نما بينكمو ... كان كالضرغام يرتاد العلا
كنتمو للدين أعلامٌ سمت ... ولدى الشعر لبيبا اخطلا
أرضكم للدين كانت مكة ... وليوم البذل صارت كربلا

* * *

لست أخشى إن غزا أرضي عِدى ... فرجال الصدر أعلام الهدى

أُمّـةٌ مـنـهـا وفـيـهـا بـطـل　　　كيف تخشى ان دعى داع الردى
كـل مـا غـاب شـهـيـد صـوتـه　　　هـزّ دنـيـانـا ومـا فـيـهـا الـصـدا
سـائـلِ الـتـاريـخ عـنّـا إنّـنـا　　　قـد دحـرنـا خـصـمـنـا بـالـشـهـدا

* * *

وخـتـامـاً يـا فـتـى ودّعـنـا　　　روحـك الـطـاهـر دومـا مـعـنـا
هـكـذا الـمـقـدام يـمـضـي رافـعـا　　　رأسـه بـيـن الـمـنـايـا و«الـمـنـا»
سـر إلـى جـنّـة ربـي بـاسـمـا　　　يـا شـهـيـد الـحـق وانـعـم بـالـسـنـا
أنـت فـي جـيـرة ربـي هـانـئـا　　　وعـلـى الأعـداء مُـنْـصَـبٌ أنـا

١٩٨٥/٨/٥

وقال يرثي المرحوم النقيب السيد محمد حسن صالح مكي:[(١)]

قـسـمـاً بـخـالـقـنـا الـذي أنـشـانـا　　　فـي آل هـاشـم مـا عـرفـت جـبـانـا
هـذا عـلـي والـحـسـيـن وصـحـبـه　　　قطعوا الحياة أشاوساً شجعانا
إيـه مـحـمّـد كـم وقـفـت مـواقـفـاً　　　تـأبـى بـغـيـر الـحـق أن تـزدانـا
في ساحة الميدان كنت غضنفراً　　　سل عنه إن ما تجهل الميدانا
أبـكـي عـلـيـك وكـنـت أنـبـل قـائـدٍ　　　يـا مـن رفـعـت إلـى الـسـمـاء لـوانـا
أبـكـي شـبـابـك يـا مـحـمّـد هـاتـفـاً　　　ودّعت أرضـك كـي تـنـيـر سـمـانـا
وقـف الـحـسـيـن عـلـى الـشـريـعـة ضـامـئـا
عـنـد الـفـراق مـحـاصـراً عـطـشـانـا

---

(١) لما كان آل صالح في السلطانية ينتسبون إلى السيد أحمد صالح الذي ترك تبنين غاضباً من علي بك الأسعد قاصداً بلدة السلطانية، ولما كان إسمه المدوّن على شاهد قبره الذي ما يزال ماثلاً للعيان: أحمد صالح مكي، لذلك يرى الشاعر أن آل صالح هم أصلاً من آل مكي وأن العائلتين فرع واحد.

بذل الحياة لكي يموت مكرّماً ... لم يرتضِ سبط الرسول هوانا

لهفي عليه على الرمال مجندلاً ... تركوا حفيد المصطفى عريانا

والآن جئت لكي تمثّل دوره ... لم تخش غائلة ولم «تتوانى»

لتنام كالسبط الشهيد ثلاثة ... فيها ارتدى ثوب الدما أكفانا

الله أكبر يا سلالة هاشم ... ما زلتمو عند الفدى إخوانا

كنت الحسين شجاعةً وشهامةً ... وبذلت نفسك كي يصان حمانا

وصفوك بالأسد الهصور شجاعة ... ومع الرفاق أخا يفيض حنانا

طلبوك للوطن الحبيب مجاهدا ... تحمي الشيوخ وتحرس الشبّانا

لبيّت يا أحلى الرجال إذا دعا ... داعي الجهاد لتفتدي الأوطانا

صنت الرفاق وكنت حيدر عندما ... أطلقت للمهر الجموح عنانا

لم تدّخر في التضحيات بكل ما ... وهب الإلٰه النفس والأبدانا

فالشرُّ لا يرضى سوى قمم العلى

والسفح يأوي اليوم والغربانا

قم يا محمد فالرفاق تجمّعوا ... ليشاهدوا زين الشباب عيانا

قم من سباتك يا نقيب لكي نرى ... من في سبيل المكرمات تفانى

إنهض فأنت الليث في وثباته ... شقّ الضريح ومزّق الأكفانا

هيهات يا زين الشباب فإنّنا ... نحيا، نموت، بأمر من سوّانا

لو كان دمع العين يرجع راحلا ... لقضيت عمري حاملاً أحزانا

فعليك منا يا فقيد تحية ... ودّعتنا لتجاور الرحمانا

فاذهب إلى دار النعيم مبجّلاً ... تلقى هنالك باسماً رضوانا

وترى الأئمة والرسول محمداً ... واحكي لأحمد ما دهى لبنانا

١٧/٢/١٩٨٤

وقال يرثي السيد محمود أبو الحسن:

ركب المنايا مضى بالسادة النُّجب
الله أكبر يا تبنين فانتحبي

إن غابت الشمس كي تُخفى كهولتنا
فليت شمس الشباب الغضّ لم تغب

تبنين هذا أوان التضحيات وقد
ضحّيت يوم الفدى بالأنجم الشهب

بالأمس مقدامنا المكيُّ ودّعنا
واليوم فارقنا محمود واحربي

ماذا نقول لأطفال الحبيب إذا
محمد صاح يا أماه أين أبي

ما موقف الأم والأطفال ترمقها
للّه من موقفٍ يدعو إلى العجب

يا باذلان فدى الأوطان نفسكما
كي لا يصاب حمى لبنان بالعطب

للّه يا أنبل الأبطال درّكما
كم من شهيد على حبّ الجهاد ربي

قم يا محمّد يا فخر البلاد ويا
معطي النموذج بالإقدام للعرب

صمّمت أنت ومحمود الحبيب على
إنقاذ لبناننا المنهار والخرب

يا أصدق الناس في يوم الجهاد لقد
حظيتما بيننا في أشرف النسب

أبوكما حيدر والأمّ فاطمة
والجدّ طه حبيب الله خير نبي
كفاكما من عظيم الفخر أنكما
ضحيّتما بالذي أغلى من الذهب
أورثتنا يا حسين السبط مكرمةً
نسير في الرأس لا نهوي إلى الذنب
يا خير من قدّم الأبناء كلّهم
لم يدّخر في زمان التضحيات صبي
قضيت تشكو الظما والماء تشربه
بَهْمُ الفلاة فليت الماء لم يطب
لم تُعط حقّك إعطاء الذليل وقد
علّمتنا أن من يرضى الهوان غبي
هذا النموذج من إنتاج فاطمة
وكان خصمه من حمّالة الحطب
تبنين يا منبت الأبطال أي فتىً
«فيكِ» تربّى ولم «يعلُ» على السحب
علوت فوق القرى في كل مفخرة
بالسيف بالعلم بالأشعار بالكتب
لا تغضبي إن مضى محمود وافتخرى
فإنّ ظنّك بالأبطال لم يخب
ما ضرّ من ودّع الدنيا وزينتها
إن كان بالموت في عطف الإله حُبي

صوت الشهيد يدوّي في مسامعنا

في جنّة الخلد إنّي بالغ أربي

والآن جئتك يا تبنين فاستمعي

شهادة الحق من أشعار مغترب

ركب المنايا مضى بالسادة النجب

الله أكبر يا تبنين فانتحبي

١٩٨٤/٣/٤

وقال يرثي أبا فاروق السيد مصطفى مكي:

هل على تبنين للأحزان دين ... كي يغيب البدر بعد الكوكبين

فأمام الله في أحكامه ... يقف الإنسان مكتوف اليدين

إنّ للسادة مجداً في الفدى ... ملأ الأرض وعمّ الخافقين

فإذا السادة ماتوا شُهدا ... إنّهم والله أحفاد الحسين

* * *

غاب من كان نقيباً بطلا ... كان كالضرغام يرتاد العلى

فإذا المكيّ في استشهاده ... في سبيل الحق اعطى مثلا

صاح محمود اقتلوني بعده ... هكذا أبطالنا أما فلا

وأنا جئت بشعري صائحاً ... غابت الأبطال لا حول ولا

* * *

يا أبا فاروق يا زين الصفات ... كنت لا ترضى هوانا وهنات

من أساءوا فيك يوما ظنّهم ... كنت تعطي من اساءوا حسنات

قل لمن مات جبانا ومضى ... عشت في الدنيا وفي القبر رفات

إنما الأبطال حين استشهدوا كان في استشهادهم «بدء» الحياة

* * *

عندما ناعيك بالأخبار جاء يا حبيباً ضاق بي رحب الفضاء

غبت عنّي يا بن عمي بغتةً فإذا الصبح بعيني كالمساء

هكذا نأتي ونمضي لا نرى خالداً في الناس حتى الأنبياء

كلنا يفنى ولا يبقى سوى فاطر الأرض بلطف والسماء

* * *

يا بني هاشم يا أهل الوفا منكم السبط وبالسبط كفا

من رسول الله طه جدّه ليس يرجو فوق هذا شَرَفا

* * *

دوحة طابت وأغصان نمت إنّهم آل النبي المصطفى

سائل الميدان عن أبطالهم كيف عاشوا ثم ماتوا شُرَفا

وختاما يا حبيباً قد مضى بجوار الله والله قضى

هذه الدنيا سرابٌ زائلٌ

سر إلى الرحمٰن «تَحْظَ» بالرضى

فهنيئاً بالذي جاورته خالق الأكوان عنّا عوضا

جدّك المختار في جنّته وعلى الباب عليّ المرتضى

١٤/١٠/١٩٨٤

وقال يرثي السيد فايز حسين صالح:

سائلوا تبنين عنّا ما دهاها أين منها حسنها أين صباها

أين من تبنيننا بهجتها حلوة يا اخوتي أين حلاها

أرضـهـا مـعـطـائـة خـيِّـرة وسـمـاهـا آه مـا أحـلـى سـمـاهـا

مـا الـذي غـيّـر مـن رونـقـهـا ما الذي عسكر يا صاحي صفاها

ولـمـاذا صـار مـرّاً حـلـوهـا ولماذا صبحها صار مساها

صـرخـت من حـزنـهـا قـلـعـتـهـا وتـداعـى الأسّ واهـتـز بـنـاهـا

لا تـلـم تـبـنـيـن يـا مـن جـئـتـهـا سـائـلا عـن بـلـدتـي أيـن بـهـاهـا

أنـهـا مـجـروحـة الـقـلـب وقـد دفنت بالأمس في القبر فتاها

ثـم صـاحـت آه مـن لـوعـتـهـا لـيـس آهٌ قـلـتـهـا بـل ألـف آهـا

فـائـز مـن عـصـبـة مـعـدنـهـا سـادة ابـنـائـهـا والـجـدّ طـه

يـا حـبـيـبـاً غـاب عـن أحـبـابـه وطريق الموت بالأمس مشاها

بـلّـغ الـمـخـتـار عـنـا إنـنـا أمّة من شـعـبـهـا صـار بـلاهـا

فـأخٌ يـعـتـزُّ فـي قـتـل أخ وفـتـاة ضـيّـعـت مـنـهـا أبـاهـا

ورجـال فـقـدت أمـجـادهـا باعها الخصم وبالرخص اشتراها

قـم أبـا الـسـبـطـين فـيـنـا هـاتـفـاً ارفعوا في ساحة الحرب جباها

واذكروا السبط على شط الفرا ضامئاً في معشر منها سقاها

وخـتـامـاً يـا فـقـيـداً قـد مـضـى روحـه فـاضـت إذ الـمـوت أتـاهـا

نم هنيئاً في حمى الرحمن فمن قـال كـونـي فـإذا الأرض دحـاهـا

وعـلـى روح الـنـبـي الـمـصـطـفـى صـلـوات تـبـلـغ الـنـفـس مـنـاهـا

١٩٩١/٦/١٦

تبنين والشاعر الحاج حسين قصفة

عندما تطرّقنا لشعر شعراء تبنين المهجريين علمنا أنهم كانوا يشكلون جمعية الاتحاد الوطني الأدبية مع شعراء بلدة اليهودية (السلطانية) وعلى رأسهم الشاعر الكبير الحاج حسين قصفة. وعندما عاد الحاج حسين إلى الوطن، تسلّم مركز المخترة في السلطانية، وهو مركز الوجهاء والأعيان. ـ ومن شروط الوجاهة ـ هو أن يفتح بيته للضيفان والأعوان، وكبار الموظفين والمثقفين والأدباء والزعماء، ولما كانت تبنين هي مركز الزعامة والوظيفة والوجاهة، لذلك جاء أغلب ديوان الشاعر يعبر عن علاقته ببلدته تبنين وبأهلها ومثقفيها وشعرائها وزعمائها ووجهائها. وقد وصل إلينا العديد من هذه القصائد التي نظمها الحاج حسين قصفة رداً على شعراء تبنين إن في تبنين أم في المهجر الاميركي. ولكن إثبات هذه القصائد التي قالها لأصدقائه الشعراء، لا يفي الحاج حسين حقّه الأدبي ولا يفي بقية أصدقائه وربعه من أبناء تبنين، ولما كانت تبنين والسلطانية هما بلدة واحدة في عدة أحياء، وأن أكثر من خمسة عشر عائلة من عائلات السلطانية هم امتداد للعائلة الواحدة في الحيين، حي تبنين وحي السلطاينة، كآل صالح وفخر الدين والسقا وقدوح ومسلماني وهزيمة ودكروب وحمزة ونجم وغطيمي ومقلد... لذلك، رأيت أنه من الواجب إثبات هذه القصائد في هذا الملحق.

عندما هجا الشيخ محمد نجيب مروة، الشيخ جميل بري بقصيدته الرائية، قال حسين قصفه مشطّراً قصيدة الشيخ محمد نجيب مروة في هجاء الشيخ جميل بري:

(عيون الشعر والآداب قرّي) ولا تبكي على نفثات غرٍّ
فإن تك نامت الشعراء دهراً (ففي تبنين قد ظهر المعرّي)
(الا من مبلغ عنّي جميلاً) بأني في لظى الهيجا مقرّي
أراقب من فجاج البيد شهماً (أديب العصر زينة آل برّي)
(أراك عليَّ قد جرّدت عضباً) حرير سباه من نصب وجرٍّ
جرؤت على عبيد الأسد طرّاً (عداك الفهم ما هذا التجرّي)
(أمثلك من يكون له ثباتٌ) غداة الأسد تنفر من ممرّي
وهل لك جولةٌ قد فزت فيها (مع الأبطال في كرٍّ وفرٍّ)
(تنحّ فلست للهيجاء أهلاً) ومن بين القنا المشبوك «مُرٍّ»
الا أدّ الخضوع لديّ حالاً (وسلّم واتّقِ في الحرب شرّي)
(فمثلك عند مشتبك العواليَ) يطير مخافةً بفسيح بَرٍّ
وإن رام البراز بيوم حرب (يقول له بني الهيجاء برّي)
(جميل الاسم كيف عليّ تسطو) بنظم لا يدنّس مسّ ضرّي
وكيف تروم تعجمني كعودٍ (وأنت مجرّبٌ حلوي ومُرّي)
(لماذا إن دعوك إلى نزال تقنعس في متالعةٍ كَهِرٍّ
ولم تأب النزال وفي سرورٍ (أجبت القوم في جهرٍ وسرّ)
(ألم تعلم بأني لست أخشى) لقاءك بل عليك الخلق «فرّي»
رويدك إنّني في النظم ألقى (جميع الناس من عبدٍ وحرّ)
(أظنّك إذ نظمت الشعر فينا) بفكر من معاني الدر غرّ)

وتُهْتَ تقول ذا الشعر ارتجالاً (حسبت بأنّه نثرات درٍّ)
(ورحت بهذا ممتلأ سرورا) كأنّك قد ظفرت بنيل برٍّ
فَسُدْتَ على خيار القوم عمداً (وقلت غلبته للّه دريّ)
(أفيدك أنه لما أتاني نظامك نال مرتبة «تعرّي»
ومذ طالعته وشبعت منه (شهدت بأنه شعر ....)
(فدع عنك الذكا وازرع وفلّح) بأرض القسم في حرٍّ وقرّ
وإن جاءت ليالي الصيف فاحصد (وبعد الحصد ادرس ثم ذَرّ)

وأرسل له أبو فهد نمر دكروب عدة أبيات من الشعر مستهلّها:

من التمحيض تختبر الشهامه ويبزغ «نور» من كبد الظلامه

فأجابه وذلك اثر عودته من أفريقيا:

عرفتك قبلما تصف الحمامه وقبل أوان عودك بالسلامه
بأنك فاضلٌ شهمٌ كريمٌ تدل على معانيك الشهامه
وأنّك في الوغى أسدٌ ونمرٌ له في كل معركة علامه
ألفت المكرمات وأنت طفل صغير السن محفوظ الكرامه
لك الرأي السديد فكن بعيداً عن الأهواء واجتنب الملامه
فمن يتبع هواه ولم يفكّر سيندم حين لا تجدى الندامه
فدُمْ في الحل في خير وعزٍّ وفي الترحال تصحبك السلامه

وعلم الشاعر حسين قصفة أن صديقه نمر دكروب ذهب إلى بيروت وصبغ شعره، بعد ان جاوز السبعين من عمره، فداعبه بهذه الأبيات:

سوادٌ ما أراه أم خضابٌ علاك وليس يستره حجاب
على فوديك أمسى مستقرّاً يلوح لنا كما لاح الغراب

عهدتك شائباً فغدوت «شبّاً» كأن الشيب يعقبه الشباب
رويدك لست تخدعنا بلونٍ جديدٍ سوف يعكسه انقلاب
إذا الحسناء عن كثبٍ رأته وعينك ما لها عنه اجتناب
خضابك خدعةٌ قبحت وليست تُغَرُّ بها العجوز ولا الكعاب
وليس الحيزبون على دهاها يغرّ بها الخضاب ولا الكعاب
فلا تغتر لأنك أنت نمر تذلّل من عزيمته الصعاب
ولا تفرح بهذا اللون تيهاً فحبل قواك حان له انجذاب
فمن يقدم على السبعين يظلع كما ظلعت بمشيّتها الركاب
تودّ الغانيات له بعاداً طويل العهد ليس له إياب
فنم فوق الفراش حليف سهد فلا هند تزور ولا رباب

وقال الحاج حسين قصفة أن الشيخ إبراهيم برّي استعار منه عدة كتب، وعلى عادة الأدباء، لم يُعِد الشيخ إبراهيم الكتب للحاج حسين قصفة، فكتب إليه هذه الأبيات يطلب منه استردادها:

أردد علي إذا أتاك كتابي وامنن برد إعارتي وجوابي
كتب أراها في المنام كأنّها معقودة الأطراف والأهداب
لم أنسها مهما حييت وإن مضت لفراقها حقبٌ من الأحقاب
يا فارس الجيش المظفّر في الوغى
ومعيد عهد أبي العلا والصابي
قد شاقني «العقد الفريد» وغيره ولأجل بعدهم فقدت صوابي

ولما حضر القاضي علي فران لزيارته في بلدته السلطانية، وكان على البيدر يذرّي، فذهب إلى البيت وجلس معه وبعد ذهابه أرسل له أبياتاً من الشعر ذكر منها:

(لقد مررت على دار مقفلةٍ ... وربّها في الهوا تعلو مذاريه)

فأجابه الحاج حسين قصفة قائلاً:

ويح الذي زارنا والدارُ خاليةٌ ... لم يلق إذ بان عنها من يناديه

أبعدما شامها داراً موصّدةً ... (وربها في الهوا تعلو مذاريه)

يمضي وينظم فينا غير محتشم ... مهما تجيء المعاني في قوافيه

يا صاحبيّ سلا الفران هل نفرت ... عن إلفه النفس أو عافت نواديه

من ليس يعذر خدناً في تصرّفه ... أما لكره به هيهات يخفيه

من لم يذق كأس من يهوى ويعشقها

فباطن الحب بادٍ ليس يخفيه

وبمناسبة فوز الأستاذ سعيد فواز في الانتخابات النيابية في ٢٠ حزيران ١٩٦٠ قال يهنئه:

يا دار بالشجر المخيّم ميدى ... وابدى سرورك في نجاح سعيد

هرعت لمغناك الورى وتهلّلت ... فرحاً كأن لقاءها في عيد

فالناس من فرط المسرّة زينّت ... باحاتها بمشاعل ووقود

فتميل في طرب لمن بلغ العلى ... وسما فأدرك غاية المقصود

ولمن أحاط بكل حكم رأيه ... ولكل رأي للبلاد سديد

ذاك السعيد أخو المكارم والندى ... ربّ الفصاحة والعلى والجود

يا مدركا بالفوز أبعد غاية ... عش في أمانٍ دائمٍ وسعود

قم للرئاسة واحتبي بعروشها ... وانعم بظلّ لوائها المعقود

وامرح على الطرق التي لسلوكها ... يهفو الورى من سائدٍ ومسود

رَدَّدْتُ من فرط المسرّة والهنا ... يا ليلة الفوز المبارك عودى

وكتب الحاج حسين قصفه:

وعدني الأستاذ أسعد فواز ولم يفِ بوعده فقلت مذكراً له:

أبا غسان أنت أعز شخص | وأفضل ما حوى لبنان عندي
وعدت وأنت أصدق من حذام | وأوفى ذمة لوفاء وعد

ونظم الحاج حسين هذه الأبيات إثر فشل الأستاذ سعيد فواز في انتخابات ٥ أيار ١٩٦٤.

أقسمت بالبيت والأستار والحجر | وفي محجيّ والمسعى ومعتمرى
لا حدت عنكم ولا «صوتي» لغيركم
أعطي كما زعم الواشون للضرر
وكلتم أمركم من ليس يحفظه | وليس يعلم كيف السعي للظفر
هم أبعدوا من إليكم كان مقترباً | وبدلّوا الصفو بالتشويش والكدر
فيا سعيد المعالي والعليّ معا
وأسعد الناس من بدو ومن حضر
أنتم «وجوهٌ» برغم الحاسدين وما
عنكم يحيد سوى المغرور بالبشر
فابقوا ودوموا لهذا الخلق ما سجعت
ورقاء تهتف في دوح من الشجر

وقال راثياً البطل حسن سلمان مقلد وذلك عام ١٩٤٤.

أتريد حكماً من زمانك يرتضى | هيهات يرجع ما قضاه وما مضى
ذهب الذي كانت به أيامنا | وضاءة كالشمس في كبد الفضا
ان ابن سلمان غداة وقوعه | قلب الفضائل والمكارم أمرضا
لما تعرّض للرحيل مودّعاً | وناى بجانبه الكريم وأعرضا
كم فتّ أعضاداً وأشجى مهجةً | وأثار أحزاناً وبيتاً قوّضا

ليت الحمام المستبيح دياره | قد مال عنه مذ أتاه وأغمضا
صعب أرى لأبي الحسين مدامعا | تهمي وفيض دموعه ما غُيِّضا
جمرات حزني يوم نعي فقيدكم | كانت عليَّ أحرّ من جمر الغضا
ففقدت فوق الأرض رمحاً لهذماً | ودفنت تحت الترب سيفاً منتضى

وقال يرثيه أيضاً وذلك في ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٤.

لو كان من بعد الفراق تلاقي | ما التاع قلب ملوّع بفراق
كلاّ ولا فاضت جفون قُرّحت | يوم النوى بالوابل الدفّاق
نبكي ونعلم ليس ينفعنا البكا | وبكاؤنا عبثاً بدون تلاق
عيشٌ تنكّده الهموم وإحنةٌ | للدهر آخذةٌ بكل خناق[1]
تباً لدهرٍ حادثات صروفه | تسقي المنون وما لها من واق
جنحت على «الحسن بن سلمانٍ» وما | تركت سوى الأشجان والإقلاق
لما دعته النائبات أجابها | طوع القياد كطاعة الميثاق
ترك الرفاق وكان من عاداته | ان لا يرى فرداً بغير رفاق
أرئيس أندية الشباب من ارتقى | درجات عزمك ما له من واقي[2]
ما كان بالحسبان جسمك ان أرى | في النعش محمولاً على الأعناق
ما كنت أحسب أن أراك موسّداً | تحت التراب بعيدة الأعماق
ما كان دمع الناس في فيضانه | الا كفيض جداول وسواقي
لهفي على زين الشباب ومن حوى | شيماً جمعن محاسن الأخلاق

---

(١) الإحنة: تجمع على إِحَن: الغضب والحقد.
(٢) كان حسن سلمان مقلد يترأس ناد للملاكمة في تبنين. وقد علّم غالبية شباب تبنين والسلطانية أصول هذه الرياضة.

هذا يجيء وذا يروح وكلّ من | حضر العزاء عليك في إطراق
يا راحلاً وجميل ذكرك باقياً | لو كنت مثل جميل ذكرك باقي
ما كنت حمّلت القلوب مصائباً | وبليتها بلواعج الأشواق
اذكيت في أحشاء آلك جمرةً | تزداد بالإضرام والإحراق
أَدَوِيهِ إنّ الصبر أجمل ما نرى | للمرء في يومي نوىً وفراق
ونفوذ هذا السهم فيكم لم يكن | إلا بأمر الواحد الخلاّق
فعلى ضريح فقيدكم ماء الحيا | يهمي عليه بوابل غيداق[1]

وقال أيضاً في رثائه وذلك في ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٤.

اي خطب لم يَرُعْنا إن نزل | ومصاب لم يكن فينا جَلَلْ
ونرى الموت إذا فاجأنا | يأخذ الليث من الغاب غِيَلْ[2]
يملأ الكاس على الكاس فما | تُشْرَبُ الويلات إلاّ في عجل
مثلما غال ابن سلمان الذي | كان في هام المعالي والقلل
قَمَرٌ قد كَمُلَت أيّامه | قبلما لاح إلى العين أفل
كان مقداماً على الهول إذا | شبّت الهيجاءُ واشتّد الوجل
فاز في كل مباراة لذا | مفردٌ في عصره اضحى مثل
أتراه حينما حان الأجل | يا «عليّ» هاله منه الوجل
هاتِ خبّرني بما صار فقد | شبّت النار بقلبي فاشتعل
لستُ أدري ما جرى في حَسَنٍ | بعدما غادر داراً واستقل
لست أدري ما جرى فيه وما | حينما كان لبيروت وصل

(١) الوابل الغيداق: الوابل الغدق: المطر الكبير أي يطلب الشاعر من الله أن يهمي عليه وابلاً من الرحمة الشبيهة بالمطر العميم.
(٢) أي يأخذ الموت الأسد غيلة واغتيالاً.

أترى الآسي اعتني في طبّه	بدواء وعليه هل حصل
لست أنسى حينما عادوا به	عجلاً والدمع كالغيث انهمل
وضعوه في سرير لم يكن	قبل ذاك اليوم فيه يحتمل

وقال في رثاء حسين خليل مقلد وكان من أصدقائه المخلصين:

معدن اللطف وينبوع الشرف	كيف في برد من الموت يُلف
أيَرَى عدلاً لديه بعدما	وقف القلب عليه ووجف
يترك الأهل حيارى وَلَهاً	ثم يأوي بين سكان الجَدَفْ[1]
ويح صرف الدهر كم من ناظرٍ	سكب الدمع عليه ورعف
إن أُكفكف عبرتي عن وجنتي	فأراها من شجوني لا تكف[2]
وإذا نهنهتها فاض لها	كعقيق من دم القلب نزف
يا فقيداً فاضلاً من أسرة	قلّدوها المجد قدماً والشرف
جاءك الغيث بوبلٍ هاطلٍ	من مجاري الدمع ان جَفَّ غرف

وقال في رثاء أحمد حمزة فواز وذلك في ١٧ تموز ١٩٦٠.

هل يعلم الدهر في من ظفره نشبا	ومن إليه بسيف البين قد وثبا
رماه بالسهم عمداً غَيْرَ مكترث	والدهر لا يخطيء الأرواح إن طلبا
لم يخطىء السهم لا بل حين أطلقه	أصاب بالرمي قلب الليث فانقلبا
لموته ضجّةٌ في الغرب مدويةٌ	دويّها هزّ قلب الشرق فاضطربا
خطبٌ تغلغل في «تبنين» فالتهبت	منه النفوس ولم «يطفأ» له لهبا
قد جاءها الخبر المشؤوم فانصدعت	احشاؤها وغرابٌ فوقها نعبا

(١) الجدف: القبر.

(٢) لا تكف: من وكف: دَمَعَ، أي لا تدمع.

بالأمس «فارس» أشجانا بفرقته | واليوم والده تحت الثرى احتجبا

قد كان في الغرب بدراً يستضاء به | يا ليته عن سماء الغرب ما غربا

قد كان في الغرب ليثاً لا تنازله | غلب الرجاء إذا ما ثار أو غضبا

قد كان يُكْبِرُهُ من ليس يعرفه | وكان أفصح من أملى ومن خطبا

وكان عوناً وذخراً للضعيف إذا | جارت عليه عوادي الدهر وانتكبا

وقال في رثاء أحمد هزيمة هزيمة وذلك في ٣٠ كانون الأول عام ١٩٤٩.

اسيلوا دمعكم فوق التراب | لنسقي في الثرى غصن الشباب

وجودوا بالمدامع واسكبوها | غزارا مثل مُنْهَلِّ السحاب

فقدناه كغصن البان غضّاً | يذلّل ما نروم من الصعاب

فلو فسح الزمان له مجالاً | لحلّق في العلى مثل العقاب

أتعلم يا رهيناً بالتراب | بما قاسى أبوك من العذاب

غيابك أحمدٌ كنّا رضينا | به لو حان وقتك للغياب

وكنّا قد رضينا منك بعداً | لو أن الدهر يسمح بالإياب

ولكن لا سبيل إلى الإياب | وحادى الموت يسرع في الذهاب

يفرّق شملنا من دون حرب | وينهشنا بلا ظفرٍ وناب

هو الموت الذي جلب الرزايا | يغير على الورى من كل باب

فطعم الصاب يمزجه بشهد | وطعم الشهد يمزجه بصاب(١)

فجعنا في غضارة كل غصن | طليق الوجه مقتبل الشباب

فلا زالت من الأنواء تهمي | على مثواه مثقلة السحاب

---

(١) الصاب: العلقم والمر.

وقال راثياً أحمد ابراهيم حراجلي وذلك في الولايات المتحدة الاميركية:

اسكب دموعك كالغمام الساكب ... حزناً على غصن الشباب الذاهب

واستنزف الدمع السخيّ فإنه ... دمع يُصعّد من فؤادٍ ذائب

او ما ترى الأحزان كيف تراكمت ... لوعاتها بحيازم وترائب

آه من الأيام كيف تبدّلت ... بعد الصفاء بمرّ عيش لازب

نزل الحمام بنا فغال من الحمى ... ليثاً يصول على الزمان الغالب

هو صاحب النفس الأبية والحجى ... والقدوة المثلى وعين الصاحب

بلغ المعالي وهو غير مجشّم ... والدهر يرمقه بعين الطالب

ما زال يمرح كل يوم مقدما ... إقدام ليث في مضيف اللاحب

حتى انثنى والعمر غضّ يانع ... ويلاه من وجه الزمان الشاحب

يا راحلاً عنّا ولست براحلٍ ... يا غائباً عنّا ولست بغائب

إنّي عهدتك كنت في أفق العلى ... بدراً بطلعته كنجم ثاقب

إنّي عهدتك كنت في ساح العلى ... طودا برفعته منيع الجانب

مالي أرى الأصحاب ضعضعها الأسى ... من ناحب يشكو الأسى أو نادب

والخلق من حمى الأوار مفجّعا ... والأرض تخفق من عويل الناحب

أرثيك يا زين الشباب لأنّها ... مرثاة مثلك من أتَمّ الواجبِ

ما قُلْتُ للأيّام بعدك بَدِّلي ... مُرَّ المذاقة لي بصفو مِشاربي

يا حاملا عبء المصاب إلى متى ... تلتاع بين نوازل ومصائب

إنّا لهذا قد خلقنا فالورى ... ما بين آت للحياة وذاهب

إن كان أحمد قد قضى فخليله ... عضد يعينك في الزمان الشائب

هذي هي الدنيا وهذا شأنها ... يومان، يوم صفا ويوم مصائب

وقال راثياً صديقه أحمد عثمان «ابو خطاب» وذلك في ٩ آذار ١٩٥٤ وقد توفاه الله في الولايات المتحدة الاميركية:

من هول خطبك يا أبا الخطاب ... في القلب طعن قنا ووخز حراب
لمّا نعاك الغرب كنّا لا نرى ... غير الأسى ومدامع الأحباب
لو كنت تعلم أو تشاهد ما بنا ... لوقفت منا موقف الإعجاب
ورأيتنا في الحيّ من مرّ الأسى ... وفراقكم لا نهتدي لصواب
لا تحسب الخطب المفجّع أنّه ... سهل على الاحباب والأصحاب
كنا نعدّ لقاء عودك مغنماً ... ونَوَدُّ ذكركم بكل كتاب
فاليوم أنباء الرسائل خبّرت ... ان لا لقاء على مدى الأحقاب
لو كان من أرداك يدفع بالوغى ... لنضت مواضيها أسود الغاب
واتوك كالعقبان هيّجها الوغى ... للقاء كل مجرّب محراب
لَكِنَّ من أرداك ليس لنا به ... غير التصبّر واحتمالِ مصاب
ولسوف يدركنا الردى ولو أنّه ... كان السريع إلى اكتساب ثواب
يعطي ويبذل وهو في إعطائه ... كالغيث يهمي عن متون سحاب
شُلّت يمين الدهر كيف قضت على ... شهم تلفّع حلة الآداب
ما كنت أحسب أن تكون موسّداً ... في الغرب تحت جنادل وتراب
اخليل أن الموت مكتوب على ... كل امرىء يا صاحبي بكتاب
«اخليل» من يبقى إليه خليله ... دوماً ولم يشرب مرار الصاب
«اخليل» من منّا يعيش إلى غد ... أفأنت تأمن أن تعيش لآب
خفّض عليك من المصاب فإنّما
الأمراض مصدرها من الأوصاب[1]

(١) الأوصاب: جمع وصب: الأوجاع.

وسقى ثرى قبر الفقيد من الحيا ماء الغمام بجيئة وذهاب

وقال يرثي ابن عمنا السيد حسن خليل صالح وذلك في ١٨ شباط ١٩٤٩.

رفعت أهل الحمى عند الصباحِ صوتها بين بكاء ونواحْ
يا له من فادح أشجى الورى ومصاب بالأسى عمَّ النواحْ
يوم داعي الموت نادى حسناً بصباح آه منه من صباحْ
هدم المجد الذي كان له وحمى العزّ له اليوم استباحْ
بنهار لم نكد في أفقه نبصر النور ولم تشرق براحْ
أظلم الكون وفشى أرضه عارضٌ جلجل بالسحب ولاحْ
فبكى الغيث عليه وهمى بدموعٍ عمّ أنحاء البطاحْ
عجباً كيف انقضت أيّامه وله سهم الردى كيف أتاحْ
راح محمولا على النعش فيا حسرة الأهل على ذاك الرواحْ
يا عزيزاً كنت للحي حمى وصديقاً يرتجى منك الصلاحْ
كيف غادرت الروابي نازحاً عن ديار العزّ واخترت البراحْ
ذاك عصرٌ قد تولّى وانقضى في سرورٍ بين جدٍّ ومزاحْ
فخليل قد غدا من بعدكم
مثل فرخ الطير مقصوص الجناحْ[1]
تارةً يبكي وطوراً يشتكي لا يلام الطفل إن صاح وناحْ
فقد الركن الذي كان به يرتجي ليل المعالي والنجاحْ
يا يتيماً هدّك الدهر به غصّةُ الظمآن بالماء القراحْ

(١) يعني به ولده السيد خليل حسن صالح. أبو نديم ..

لا تقل قد ضعت بل سوف ترى ... في اقتبال العمر أمجاد الصباحْ

وترى في ظلهم ما تبتغي ... من حنوّ وعلوّ وسماحْ

فهم الأهل لكم أين غدوا ... وعليكم بالندى غير شحاحْ

يا فقيداً نسأل الله له ... سكناً في ضمن جنات فساحْ

نم قرير العين ناءٍ واسترح ... كل من بان عن الدنيا استراحْ .

وقال في رثاء الصديق حسين رستم وذلك عام ١٩٤٨.

حمل البرق من الغرب البعيد ... رقعةً تنبىء عن خطبٍ شديدْ

تنشر الحزن علينا والأسى ... فكأنّا بين نارٍ وحصيدْ

خبر ذاع «بتبنين» وما ... نطق الناعون إلاّ عن أكيدْ

هزّ قطر الشام من أصدائه ... ورواسي عاملٍ كادت تميدْ

غاب عنا الصبر حتّى لم نجد ... احداً منّا على الرزء جديدْ

لفقيدٍ لم يَرُعْنَا مثله ... حادثُ الموت ولا عزّ فقيدْ

كان للعرب عماداً كُلّما ... مرّت الأحداث بل كان العميدْ

وله في كل ناء ان عرت ... مشكلات للورى، رأيٌ سديدْ

وله كفٌّ إذا استنديتها ... نفحت دون ارتياب من بعيدْ[1]

يا صديقاً كنت دوما ترتجى ... لأمور لم تكن عنها تحيدْ

هل علمت اليوم، قاما للعزا ... اليوسفان مثلما قام سعيدْ[2]

وعليٌّ قد بدت أحزانه ... كلّما مر به الوقت تزيد

ينزفون الدمع من آماقهم ... فدم القلب إلى الدمع مديد

يا بني رستم لا ريع لكم ... بعد هذا اليوم سربٌ بفقيد

---

(١) إذا استنديت الكفّ : إذا طلبت منها الندى والندى هو الكرم .

(٢) اليوسفان : يعني بهما كما أظن : الحاج يوسف هزيمة والسيد يوسف مصطفى صالح ، أما سعيد ، فربما يكون الأستاذ سيعد فواز أو الحاج سعيد آغا فواز .

وقال في رثاء امين درويش وحسن درويش أبناء مصطفى محمد درويش من بلدة تبنين توفاهما الله في أسبوع واحد، في الولايات المتحدة سنة ١٩٢٢:

أما من صاحبٍ خلٍّ غيورِ ... يساعدني على الدهر الغدور
بعزم تقصر العزمات عنه ... إذا ما ثار كالأسد الهصور
فينقذ من صروف الدهر صباً ... أسير تراكم الهمِّ الغزير
له قلب يواجه كلّ خطب ... يقلبّه على حرّ السعير
بنو الدنيا أما نحن بدهر ... نبيت على شفا جرف المسير
أنطمع في البقاء إلى زمان ... مليءٍ بالرفاهة والسرور
وفي أيدي الزمان لنا زمام ... يسير بنا إلى حفر القبور
لحاه الله كم باتت لظاه ... مغلغلة بأحشاء الصدور
بمذهلة العقول تعاورتنا ... نوائبه وقاصمة الظهور
فلم يترك بأربعناً «أمين» إلـ ... ـعزيز على العشيرة والعشير
ولا درويش يمنحنا صفاء ... إذا صعبت مداواة الأمور
سلوا «تبنين» هل باتت رباها ... ملفّعةً بأثواب الزفير
وهل ظهرت ظباء الحي حسرى ... من الأحزان ناشرة الشعور
كما ظهرت ضياغمها حيارى ... بأرض الغرب خافتة الزفير
بني تبنين صبراً فالمنايا ... مقدّرةٌ من الربِّ القدير
فصبراً يا كلا الأخوين إنا ... نجدّ إلى المنايا بالمسير
ولا زالت عيون المزن تهمي ... على الجدثين بالماء الطهور

وقال راثياً الحاج يوسف هزيمة أحد وجهاء تبنين وذلك في ١٩٥٨/١٢/١٠.

جمرات حزني بالفقيد الغالي كم أطفها بالمدمع المنهال

شبّت بأنحاء الضلوع فلم تدع لي موضعاً إلا بجمر صال

ليست دموع المقلتين وإن جرت تطفي أوار لهيبها المتوالي

حزني عليك أبا هزيمة دائم ما مر يوم في مرور ليال

ما قيل أنك غبت إلا وانثنت أسفاً تصفّق باليمين شمالي

أسفاً على أخلاقك الغرّ التي بالفضل كانت في محلٍّ عال

كنت الأنيس لكلّ من في قربكم كان الجليس وتحفة لمقال

كنت المجلّي بالفضائل والتقى وبحسن أخلاق وطيب فعال

نم في ثراك سقاك وكّاف الحيا يهمي عليك بعارض هطّال

وقال راثياً شاعر تبنين الأكبر علي حسن مقلد وكانت تربطه به صداقة متينة في المهجر والوطن وذلك في كانون الثاني عام ١٩٥٦.

لو كان يومي قبله لرثاني والتاع في أشجانه وبكاني

وأسال من فرط الكآبة والأسى ومن احتدام الحزن دمعاً قاني

ولكان يذكر مثلما أنا ذاكر زمناً له متواصلاً بزماني

أيام كان السّعدُ يشملنا معاً والعمر في عقد الحياة الثاني

اليوم قد ولى الزمان وأقبلت أيامنا بالهمّ والأحزان

نبكي ونعلم أننا فوق الثرى رهن البِلى وطوارق الحدثان

تمشي بنا الأيام نحو فنائنا وكأننا من صرفها بأمان

خطب أقام بمهجتي لا ينثني عنا ولو أُدرِجتُ في أكفاني

لا درَّ درّك يا زمان ولا استقت أكنافنا بالعارض الهتّان

ذهب الذي كنّا نروم بقاءه ... ما دامت الأفلاك في دوران

ذهب الذي كنّا بكل لطافة ... نستافه كالزهر في نيسان

ذهب الذي كانت به أيامنا ... تزهو بكل مسرّة وحنان

فاليوم ما لي بعده غير الأسى ... ومدامع تنهلّ بالفيضان

يا راقداً تحت التراب وحزنه ... يابى الرقاد بخاطري وجناني

قد سرت من دار الفناء إلى البقا ... صافي السريرة طاهر الأردان

أبكي صداقتك التي ما شوهت ... يوماً بسعي منافق وأناني

أبكي مزاياك الحميدة إنها ... مرج زها بالعطر والريحان

أبكيك للأدب الذي أحرزته ... بجدارة ولطافة ومعان

أبكيك للشرق الذي أحرزته ... بجدارة عن سائر الأقران

أبكي مآثرك الحسان وكلّها ... موسومة بالصدق والإيمان

انفقت عمرك بالصلاح موزّعاً ... بين التقى والبرّ والإحسان

من عاش مثلك بالصلاح ففعله ... عنه يترجم لا فمي ولساني

خطفتك كفّ الموت منا فانطوى ... عصر كعرف الورد والريحان

فبلغت غايتك التي تسعى لها ... إن المنيّة غاية الإنسان

وقال متفاخراً بالنائب محمد علي غطيمي في قصيدة ألقاها أمام رئيس حزب النهضة الزعيم أحمد بك الأسعد:

خطوات فضلك في الزمان الحاضر ... مما يدل على علا ومفاخر

ونهوض نهضتك التي استنبطتها ... في الكون قرّت كلّ طرف ناظر

انشأت في بيروت حزبا ساحة ... جمعت بغابك كلّ ليث سادر

طارت بها الأنباء حتّى أنّها ... بلغت إلى الفلك الرفيع الدائر

تتحدّث الدنيا باقصى شرقها ... نشرا لذكرك بالثناء العاطر

والغرب سوف يزّفُ حولك ناشراً عرف الثناء لكم رفيق الطائر
يا بن الأطايب من أكارم وائلٍ حيّا ربوعك كل غيثٍ ماطر
أنت الذي حزت الفخار ولم تدع فخراً على مرّ الدهور لفاخر
نلت المفاخر والمكارم والندى وذوي المعالي كابراً عن كابر
فانهض إلى المجد القديم ولا تقل قعد الزمانُ وما لنا من ناصر
كانت جدودك في عصورهم لهم هممٌ تصول على الزمان الجائر
شادوا صروح المجد قدماً واعتلوا قمم العلاء بكلّ طرفٍ ضامر
صعدوا على هام السماك وذلّلوا غُلْبَ الرقاب بكل عضب باتر
من كل مغوار إذا اقتحم الوغى لفّ الكتائب أولاً بالآخر
سل صفحة التاريخ تنبيء عنهم في كل معركة وجيش ظافر
لا تحسبنّ الدهر يُعْثِرُ من له تلك الجدود فما له من عاثر
سر للأمام فأنت أكرم من مشى فوق الصعيد وأنت أشرف آمر
كلّ البلاد على اختلاف ميولها من غائب طوعاً إليك وحاضر
هذي الرجال إلى جنابك قادها شوق بكلّ زمام حبّ ظاهر
تهوى زيارتكم وتألف حبّكم ويودّ مسكنكم مكان الناظر
جئناك يا ابن الأكرمين ولم يكن سبباً هناك سوى سؤال الخاطر
وأمامنا الشهم الذي أنواره بربوعنا تزهو كبدر زاهر
أعني مُحَمّدنا الغطيميّ الذي جمع الخصال بكل معنى باهر
تبدو لكم منه المحبّة والولا أبداً على مرّ الزمان العابر
فاهنأ بعيد الفطر لا زالت لك الأعياد تقدم بالهنا المتواتر

مداعبات الحاج حسين قصفة
مع شعراء تبنين

يجد المطّلع على ديوان الحاج حسين قصفة المخطوط، أن أكثر من نصفه يختص بأهله وأصدقائه من زعماء تبنين ورجالاتها وشعرائها. وقد فصلت قصائد المدح والرثاء وقد مرّ ذكرها، عن قصائد المباسطات الإخوانية، التي نظمها الشاعر، رداً على قصائد ومداعبات شعراء تبنين وهم:

علي حسن مقلد، محمد حسن مقلد، علي أمين رستم، علي فران، نمر دكروب، الشيخ يوسف بري والشيخ إبراهيم بري والشيخ محمد علي بري. وبالرغم من أن معظم هذه القصائد نظم القليل منها على وزن البحر الكامل وأغلبها جاء على وزن البحر الوافر (مفاعلتن مفاعلتن فعول)، وهو أبسط البحور نظماً فإننا نفاجأ بغزارة الألفاظ والمعاني وتعلّق الشعراء بالقديم منها، ونرى أن أغلبهم استعمل كلمات جاهلية لا نستطيع فهمها إلا بالعودة إلى المعاجم، مما يدل على عمق معرفتهم بأسرار اللغة العربية، رغم أنهم لم يتخرّجوا إلا من جامعة شيخ القرية ومدرسة (تحت السنديانة). ولست أول من تفاجأ بهذه الثلة من الشعراء، فقد تفاجأ بهم أيضاً الكاتب والأديب جورج ابراهيم صيدح عندما تعرّف على بعضهم في ديترويت ميشغن، فتحدّث عنهم، وأنصفهم وأنا إذا

أثبت هذه القصائد كافة في هذا الملحق ليس إلا لاستخراجها من رفوف المكتبات الخاصة وجعلها في متناول يد القراء من أبناء منطقة تبنين وجبل عامل، لإنها تلقي الضوء على العديد من العادات والتقاليد الإجتماعية في جبل عامل والمهجر، كما أنها تعطينا صورة حيّة وصادقة عن الشعر والشعراء في تبنين في النصف الأول من القرن العشرين.

كَتَبَ الحاج حسين قصفة فقال:

عندما كنت في الولايات المتحدة الأميركية أرسل لي الصديق الشاعر الشيخ محمد علي بري عدة أبيات مستهلها:

إن ينأى جسمي عن الأطلال من بلدي
لم ينأ قلبي عن الأحباب والسند

فأجبته على أبياته بهذه الأبيات وذلك عام ١٩٢٤م.

بان الحبيب ولم يعطف على أحد ... وخلف السقم والآلام في جسدي
وسبب الهجر لي وجداً يلحّ على ... جسم أبلته يد الأيام والبعد
ومهجة قد براها الشوق فانفطرت ... ومقلة قد بلاها البين بالسهد
كم عادني الدهر في أشجانه ومضى
يا ليته قد مضى بالهمِّ لم يعد
إن الذي في صميم القلب مسكنه ... ليثٌ من «البرّ» لا ظبي من الغيد(١)
الباعث النظم لي قد خلته درراً ... لما كسا السمع من ألفاظه الجدد

(١) ليث من «البر»: يعني به صديقه من آل بري الشاعر محمد علي بري.

يا باعث النظم لي في ضمن مالكة ... إن الألوكة لي برد على كبدي[1]

ما زلت أقرأ . نشواناً وفي عجبٍ ... سطورها ان أُحوِّل ناظري أعد

حتى انتهيت لقول أنت ذاكره ... ان الجآذر قد أباتك باللبد

ما ظبية الغرب يعمي القلب منظرها

مهما تقصّر ذيل المرط في صرد[2]

بل ظبية الشرق نِعْمَ الظبي إن سرحت

بين الربوع تعمّ الجسم بالبُرد

لو ابتغى الغيد والأيام تسعفني ... ما أبعدتني ذي الأيام عن بلدي

مِنيٍّ عليك سلام لا انتهاء له ... ما لاح نور ذكا بالسفح والنجد

ويقول الحاج حسين: أرسل لي الشاعر علي حسن مقلد قصيدة، وهو في الولايات المتحدة وذلك عام ١٩٢٦م، مطلعها:

«هل في الحسان ملاحة لظباء ... أم في الظباء ملاحة الحسناء

فأجبته بهذه القصيدة:

قف بالربوع «بعامل» فعنائي ... ممّن به أفتوا بسفك دمائي

أيحلّ في دين الغرام وشرعه ... قتلي، لغزلان النقا، وعنائي

خفروا عهودي بعد ما حفر الهوى ... لهم المحبة داخل الأحشاء

قالوا اللقاء يكون بين طويلع ... طال الوقوف ولم يفوا بلقائي

هم يمّموا أرض العراق بركبهم ... وأنا المدلّه بالشّآم ثوائي[3]

يا صاحبي ان التي يجفونها ... تركتك مضني بالهوى كضنائي

---

(١) المالكة والالوكة: الرسالة.

(٢) المرط: ذيل الثوب (الفشان).

(٣) ثوائي: من مثوى: أي موته ومدفنه الاخير.

أغزالة بين القباب مُميلَةٌ — بمعاطف كالبانة الغيداء

أم ظبية بالقفر ترتع بالربى

ترعى خوافي الربد في الوعساء[1]

أو من ظبى بين العقيق ولعلع — يمشين هوناً في ذرى العلياء

أو من ثعالب في متون قلائص

عرضت تلوح على ربى الزوراء[2]

أو كان من حلي الطلى يلمعن في — أجيادهن فذاك فيه شفائي

ان كنت غرّتك الغرانق إذ بدت — بربوع نجد أو ربى تيماء[3]

أو أنهم قطعوا العذيب ويمّموا — أرض الحجاز ومنتهى الجرعاء

فاقصد إلى سقط اللوى ودع الهوى

واخلع سقام الحب بالحصباء

واترك هوى عين المهى وذر النهى

ترعى السهى بالمقلة الخوصاء[4]

واعدل إلى مدح العلي الكوكب الد — ري ر بل كوكب لألاء

متقلّد للمجد ملتحف العلى — ضربت سرادقه على الجوزاء

فرع نمى بدر السما — غيث همى كالديمة الوطفاء[5]

ثبت الخطى وإذا امتطى أسد سطا — بحر العطا كالحاتميّ الطائي

---

(١) الربد: نوع من النبات،. الوعساء: رابية يعلوها العشب.

(٢) القلائص: جمع قلوص وهي الراحلة أو الدابة المعدّة للركوب . والزوراء: بغداد.

(٣) الغرانق: جمع غرنيق: نوع من الطيور الشبيهة بالبجع.

(٤) المقلة الخوصاء: العين السوداء في جسم أبيض.

(٥) الوطفاء: الكثيفة الشعر هنا يعني الديمة الكثيفة أي المطر الكثير.

ثبت الخطى وإذا امتطى أسد سطا بحر العطا كالحاتميّ الطائي

سامي الذرى نهر الفرا وإذا عرى خطبٌ سرى في الليلة الدهماء

يسقي العدى كأس الردى وإذا بدا

فقد ارتدى بالفخر أي رداء

غوث الملا بدر جلا فوق العلى ينفي القلى بالحلم والأعضاء

لولاه ما خطّ اليراع ولم أكن متكلّماً في لهجة الفصحاء

وإليك بكر قد تضوّع طيبها تهديك من بعد الثناء ثنائي

فاسلم ودم في الدهر ما سجعت على

أغصان رند البان ذات غناء

ونظم هذه الأبيات في الولايات المتحدة وأرسلها إلى الصديق الشاعر علي حسن مقلد معاتباً:

لساني في الصبيحة والمساء به أثني عليك وأنت نائي

وكم لك في فؤادي من وداد كعرف الطيب يعبق بالثناء

بعثت إليك من شوقي عتاباً فجئت اليوم تلهج في هجائي

تهدّدني كأني لست ليثاً أشد على النفوس من الفناء

إذا لم أترك الأبطال صرعى ووجه الأرض يشرق بالدماء

وأفتك في بني الهيجاء حتى الجبال الشم ترجف من ورائي

فلا أحييت لي عزاً ومجداً ولا أحببت في الدنيا بقائي

ولا جرّدت في كفي حساماً ولا أعليت للعليا لوائي

وأرسل له الشاعر الشيخ محمد علي بري عدّة أبيات مطلعها:

لعمرك ما خرجت عن الحدود ولا أرسلت بالنظم الشرود

فأجابه الشاعر بهذه الأبيات:

أتى بكتابكم ساعي البريد ... فكان نديّ كالدر النضيد

تَلَوْتُ سطوره حرفاً فحرفاً ... فخلت بأنه نظم «الوليد»[1]

حوى في صفتيحه كلّ معنى ... أتيه به فخاراً بالبرود

فكان مقاله لي مستهلاً ... (لعمرك ما خرجت عن الحدود)

عهدتك للوفا يا صاح صنواً ... وعهدي لا تحيد عن العهود

ذكرت وما ذكرت سوى أناس ... رموك وليس بالذكر الحميد

تحدّثت الأنام وكان منكم ... حديث للقريب وللبعيد

فرحت وجئت في نظمي إليكم ... وليس النظم من دأب الحقود

وهذه القصيدة نظمها وأرسلها إلى الصديق الشاعر علي أمين رستم وذلك في الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٢٢م:

لمن الطوالع من فجاج البيد ... يردين قلب الهائم المعمود

يَطْلَعْنَ من بين القباب غديّةَ ... مثل الكواكب في الليالي السود

لو مُزِّقت تلك القباب وقُوِّضت ... لأقمنها بسوالف وقدود

خِيَمٌ يرنِّحها الهوا فكأنّها ... مثلي تحنّ إلى القدود الميد

وأمام هاتيك الجآذر ظبية ... سبت الفؤاد بلحظها والجيد[2]

هيفاء ناصعة الأديم كأنها ... ظبي تلفت جيده بزرود[3]

حملت علي بباتر من لحظها ... وسطت علي بقدّها الأملود[4]

وتقول من يبغي اقتراب مفاتني ... أم من يحاول قطف ورد خدودي

---

(١) الوليد: الوليد بن يزيد وهو شاعر وجداني.

(٢) الجآذر: جمع جؤذر وهو الغزال.

(٣) الجيد: الخصر. زرود: بستان مشهور في الحجاز.

(٤) الأملود: الناعم والطري.

وعقارب الخد الأسيل تعلّمت
منع الصوادي عن وصال ورود[1]

نـاديتها عطفاً فديتك إنّ لي — وجد المشوّق وحسرة الموؤد
وبقيت مكتئب الفؤاد كأنني — في حزن يعقوب على المفقود
ما لي قنعت من الكرامة باسمها — ورهين من طلب العلى بقعود
فلأصعدنّ إلى العلاء بهمّة — كابن الأمين أخي العلى والجود[2]
اِلِفَ العلى والمكرمات فأصبحت — إرثاً له من طارف وتليد
تحكي مواهبه تدفق مزنه — وطفاء ذات بوارق ورعود
فإذا دعى للبذل كان بصيبه — وعطائه كالعارض الممدود[3]

يا ابن الأمين وهل سواك إذا سقى
قلبي بحور الشعر يورق عودي

قد آن أن ألقي إليك قصيدة — بالنظم تلجم فاه كلّ حسود
خذها على الطرف الجميل كأنّها — حسناء ذات غدائر وجعود
فاهنأ بها ما زال يطرب بالضحى — والعصر صوت البلبل الغرّيد

وقال في مداعبة الشيخ محمد علي بري ورفاقه وذلك في الولايات المتحدة عام١٩٢٥م:

قبحاً لشيخ في السفاهة مبتدي — ولكلّ خل في الخصومة معتدي
ولكلّ وغد للفضيلة ناكر — ولكلّ وغل بالنقيصة مرتدي[4]
ولكلّ من ورد القريض وما له — من راكب يهديه نهج المورد
إن الذي نظم الجواب وصاغه — بالقبح زاد على لئيم أوغد

---

(١) الصوادي: جمع صادي وهو العطشان.
(٢) ابن الأمين: يعني به الشاعر على أمين رستم.
(٣) الصيب: السحاب الممطر.
(٤) الوغل: الدنيء.

علك القريض بلؤمه فكأنّه بالخبث أُرضع قبل يوم المولد

دفعته من غير المخازي همة قعساء تلطم خشمه في ضرغد[1]

كالعير نوعره الذباب فلم يجد دفع الذباب بغير لطم الجلمد

أيهولني من لو لطمت جبينه لهوى يكب على صفيح الصيخد[2]

متململاً يبدي العويّ كأنّه كلب تململ في رماد الموقد

وعَلَيّ يستلّ الذميم مهنّداً قبحاً فأيُّ مهنّد كمهنّدي

هيهات تصفعني الأسود مهابة أو أنّها الأوباش تكعم مِقْوَدي

من أين كلب البر يقتحم الحمى والليث يمرح في فناء المرقد

أنا صخرة الوادي التي قد كسّرت رأس «الخطيب» وكل قرم أصيد

أنا حيّةٌ رقطاء تنفث سمّها بلهيب هاجرة وقرّ أبرد

أنا ديمة النظم التي مطرت على قلب الوهاد وشامخات القَرْدَدِ[3]

من قاصف الرعد المطبّق وجهها غيري ومن في الحرب يوقد موقدي

آليت إن حان الركوب لغارةٍ لا أعتلي غير الخطيب الأبلد[4]

أرمي به الغرض البعيد وإن كبا فالسوط يوسمه لفصل المعضد

---

(١) الضرغد: مقبرة.

(٢) الصيخد: الحار والساخن.

(٣) القَرْدَدُ: الجبل المرتفع.

(٤) الخطيب: يعني به الشاعر محمد علي بري.

إن الضفير وان يكن بركوبه   عار لأجدر من طميّ أجرد[1]

إن رام شرباً بعده أسقيته   بولاً يقرّح كل قلب محقد

المدعي بالنظم فذاً فطحلاً   والناظم العقد النفيس المنضد

يبدي الفصاحة وهو غرّ أبكم   لا يَفْهَمَنَّ لِقُعدد من قُعدد[2]

مهما تصعّد للمعالي لم أقل   قردٌ تعلّق في شمارخ ضرغد[3]

يابن الذي ابتدع الفخار وشاده   بالمجد رغماً عن أنوف الحسّد

ما ذي الجناية والذي سبّبته   أبهجوِ نظمي أم ببعد تودّدي

حتى ابتدرت إلى الهجاء ولم أكن   جانٍ لا صفح عن هجاء مهدّدي

وإنّي إن رجعت إلى الهجاء   لوردت دون الناس أقذر مورد

وأصول صولة ضيغم مُستبسِّل   ضار ترعرع في هضاب الفدفد

بضراغم صعدوا لأبراج العلى   وسموا على هام السهى والفرقد

«الضاربين» بكل أبيض باتر   و«الطاعنين» بكل أسمر أملد

من كل خوّاض القريض إذا هجا   قاد القوافي كالغمام المرعد

ان ابن رستم في ميادين الوغى   شكَّ المثقّف في أصمِّ الجلمد

لا ينثني عن حربكم ولو أنّكم   عدد الرمال فسيفه لم يغمد

متدفّقاً كالسيل سال عن الربى   بقريضه أو كالخضمِّ المزبد

أمّا العلي أبو حسين حسبه   نسبٌ إلى ليث المعارك مقلد

وشقيقه الأسد الهصور محمّدٌ   ورث الشجاعة أصيداً عن أصيد

فيقول وهو على جواد سابح   كربيعة ألقى الجميع بمفردي

---

(١) الضفير: ركوب البحر.

(٢) القُعْدُد: اللئيم.

(٣) الشمارخ: جمع شمروخ وهو العالي من الأشياء.

وإذا انطلقت لجمعهم لم أرتجع | وإذا رجعت برأس شيخ لا أدي
تلك الأسود فلي بسطوة بأسهم | بأس يثور لكل أغلب ملبد
إن تبتغوا صلح الأكف فعندنا | صلح الحسام وليس صلحاً باليد
إجمع رجالك ما استطعت فإننا | لا نختشى من أزعر أو أجرد
هذا وإن زدتم فسوف نزيدكم | لا يذخر الضرغام طعماً للغد

وأرسل الشيخ محمد علي بري رسالة إلى الحج حسين قصفة يعلمه بها نقض مودّته وصداقته فداعبه بهذه القصيدة وذلك في الولايات المتحدة عام ١٩٢٥:

وعد الوداد ولم يفِ بوعوده | ووفى بقبح نفوره وصدوده
فكأنّه بالوعد برق خلّبٌ | فضح الحيا ببروقه ورعوده
أو كالسراب يخاله الظمآن في الـ | بيداء ماءً غرّه لوروده
شيخ أشاطره الوداد فينزوي | عني بخبث فؤاده وحقوده
مالي أحاول مدحه وثناءه | وأراه ناقض مدحتي كعهوده
فلأعدلن عن المديح لذمه | وأصوغ أطواقاً تليق لجيده
تبّاً له من صاحب متملّق | يطوي الضغائن تحت طي بروده
يخفي رذائله ويزعم أنه | ذو عمّة بركوعه وسجوده[1]
أين الصلاة وأين أين فروضها | شغل الورى بقيامه وقعوده
أعلي يشّهر في الوقاحة صارماً | من نظمه ويصول في أملوده
ويلوك في مضغ اللسان سفاهة | وأنا الممزّق جلده في عوده
فلأنهضّن لأجّ نيران الوغى
نهض ابن غيل هيج وسط صعيده

---

(١) ذو عمة، أي من المشايخ وعلماء الدين.

ولأحملن من القريض مهنّداً يَرْفَضُّ قلب الصخر تحت حديده

تحتي من الجرد السلاهب أدهم كالريح بين هبوطه وصعوده

والهمة الشمّاء يعرفها فكم هزّته بين قيامه ورقوده

فبجانبي يوم النضال فوارس شوس من الآساد لا كأسوده

لا ينثنون عن الوغى ولو أنه الـ شيطان كان يمدّه بجنوده

فهم جبال الحرب صفحها الصفا والطور يدعم في صفا جلموده[1]

ان كان ذا بأس فيقتحم الوغى ويشبّ نار قريضه بوقوده

ولينشر الأعلام في ساح الوغى حتى نرى في الحرب خفق بنوده

وإذا تلاحمت المواكب لم أقل ادعوا صفائح لحده في بيده

فالمرء لا تكفي شهادته له فمحاسن الأفعال خير شهوده

وهذه قصيدة نظمها وأرسلها إلى صديقه الشاعر علي أمين رستم وذلك في الولايات المتحدة الأميركية عام١٩٢٢.

إليك تراءت من أعالي الأباطح مهاة أضلت عن قطيع السوانح

تصعّد في جرد وتهبط آخراً وتسنح في أجزاء تلك الصوامح[2]

تبارى من الظلمات كل نقانق تقلب ظلفاً كالهبوب اللوافح[3]

فطوراً تسامي الجيد تلعاً وتارة تعاطي أديم البيد نهب الطوالح[4]

(١) الصفا: جبل في الحجاز والطور جبل في صحراء سيناء.

(٢) الصوامح، الصمحاء الأرض الغليظة.

(٣) النقانق: الظلمات.

(٤) الطوالح، جمع الطلح وهو نوع من النبات.

إلى شبهها في الحي كم قادني الهوى
مطيعاً وكم حنّت إليها جوارحي

لعوب فما للرئم جيد كجيدها ولا شبهها في مقلة وملامح

يؤرّقني شوقي إليها لأنّها عقيلة حي من أجل الرواجح

أأكتم فيها الحب والحب واضح
وأخفي لهيب الوجد والدمع فاضحي

فكم كنت قبل البين لاه بدلّها بوصل عفاف النفس لا بالطوامح

وكم شاقني منها وان كنت نائياً معاهد تسقي بالغيوث الدلائح[1]

كما شاقني ذا اليوم ودّابن رستم وهيج ما ضمّت عليه جوانحي

فتى يمنح الراجين علماً وحكمة ونائل جود كالغيوث السوافح[2]

فلا غرو إن ما حاز سهماً من العلى
وادرك من نيل المنى غير كادح

إذا ما عرانا مشكل في صعابه ثناها برأي ناضج الوغى راجح

هو البدر إلا أنه غير آفل هو البحر إلا أنه غير مالح

هو الموئل المرجى لكل ملمّة إذا ما أناخ الدهر في وجه كالح

يرد جماح الدهر ان ثار مغضباً ويُبْدِي ابتساماً للخطوب الفوادح

له النصر معقود اللواء وذكره حديث الملا ما بين غاد ورائح

حفظت له عهداً وصنت وداده على رغم آناف «الكلاب النوابح»

فمن شاء فليسمع مقالة ناصح ومن شاء فليتبع مقالة كاشح

---

(١) الدلائح: جمع دلوح وهي كثيرة المطر.

(٢) السوافح: التي تسفح أو تذبح بلحظها.

وطلب منه الصديق الشاعر علي حسن مقلد تشطير هذين البيتين:

«قالت لجارتها يوماً تعيّرها ... قرنت زوجك ان القرن يفضحه

قالت أأتركه ويلي بلا قرن ... يلقاه زوجك ذو القرنين ينطحه»

فشطّرها الحاج حسين قصفة قائلاً:

«قالت لجارتها يوماً تعيّرها ... وقولها لم تكن للغير توضحه

أما خشيت من الرائي ملاحظة ... «قرنت زوجك إن القرن يفضحه»

«قالت أأتركه ويلي بلا قرن» ... حتى يروق لمن يهواه مسرحه

إني أخاف عليه إن خلوت به ... «يلقاه زوجك ذو القرنين ينطحه»

وقال مهنئاً الصديق حسين رستم بمناسبة عقد قرانه وذلك في الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٦٢:

قم واغتنم يا صاح كأس الراح ... واشرب ولا تعبأ بقول اللاحي

صهباء ما نظر امرؤ أقداحها ... إلا وحنّ لنهلة الأقداح

أو ما ترى الأطيار فوق غصونها ... من راقص طرباً ومن صداح

بزفاف شهم لم تشاهد مثله لـ ... الأبصار من أنس ومن أفراح

زفت إلى بيت الحسين خريدة ... وضّاحة كالكوكب الوضّاح[1]

من أسرةٍ محمودةٍ يعزى لها ... أكرم به من ضيغم ورداح[2]

قد شد ما طرب الفؤاد ولم أكن ... من قبل أطلق في السرور مراحي

حياكما رب العلى وحباكما ... عمراً كزهر بنفسج وأقاحي

ونظرتما ما عشتما بالغبطة ... الأبناء ترفل في ردا الإصلاح

---

(١) الخريدة: هي اللؤلؤة البكر التي ما تزال داخل الصدفة ولم يثقبها الصائغ.

(٢) الرداح: الضخم.

وليهنأ الأهلون والأحباب والـ أصحاب بالإمساء والإصباح

وأتته رسالة من الصديق الشاعر محمد علي بري، يعلمه بها أنّه قرّر العودة إلى الوطن. فقال بهذه المناسبة وذلك في الولايات المتحدة عام ١٩٢٢:

أأجول في نادي السرور وأطرب وأهيم في طلب الغناء وأرغب
وأميل للحسناء لعساء اللمى وأجدّ في لغة الغرام وألعب
وأريد بعدك يابن أحمد صاحباً هيهات غيرك صاحباً لا أطلب
إن كان جرّدني الفراق فإنّني في غير برد علاك لا أتجلبب
أرغمتني في البعد أنشد قائلاً شوقي إليك من القرابة أقرب
فلغير ودّك ما فتحت جوانحي وبغير نار جفاك لا أتلهّب
أنت الذي أوليتني الودّ الذي تتقلّب الدنيا ولا يتقلّب
أهواك يا نسل الكرام ومن تكن أنسابه «للبرّ» لا يتجنّب
فإلى ما دوماً بالرحيل تلومني وبيان لومي من ملامك أعجب
أوما علمت بأن ودّك لم يزل بين الجوانح ثابتاً لا يغرب
فلكم عدلت عن الأصاحب والمهى وإليك لا لحديثهم أتقرّب
وجلوت عن قلبي الغشاوة مثلما قد زيل عن وجه المياه الطحلب
وغدوت مصطحباً علاك ولم أكن مثل الذين تجنّبوا لا استصحبوا
يابن الكرام أما علمت بأنّ لي قلباً يأنُّ من الفراق وينحب
قد سرّني نبأ الرجوع إلى الحمى وأسرّ يا صاح سويعة تركب
إن كنت أزمعت الرحيل فلا تكن مثل الذين استصحبوا فتجنّبوا
لا تتركنَّ القلب بعدك صادياً هيهات ورد بعد لطفك يُشرب
فصفاء ليلي من نواك مكدّر وضياء يومي من بعادك غيهب

قد كلَّ عزمي من معاركة الهوى	إن الهوى يقوي عليّ فيغلب
وتثاقل الأشواق أثقلها جوى	همٌّ يجول على الفؤاد فيرسب
هل تحملنَّ لك الرياح تحيّةً	في غير عرف اللطف لا تتطلّب
ممزوجةً بشذى العبير يزجّها	شوق يشرّق تارة ويغرّب

وقال مداعباً الشاعر علي حسن مقلد، وذلك في الولايات المتحدة عام ١٩٢٣:

لغيرك لم يكن في الحرب باب	يلوذ به إذا اشتدّ الضراب
يطير مخافة ويجنّ رعباً	إذا ما صالت الجرد العراب
فلا تصلي الحروب بكل «دقّ»	ولا طعن لديك ولا ضراب[1]
ولا تستعمل البيض المواضي	لأنّك للفرار لك انجذاب
كأنّك في الكفاح تصدّ ألفاً	ومن وخز الأسنّة لا تهاب
أمن بين الأسود تهيج ليثاً	جريئاً كالقضاء له انصباب
وصِلاً منقع النابين سُمّاً	له بجوانب الأخصام ناب[2]
رويدك أنّ لي في الحرب غاباً	يحيط بسوره أُسْدٌ غِضاب
سيدوي في سما الآجال رعدي	بقصف بعده يهمي الرباب
وتعلم من يفوز إذا التقينا	بساحات الوغى وله الغلاب
ومن يمشي على شوك العوالي	متى انطرحت على الأرض الرقاب
ومن ترمي أنامله نبالاً	إذا فرغت من النبل الجعاب
الحجُم والمهنّد في يميني	تطير به السواعد والرقاب
سأنشرها على قلل الروابي	مجلجلة تغصّ بها الهضاب

(١) يعني بـ «الدقّ»: «دقّ» ورق اللعب.
(٢) الصلّ: ذكر الحية الذي لا نجاة من لسعته.

إذا سمعت صليل الحرب صاحت ... لغير العزّ ما خلق الشباب
عصائب كالأصابع في يميني ... مطاوعة تصيب ولا تصاب
إذا غابت عن الغاب الضواري ... فلا عجب إذا عوت الذئاب

وقال معاتباً صديقه الشاعر علي حسن مقلد:

إشرب الكأس وإملأ غيرها ... واحتسيها بين لهو وطرب
مع شقيق منكم شقّ الحشى ... بكلام كان يحكي ذا شطب
ورجــال رفــع الله لـهــم ... نسباً يعلو على كل نسب
فاشربوه قد وضعتم قدرنا ... ورفعتم بعض أجلاف العرب
وأطعتم قول من قد أفسدت ... وسعت بين ذويها بالحرب
ذات مكر لا تراعي في النوى ... حرمة الزوج ولا قرب النسب[1]
جارت النفس على ما تشتهي ... ومشت في عزّة فوق العطب
وترامت فالتجت عن غيّها ... بعد جهد لكؤود ذي صعب
لا تلمها ان طغت أو بدّلت ... رغبة الزوج وبانت عن كثب
فقديماً ألّبت من قبلها ... ذات فرخين نأتهم عن قرب
ان تعدّت فعلها أو جرّبت ... كم صحيح الجسم أعداه الجرب
فهي في أخلاقها مثل التي ... قرنت منذ قديم بالحطب

نظم الحاج حسين قصفة، هذه الأبيات في الولايات المتحدة، وأرسلها إلى الصديق الشاعر علي حسن مقلد معاتباً:

لساني في الصبيحة والمساء ... به أثني عليك وأنت نائي

---

(١) شبّه الشاعر كاس الخمرة بالزوجة الماكرة التي تفسد بين زوجها وبين كل أصحابه وهو تشبيه لم يسبقه عليه أي شاعر عربي في كل عصور الشعر.

وكم لك في فؤادي من وداد كعرف الطيب يعبق بالثناء
بعثت إليك من شوقي عتاباً فجئت اليوم تلهج في هجائي
تهدّدني كأني لست ليثاً أشدّ على النفوس من الفناء
إذا لم أترك الأبطال صرعى ووجه الأرض يشرق بالدماء
وأفتك في بني الهيجاء حتى الجبال الشمّ ترجف من ورائي
فلا أحييت لي عزّاً ومجداً ولا أحببت في الدنيا بقائي
ولا جرّدت في كفيّ حساماً ولا أعليت للجوزا لوائي

وقال للصديق الشاعر علي حسن مقلد، عندما وجده جالساً مع شخص يكرهه:

أتنفر يابن «مقلد» من جلوسي إزاء رضيع ألبان «التيوس»
وتشهر في لظى الهجران حرباً عليَّ أشدّ من «حرب البسوس»
تزجّ قريحة لو حرّكتها يد الأشواق دارت بالكؤوس
فكم منها احتسيت فأثملتني مذاقتها بطعم الخندريس[1]
رويدك يابن «مقلد» لم أبدّل نجوم السعد يوماً بالنحوس
وأنت من اصطفيت ولست أبغي سواك بيوم أنس أو عبوس

وقال متشوّقاً إلى أرض الوطن، وقد أرسلها إلى صديقه الشاعر علي حسن مقلد وذلك من الولايات المتحدة عام ١٩٢٣. وقد مدح آل مقلد فأفاض:

لمن الجآذر في «عريض الأقرع» متجزّئات في أعالي الأجزع[2]

---

(١) الخندريس: نوع من الخمرة.
(٢) عريض الأقرع: جبل بين تبنين والسلطانية ودير انطار وحاريص.

تختال في «أرض الجزائر» غدوة ... غرر الطلائع كالبدور الطلّع

فعلى التلال العاليات من الربى ... ترنو دلالاً بالنحور التلّع

مرّت على «عرض المنازل» «فالهوى»

فالشق فالبلان فالمترقّع

وتلفّعت بيفاع كلّ ثنيّة ... جرداء يكلؤها صعوب المطلع

والفاتكات الجائرات على الحشى ... يسبين في الهيجا قلوب الدرّع

من كلّ هيفاء القوام إذا رنت ... غضبى تريش سهامها من برقع

لم تسبني آرام رامة إنّما

الآرام من «عرض الهوى» «والأقرع»

حيي مهى «وادي الحريق» فلا مهى

«وادي العقيق» ولا جآذر لعلع

ان الظباء الطالعات يمسن في الـ

قامات أرشق من ظباء «طويلع»

يا صاحِ صُخْ لي على شكوى الهوى

أرتاح ان ركد الظلام بمضجعي[1]

لولا التي اختطفت بأكناف الحمى ... قلبي وما زالت رهينة مرجعي

ما بتّ من حرّ الغرام على لظى ... ظمآن أنقع غلّتي من أدمعي

وربوع أرض الشرق ما غادرتها

وقصدت أقصى الغرب لو قلبي معي

«مرج العقيق» سقاك منهمر الحيا ... ماء يصبّ من الغيوث الهمّع

---

(١) صخ من أصاخ يصيخ صخ أي: إسمع.

تغدو عليك الغاديات يزجّها زجّ المجلجل بالبروق اللمّع
تتساقط الأمطار فيك كأنما الأنواء تغرف من بحور الأدمع
وكسا الغمام سهول أرضك والربى
ضالاً يطرّز بالربيع الممرع
والماء من فيضانه فوق الثرى
«بغوردلٍ» يكسي التلال و«خروع»
وتفوح أزهار البقاع كأنّها ذكر الكريم ابن الكريم الأروع
الفاضل الشهم الذي بلغ العلى طفلاً ولم يدعُ الفخار لمدّع
والحاذق الفطن الأديب الكاتب الـ فذّ «العليّ» اللوذعي الألمعي
بحر القريض وان ترنّح ناثراً باللفظ فاق على خطيب مصقع
جمع الفصاحة والبلاغة والندى بخصائل في غيره لم تجمع
ولِقمَّةِ المجد المؤثّل في الذرى يرقى إذا جمعت عليه الهجّع
شبل ترعرع بين آساد الحمى وبغير بيت المجد لم يترعرع
تلقاه ليثاً في الخصومة باسماً لتزاحم الأعداء لم يتضعضع
ومتى وان، شاهدته متريّثاً يَعْزَمْ على أمر برأي يزمع
يهوى لأعباء الرياسة ناهضاً كالعود همّته ولمّا يطلع
ما رام يطلب في المعالي رتبة إلا وحلّق للمحلّ الأرفع
ومشى إلى المجد التليد كما مشت
آباؤه بأغرّ لحب مهيع[1]
تلك الجدود «المقلدية» فضلها في الدهر باق كالسنا المتشعشع
فإليك يابن الأكرمين قصيدة بالنظم تعرب عن فؤاد مولع

---

(١) المهيع اللحب: الساحة الواسعة.

تنسيك ما ببواطن الكتب التي جاءت تلفّق عن لسان الأصمعي
خذها «عليّ» قد أتتك كأنّها عذراء تعبق بالشذى المتضوّع
وسلمت ما هتفت على أعوادها ذات الجناح بسجعها المترجّع

جرت هذه المساجلة في الولايات المتحدة بين الحاج حسين قصفة وبين الشاعر علي حسن مقلد، وكان يتكلم بلسان السيد حسن فخر الدين وذلك عام ١٩٢٤ حيث قال الشاعر مقلد:

تهدّدني وأنت عتيق سيفي وكم شفّيت جسمك في يراعي
وتعلم أنني لو صلت يوماً أكسّر كلّ هام في ذراعي

فأجابه الحاج حسين بقوله:

تساجلني وتعلم في يراعي نقيع السم ينفث كالأفاعي
ستنهل جرعة بالرغم منه إذا ما رمت أن تبغي نزاعي

فأجابه علي حسن مقلد:

لو كنت تعلم سائلاً عن حالتي سقم أكابده بنأيِ صحابتي
ما كنت ترسل للذي بلغ السهى في نظمه أن يستعير إعانتي
ما أنت تجهله وذاك هو الذي أرسلت صحبته نصال عنايتي

فأجابه الحاج حسين:

ما لي إذا عزّت عليّ لبانتي غير المطهّم والحسام ولامتي[1]
ألقى بهم ريب المنون ولم أكن أرضى فظاظة من يريد إهانتي
أتريد تخويفي «بذاك هو الذي» وتقول صحبته نصال عنايتي
عما قليل حين يشتعل الوغى ستراه رغم الأنف تحت حمايتي

---

(١) اللامة: عدّة الحرب.

وأرسل الشاعر قصفة هذين البيتين إلى صديقه الشاعر علي أمين رستم، بعد أن ألمّ به مرض «ضيق النفس» الربو. فذهب إلى مدينة معروفة بهوائها العليل وذلك في المهجر ١٣ أيلول ١٩٢٣:

شفاك الله يابن أمين ممّا … تكابده بآلام الخناق
وجلّلكَ الإله شفاء داء … وطيّب سرّه ما دمت باق

فأجابه علي أمين رستم قائلاً:

نعم أني سقيت كؤوس داء … دهاقاً طعمها مرّ المذاق
وراشت سهمها الأقدار فينا … وصالت في مهنّدةٍ رقاق
فانستنا الديار وساكينها … كأنّا لا نهشّ إلى الرفاق
شكونا من أذى الآلام يوماً … ونشكو اليوم من ألم الفراق
ألا من مبلغ صحبي بأنّي … عروس قد زُففتُ بلا صداق
وبكر أسرعت في السير ليلاً … فلم تعقد لها حبك النطاق
وراحت في حلى الأشواق تعدو … فتسبق في السرى عوج النياق

فأجابه الحاج حسين قائلاً:

اتيت بزيّ آرام العراق … فهاجت صبوتي عند التلاقي(١)
رداح من نبات الفكر جاءت … بلا وعد فزاد بها اشتياقي(٢)
وماست في غلائلها فحاكت … ظعائن فوق أقتاب النياق
تذكّرني الرفاق وكيف كانت … ليالي الأنس ما بين الرفاق
حكت نفحاتها ريح الخزامى … وأرواح الكبا في الإنتشاق
هممت بأن أقبّل وجنتيها … فمانعني العفاف عن العناق

---

(١) آرم العراق: غزلان العراق.

(٢) الرداح: يعني بها القصيدة الممتلئة بالأفكار.

أقول وطاب قلبي من شذاها ... وراق لحسن بهجتها رواقي
ألا من حامل عنّي سلاماً ... يفاخر في الربى زهر السواقي
إلى شهم رقى أَوَجَ المعالي ... وفاق بفضله من كان راقي
فتىً يسقي القلوب بكلّ نادٍ ... بخمرة لفظه من غير ساق
أيا بحر القريض إليك نادت ... نوادي الأنس من ألم الفراق
أجب لندائها يا خير خدن ... وعنك إلى معانيك الدقاق
فلا زالت لك الأيام تأتي ... بأطيب عيشة ما عشت باق
وداء يعتريك بكلّ عام ... لخصمك ما لقيت وما تلاقي

ونظم الشاعر حسين قصفة هذه لقصيدة وأرسلها إلى الشاعر علي أمين رستم: بعد أن اشترى سيارة جديدة:

يا سائق المندفقة ... كالمزنة المنبعقه
تطوي الفيافي والفلا ... يا صاح طي الورقه
لا ذات روح لا ولم ... تؤخذ عليها الشفقه
ترنو بعين ملؤها ... نور ولكن نجقه
تبدي الهدير ودائماً ... وما درت ما الشقشقه
ما همها العبء وفي ... العبء نراها حذقه
في سيرها تسبق ... الأحقب والخرنقه[1]
سيارة في النهر ان ... عامت تفوق النقنقه[2]
حي الذي من وجهه ... شمس المعاني مشرقه
والدوحة العلياء من ... ماء نداه مورقه

---

(١) الخرنقه: ولد الأرنب والأحقب: الحمار الوحشي.

(٢) النقنقة: الضفدع.

ذاك العليّ والذي يمنى يديه أغدقه
يفترّ عن ماأتلق كالدرة المؤتلقه
ما سار في سابقة إلا وحاز السبقه
كم بت أشكو بعده عني وعيني أرقه
وكم بقلبي لوعة وفيه منه الحرقه
آه لأيام به كانت لدينا مونقه
نستاف من أنفاسه ما أطلقته الحبقه
قد هزّ عطفي قوله «وافق شن طبقه»

ونظم الشاعر حسين قصفة هذه القصيدة مستقبلاً بها صديقه محمد علي بري، لدى عودته من الوطن إلى الولايات المتحدة. وذلك عام ١٩٢٣:

أهلاً بمنبلج الصباح المشرق وبعود بدر بالسنا متألّق
قمر أضاء الغرب منه بعد ما مدّ الضياء على ربوع المشرق
لله من شهم أنار قلوبنا بضيائه وبهائه المتدفّق
نشر الضياء على المرابع بعد ما كانت بغيبته بليل مغسق
لولا ابن أحمد ما غدت بربوعنا شرب المسرّة كالحيا المترقرق
أبداً ولا طفح السرور ولا غدا في كل ناحية يفيض ويلتقي
قد آب في ثوب الفضيلة والعلى وبطيب ذكر كالأريج المعبق
أحييت يا من أبت، أثمار الهنا من بعد ما أغصانها لم تورق
وجلوت عن قلبي الكئيب غشاوة بسهام درٍّ من علومك فارشق
يا من طفحت على القلوب مسرّة ولغير أبراج العلى لم ترتق
فامنن ومدّ رواق أنسك بعد ما أودى التفرّق في هزيمك فارفق

لا زلت بحراً في العلوم على المدى تروي الورى من مغرب أو مشرق

وقال حسين قصفة مخمساً هذه القصيدة وهي من نظم الشاعر علي حسن مقلد وتعتبر من عيون الشعر العاملي:

هل أرض نجد من رباها تعبق شتّى الروائح أم بدوراً تشرق
ناديتها والقلب مني يخفق (يا أرض نجد هل أهيلك طلّقوا)
(تلك المسارح أم سوارح طلّق)

عزّت لديّ بمن تولّوا نظرة فتأجّجت بصميم قلبي جمرة
هل هزّهم يوم الترّحل حسرة (أم راعهم عند التفرّق ذعرةً)
فتجزّؤوا وبكلّ واد فرّقوا)

تهمي وتسكب عبرتي بمحاجري عند الطلول ولا أرى من عاذر
هل خيّموا بربى العقيق الناضر (أم شاقهم ماء العذيب وحاجر)
(أم دمعة الباكي التي تترقرق)

يا لوعةً بالقلب يوم تحمّلوا وعلى النوى برحيلهم قد عوّلوا
ناديت من حرق الجوى أتوسّل (يا مخبراً بالله كيف تحوّلوا)
(غرب اليماني أم عراقاً شرّقوا)

تركوا المناهل والمنازل ودّعوا ودعوا الفؤاد بلوعة يتصدّع
ما كان عهدي بالنوى ان يطمعوا (رحلوا بركبهم فقلبي قطّعوا)
(برحليهم ودموع عيني أحرقوا)

ما كنت أحسب أنّني أو أنّهم إن كان ليلي جنّني أو جنّهم
تغتالنا أيدي النوى لكنّهم (عسفوا الفلا بمطيّهم فكأنّهم)
(سلمات أثل بالغصون تعلّقوا)(١)

---

(١) سلمات أثل: أي حجارة من خشب شجر الأثل: الصلب مفرد سَلَمة.

مذ روّحوا آمال نفسي روّحت وسطت عليّ كآبة ما زحزحت

أزف الترّحل فالجفون تقرّحت

(وعلوا ظهور اليعملات فأصبحت)

(تجتاز ذيّاك القفار وتخرق)

عيسٌ سرت تحت الدجى أشرافها بتنوفة جرداء طال جفافها[1]

يا راحلين بربكم إنصافها (فلقد نفت من دفعكم اخفافها)

(فكأنّها بالشوق نار تحرق)

كيف التصبّر والدجى ان جنني تجتاحني دوّامة لا تنثني

ناديت والقلب الملوّع ملّني (رحماك يا ركب الأحبّة إنني)

(لي مهجة حرّى وقلب شيّق)

تخذته قرطاساً لواحظ عينهم قد علّ بين سعادهم وبثينهم

يا حادياً يطوي الربى بظعونهم (فارحم فؤاداً طائراً من بينهم)

(آناً يشيّعهم وآناً يسبق)

دمع تصعّد من فؤادي مذ عفا رسم الأحبّة والحبيب قد اختفى

لو أنّ عهد الحبّ يصدق بالوفا (ودّي صفا لو أنّ ودّهم صفا)

(لحبست دمعاً عن جفونٍ تَأْرَقُ)

بالله من ظلم النوى من منقذي والشوق يسرع جاهداً في مأخذي

قد كنت أطمع منهم بتلذّذ (لكنّهم أبلوا بصدّهم الذي)

(يرنو الفؤاد بلوعة لا يشفق)

أفدي القباب على العذيب ومن بها

بالحسن فاق على الكواكب والسهى[2]

---

(١) تنوفة: مفازة أو صحراء قاحلة.

(٢) العذيب: نبع ماء مشهور في الجاهلية.

عن حب ذاك الرئم قلبي ما لها (لله ما حوت القباب من المهى)

(وبمهجتي ذاك الغزال القرطقُ)[١]

ويروي الحاج حسين قصفة أن صديقه علي حسن مقلد تطوّع في سلك الجندية الأميركية للقاء الجيوش التركية فقال بهذه المناسبة وذلك عام ١٩١٧:

لولاك ما خطر القريض ببالي وجرى كبحر مَوْجُهُ متوالي

ولما توجّه نحو ربعك حافلاً بزواهر الإكبار والإجلال

فيك الفصاحة والبراعة جُمّعت ومحاسن الأخلاق والأعمال

كم بت أقطف من بهاك فرائداً ندرت وأجمع جوهراً ولآلي

أشتاق قربك يا عليُّ لأنّك الـ خلُّ الوفيُّ وسواك خلٌّ ما لي

إنّما مدحتك رقّ شعري وازدهى وبغير مدحك لا يروق مقالي

ضمّوك في سلك الجنود وأسرعوا لمواقف الأوجال والأهوال

يتهافتون إلى العراك وإنما يعدون للأقدار والآجال

فأمامهم بطل المعارك (أنور) بكفاحه ينقض كالرئبال[٢]

في جحفل لجب كأنّ له الفضا عند القتال يمدّه برجال

قرم نشا بين المدافع والظبى بظلال معركة وساح نزال

فلتزحف الدنيا بكلّ جنودها ولينصر الله الكريم هلالي[٣]

---

(١) القرطق: الغزال الجميل الجلد.

(٢) انور هو أول طيار تركي اشترك في القتال بطيارته في الحرب العالمية الاولى إلى جانب الالمان ضد الحلفاء.

(٣) يلاحظ القاريء انه بالرغم من اكتساب الشرقيين الجنسية الأميركية، تبقى مشاعرهم وقلوبهم مع الاتراك.

يا دهر قد حمّلتني فوق الذي — بي من نوى أهلي وبعد عيالي
غاب الصديق فكلّ حسن بعده — مستقبح الألوان والأشكال

ونظم الحاج حسين قصفة هذه القصيدة وأرسلها إلى الصديقين محمد حسن مقلد وشقيقه علي حسن مقلد وذلك في الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٢٣:

جز بالربوع وقف برأس المنزل — وعن المطهّم بعد لأي فانزل
وانظر بطرفك في جبال كلّما — لج المجلجل تكتسي ثوب الحلي
وتعطّرت أرجاؤها وتلوّنت — هضباتها من كل لون مكمل
تجد الظباء بها هناك سوانحاً — قرب البحيرة أو حيال المنهل
من كل واضحة الجبين إذا رنت — بلحاظها هزت فؤاد الجندل
تعمي القلوب وليس ترحم صبّها — ويلاه منها كم عذول قال لي
دع عنك تشبيب الحسان ولا تقل — قد هام قلبي بالعيون النجّل[1]
وانقع فؤادك بالمدامة انها — تحيي إذا امتزجت فؤاد المبتلي
هيهات يطمعني العذول لرشفها — وأنا الأبيُّ لكلّ وصم مخذل
لم يجدني شغفاً ولا طمعاً إلى — صهباء تلعب في دماغ الزمل[2]
شوقي إلى بدرين ضاء سناهما — في الكون رغماً عن أنوف العذّل
فمحمد طلاّع كل ثنيّة — لذرى أعالي المجد يتبعه علي
قد حلّقا للمكرمات بهمّة — شمّاء تنظر للكواكب من علِ
لله أي ملمّة لم تنكشف — بهما وأي دُجُنّة لم تنجلِ
فهما الملاذ إذا الزمان تراكمت — منه الهموم وحوّمت لم ترحل

(١) العيون النجّل: العيون الواسعة.
(٢) الزمل: الجبان والضعيف.

يتلافيان الأمر إما بالندى أو في يراع أو بحدِّ المنصل

في ثاقبي رأيين كلٌّ منهما أمضى وأقطع من غرار الفيصل

يتألّقان لكل خطب فادح بين الورى ولكل أمر معضلِ

كم مشكل يَزْوَرُّ عنه ذو النهى ويحار فيه كلّ فهم فطحل

يتهلّلان له ببشر واضح عن كل فادحة برأي موغل

قسماً بميم «محمد» وبعين من
أضحى «العليّ» على السماك الأعزل

لا أنثني عن مدحتي لعلاهما أبداً على مرّ الزمان المقبل

ونظم هذه الأبيات الشاعر علي حسين مقلد وأرسلها إلى السيد يوسف صالح طالباً منه عسلاً:

يا ساكن الحي هل في حيكم رجل
أضحى طبيباً يدواي من به علل

إنّي لمحتار من دهر يرافقني
كيف السبيل وقد ضاقت بِيَ الحِيَلُ

قد كان عندي نحل أنت تعلمه والدهر هذا عليهم جار فارتحلوا

لم يبق لي من رجاء في شفا مرض
إلا إذا كان في مشتاركم عسل

أأرسل الصحن أم أبقى على مضضٍ
وأنت من معشر جادوا وما بخلوا

وبتكليف من السيد يوسف صالح نظم الحاج حسين قصفة هذه الأبيات جواباً على قصيدة الشاعر علي حسن مقلد فقال:

من كان يُهدى «بجنطاس» له عسل
بالنظم سهل عليه المدح والغزل

ما دام ينظم شعراً يستفاد به | إلاّ وطوعاً لديه جاء يمتثل
ان الصنيعة ما لم تُجدِ صانعها | بالنفع مثل سحاب ما به بلل
لو كان يهدى لمن أهدى له عسلاً | مما يصيد لفاض الدبس والعسل

يا صائد الطير في الأحراج طيّرها
طاو تقصّر عن إدراكه المقل

لو لم يكن كهبوب الريح منطلقاً
ما طار في الجوّ (تِرْغَلٌ) ولا (حجل)

ذو خفّة كهبوب الريح يتبعها | هماهم لم يقم من خوفه الحجل

لو الطريدة في «الباطورة» اختبأت
بحد نابيه مخبوء لها الأجل

اذكر صديقك أو جاراً إليك فقد | جارت على جسمه الأسقام والعلل
مما أنلت ومما حبيت وما | منه تصيد رعاك الله يا رجل

ونظم الشاعر قصفة هذه الأبيات وأرسلها إلى الصديق الشاعر علي أمين رستم. وذلك في الولايات المتحدة عام ١٩٢٥:

نحن قوم نصطلي عند النزال | نار حرب وَقْدُها بعض الرجال
بسيوف ورماح كلّما | هاجت الأبطال واشتدّ النزال
تخطف الأرواح من أشباحها | كيفما ملنا يميناً أو شمال
شهرت في كفٍّ من في مهدهم | عُلِّموا حمل قصارٍ وطوال
فوق خيل ضمّر لو أطلقت | نحوكم يوماً لزافت كالرئال[1]
أو كعقبان عليها اسد | هاويات من شناخيب الجبال
وهم من فوقها لو صمّموا | إن يسيلوا الدمّ ملء البيد سال

---

(١) الرئال: جمع رأل: ولد النعامة زافت: تحرّكت.

لا يبالون بقوم همّهم ... ان يمنّوا النفس بالقول المحال

فاستعدّوا فالوغى مشبوبة ... برماح وسيوف ونبال

وبمناسبة العيد ارسل الشيخ محمد علي بدي الى الحاج حسين قصفة أبياتاً مطلعها:

(إليك أبا عليّ من خليلٍ ... هدية في رجاء للقبول

فاجابه على أبياته بهذه الأبيات:

هدايا أقبلت من كف برٍّ ... سخيّ الكف معدوم المثيل

له في كلّ مكرمة وفضلٍ ... يد قد عُوِّدت صنع الجميل

تراها في المكارم والعطايا ... تعمّ جميع أبناء السبيل

إذا المحتاج لاذ به نراه ... صنوف البذل يغدق كالسيول

هداياه كعرف الطيب فاحت ... باجواء المجالس والقبيل

فكانت فوق هذا العيد عيداً ... يغلّف بالهنا عرضي وطولي

لها لون الربيع إذا تجلّى ... بزخرفة وطعم السلسبيل

فدم بالعز ما غنّى هزار ... وأطربت الحمائم بالهديل

وأرسل له صديقه الشاعر علي أمين رستم من الولايات المتحدة قصيدة مطلعها:

(سلام على عهد تقضّى بقربكم ... على كل يوم للشباب سلام)

فقال مجاوباً وذلك في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٦:

ذهبت بصفو حياتنا الأيّام ... ومضت بناظر زهونا الأعوام

فمن الزمان وحادثات صروفه ... لا الكرُّ ينقذنا ولا الإحجام

أعمارنا مرّت سريعاً وانقضت ... فكأنّها بمرورها أحلام

فعلى الحياة وما مضى من عيشنا ... والذكريات وما تضمُّ سلام

بالأمس كنت أذا مررت بربعها لا العين تسبيني ولا الآرام

أمشي كما شاء الغرام ولم أقل هذا الحمام إلى النفوس حمام

كان الغراب مرفرفاً فوقي فلا يستاء من حوم عليه الهام

واليوم مذ رحل الشباب وخطّ في

رأسي المشيب وثغره بسّام

أرنو إليه بناظرين فلا أرى إلا ضياءٌ نوره إظلام

يا نازحاً عن داره منذ الصبا الدار يحيي ذكرها الإلمام

لا الدار دار في الربوع ولا الحمى

هو ما عهدت ولا الخيام خيام

كلُّ الديار تغيّرت وتبدّلت وقضت كما شاءت لها الأيّام

عُدْ للديار يَعُدْ إليها عِزُّها فالعود منك لأهلها إعظام

كنا سمعنا عن مجيئك مرّةً لكن علمنا أنّها أوهام

مالي أراك عن الحضور مؤخِّراً يحدو بك التأخير لا الإقدام

أقدم فلا تغتاظ منك «جميلة» إمّا بدوت هنا ولا الأعمام

أهدي السلام لكل آل عندكم

لا «البر» تتركهم ولا «الأعجام»[1]

قل للمهاجر أن يعود فقد شكت تلك الربوع نواه والآكام

وأرسل الشيخ محمد علي بري قصيدة لرفاقه في المهجر، وبعد قراءتها تبيّن له أنّها من نظم الشاعر اليمني عبد الرحيم البرعي والتي مطلعها:

---

(١) البر: آل بري. الأعجام: آل رستم وآل سلاماسي من أبناء تبنين وهم قدموا من شيراز في أواخر القرن التاسع عشر وسكنوا تبنين.

(وجد تحرّك في قلبي فما سكنا شوقاً لمن بنواحي مكّة سكنا

[عبد الرحيم البرعي]

وجد تحرّك في قلبي فما سكنا

شوقاً لمن بنواحي ميتشغن سكنا)

[محمد علي بري]

فقال مجاوباً وذلك عام ١٩٢٤:

نظم همى يخجل الأمطار والمزنا بالوزن في لملم لو زنته انوزنا

* * *

صافٍ نقيٌّ رقيقٌ كلُّهُ دُرَرٌ

في نسج دُرّ الفتى الكندي قد قرنا[١]

يعزى لعبدِ رحيمٍ كان في زمن

لو رام بالنظم حرباً حارب الزمنا

من يسكن الشام أو مصراً فلا عجبٌ

ان صاغ نظماً حكى من يسكن اليمنا

يا خائضاً في بحور النظم متّخذاً

خلس القوافي سرّاً والكنى علنا[٢]

دع عنك خوض البحور الطاميات وقف

في ساحل اليّم لا تستعمل السفنا

وارحل إلى البيد واطلق في مفاوزها

بزلاء تطوي وهاد الأرض والقننا[٣]

واقصد مرابع من في نظمهم ضمنوا

ان يخرسوا اللسن أو يستلكنوا الفطنا

---

(١) الفتى الكندي: الشاعر اليمني عبد الرحيم البرعي.

(٢) يتهم صديقه محمد علي بري باختلاس القوافي سراً وعلانية.

(٣) البزلاء: الناقة الشابة والمكتملة الصحة.

لعلّ ان تدرك الآمال عندهم

بسبك نظم يزيل الهمَّ والإحنا

منّي عليك سلام لا نفاد له

ما لاح في القبة الزرقاء ضوء سنا

وهذه القصيدة نظمها وأرسلها إلى الصديق محمد حسن مقلد وذلك في المهجر عام ١٩٢٢:

سرب من الأنس بعد اليأس عارضني

لما تسنّم متن الجرد والقنن

عارضته بعد ما قد بان معترضاً

بالعدو يمرح بين السهل والحزن

في جزع ذي أنمط تهدي لواحبه

لكل ذي قامة تنآد كاللدن[1]

كالبدر تضوي بطون القاع ان طلعت

في سدفة تحت أطباق من الدجن

لا ترفع الثوب عن آيات طلعتها

إلا لتسبي الحشى من داخل البدن

روحي لها حلوة الألفاظ كم جذبت

لها قلوباً لغير الحب لم تلن

ما خلت ان ذكاء الأفق توهبها

ذاك السناء الذي بالليل أرّقني

---

(١) الجزع: الطريق الذي لا شجر فيه.

(٢) الأسمط: الثوب الذي يوضع على هودج الناقة. لواحب: جمع لاحب: الطريق الواسعة. واللدن: اللينة والطرية.

قد خلت ان سناها عندما خطرت
أمامنا مستمَدٌّ من أبي حسن
ذاك الذي كساه الفخر بردته
وأصبح الفرد في أبناء ذا الزمن
في المهد كانت له أم العلا ظئراً
من غيرها ما تغذّى صالح اللبن[1]
علاً ونهلاً تغذّى درّها ونما
بين الأصالة والإيمان بالوطن
لا تستطيع الورى تحصى مناقبه
مهما يَخُضْ بثناهِ كلّ ذي فطن
أن يأتني النثر منه غير ذي عجب
إذ نثره مثل درّ النظم يعجبني
يا بن الذي كانت الأيام تخدمه
والدهر طوعاً لذاك المنظر الحسن
كيف المقام بحيّ لا تصاحبني
غير الهموم التي ان قمت تقعدني
كم صاحب لم أفكر بخس قيمته
يوماً ويجهد للتقليل من ثمني
بالأمس كان صديقاً لا يضعضعه
قول الوشاة وغير الصدق لم يبن
واليوم أصبح تبدو لي ضمائره
بالتّرهات التي تنهلُّ عن ضغن

---

(١) الظئر: المرضعة.

يـا قــاتــل الله ذي الأيــام كــم رفــعــت
جلفاً لـه سـمـعـة فـي الـدهـر كـالـعطن

لـولا خـصـالـك مـا حبّرت قـافـيـة | لكن شوقي بنظم الشعر أولعني
أهديك شوقاً مقيماً يابن منجبةٍ | في كل ما هيّجتني نفحة الوطن
واقرأ أخاك الذي ان عدت أرمقه | يوماً أشـيـر إلـى الـعـلـيـاء بـالـردن
سلام خِلٍّ مقيمٍ لا يحيد عن الإخـ | ـلاص مـا غنّت الـورقـا عـلـى فـنـن

ونظم هذه الأبيات وأرسلها إلى الصديق الشاعر علي أمين رستم في المهجر:

بـأي وسـيـلـة يـابـن الأمـيـن | نـشـدّ الـودّ فـي حـبـل مـتـيـن
أكـاد أطـيـر نـحـو حـمـاك شـوقـاً | فـهـل يـحـكـي حـنـيـنـكـم حنيني
تَـخَـذْتُـك صـاحـبـاً خـلاً وفـيّـاً | قـديـمـاً أصـطـفـيـك وتـصـطـفـيـني
وكـنـت أراك فـي الـمـاضـي أديـبـاً | تـزان بـحـلـيـة الـعـقـل الـرزيـن
ولـمـا أن كـبـرت وصـرت شـيـخـاً | وأوقـد سـمـعـكـم مـرّ الـسـنـيـن
يـقـول الـنـاس إنـكـم أُصـبـتـم | بـداء الـهـذي أو داء الـجـنـون
فـهـل صـدقـوا بـمـا زعـمـوا وقـالـوا | أم اتـخـذوه مـن رجـم الـظـنـون
فـجـاوبـنـي أبـا إسـفـنـديـار ولا | تـك فـي جـوابـك بـالـضـنـيـن
وإلاّ فـانـتـظـر مـنـي الـقـوافـي | تـصـبّ عـلـيـك كـالـمـاء الـهـتـون
بـلـفـظ تـرعـد الأبـدان مـنـه | وتـجـرض فـيـه بـالـمـاء المعين[1]

أرسل الشيخ محمد علي بري إلى السيد حسن فخر الدين عدة أبيات من الشعر، يطلب منه كتاب «سبب اليقين» وكان الكتاب

---

(١) جرض: غصّ.

عند الشاعر علي أمين رستم، فطلب منه السيد حسن فخر الدين نظم الجواب بلسانه إلى الشيخ محمد علي بري، فقال، وذلك في الولايات المتحدة عام ١٩٢١:

أيا من جئت تخبط بالعجين ... بنظم صيغ من وحل وطين
تطالبني بأن أوفي بوعد ... وكان الوعد في «سبب اليقين»
ألم تدر الكتاب غداً سريعاً ... يشق طريقه «لعلي أمين»
صديقٌ رستميٌّ فيه ذوق ... يفيض مآثراً في كل حين
فلست نظيره عندي عزيزاً ... ومن بالعير يبدل للهجين
ألا أخسأ لست لي خلاً وفيّاً ... ولست أروم مثلك يصطفيني

وكان الصديق محمد علي بري متزوّجاً من فتاة أميركية، وحصل بينهما مشاجرة أدّت إلى التفرّق، وعادت الزوجة إلى بيت والدها البعيد عن المدينة، فطلب مني الزوج أن أذهب معه ليعيدها بالقوة وقال لي: أنّ بصحبته ثلاثة رجال، فنصحته ان يعدل عن موقفه، وان يتّخذ طريقة السلم خيراً مما هو عازم عليه.

لكنه أصرّ على موقفه وذهب بصحبة ثلاثة رجال وقبض على زوجته، فاستغاثت بوالدها، فلبّى الوالد صراخها بإطلاق النار على الزوج، فأصاب الأصبع الوسطى من كفه، فأحاطت بهم فصيلة من رجال الأمن وقبض على الجميع. وقادوهم إلى السجن فوصف الحاج حسين قصفة هذه الحادثة بقوله:

دون أجتيازك للربوع النائيه ... يا شيخ «آل البر» نار حاميه
ورصاص أبطال يجندل كل من ... طرق المنازل في الليالي الداجيه
أحسبت ذات الغيل ظبية حاجر ... تنقاد طوعاً بالحبال الباليه

هيهات فاتك ما طلبت وصدّك الـ مـغـوار عن قبلات تلك الـغـانيه
لو لـم يكن أسـداً أبـوهـا لـم يقـم بشـعـاب هـاتيك الـجبال الـعـاليه
أنـسـيـت مـذ وافـى إلـيك كـأنّـه أسـدٌ تـحـدّر مـن أعـالـي الـرابـيه
ورآك خلف الباب تمشي خفيةً مشـي ابن آوى خلف عرق الداليه
ألقاك منطرحاً على وجه الثرى ودمـوع عينك كـالـغـمـامـة جـاريه
إنـي وإن لـم تـقـبـلـنَّ نـصـيـحـتـي من قبل ان تدهى بتلك الداهيه
لما سمعت بذي القضية لم أقل يا لـيتـهـا كـانـت علـيك الـقـاضـيه
ورجالك الأُسد الذين صحبتهم يتضاحكون عليك خلف الزاويه
ناديتـهـم فـأتـوا إليك وأنت في الـ بـيداء تـسـبـح بـالـدمـاء الـجـاريه
حـمـلـوك وانـهـزمـوا كـأنّ وراءهـم ألـفـيـن كـلُّـهـم أسـودٌ ضـاريه
لـم يشـعـروا إلا أحـاط بـجـمـعـهـم جُـنْـدٌ يـذلّـل كـلَّ نـفـس عـاتـيـه
لو غـيـر أبـنـاء الـحـكـومـة جـاءهـم وثـبـوا عـلـيـهـم كـالـذئـاب الـطـاويه
وتفرّقوا بين الشعاب وأضرموا حـربـاً تـقـرّ لـهـا عـيـون الـجـالـيه
لكنّ نـحـسك فوق سـعـدك راكب أمد الـزمـان عـلـى الـسـنـين الآتـيه

وحضر الأستاذ علي فران لزيارة الحاج حسين قصفة في بلدته السلطانية، وكان على البيدر «يذّري» فذهب إلى البيت وجلس معه، وبعد ذهابه أرسل له أبياتاً من الشعر ذكر منها:

(لـقـد مـررت عـلـى دار مـقـفّـلـة وربُّـهـا فـي الـهـوا تـعـلـو مذاريه)

فقال مجاوباً:

ويـح الـذي زارنـا والـدار خـالـيـة لـم يـلـق إذ بـان عـنـهـا من ينـاديه
أبـعـد مـا شـامـهـا داراً مُـوَصّـدةً (وربُّـهـا فـي الـهـوا تـعـلـو مـذاريه)
يمضي وينظم فينا غير محتشم مـهـمـا تـجـيء الـمـعـانـي فـي قـوافـيـه

يا صاحبي سلا «الفران» هل نفرت
عن إلفة النفس أو عافت نواديه

من ليس يعذر خِدنا في تصرّفه فالكرهُ بادٍ به هيهات يخفيه

من لم يذق كأس من يهوى ويعشقها
فباطن الحب باد ليس يخفيه

وكتب إلى الأستاذ علي فران:

ما بين حاصبيا وأرض الهرمل أضحى «العليّ» مجاوراً لم يرحلِ

تتنقّل الحكّام في لبناننا ونراه في الأعوام لم يتنقّلِ

قد كان في تبنين مسقط رأسه مهما يحقّق في القضايا يعدلِ

وقال معاتباً الشاعر علي أمين رستم ١٩٣٤:

إسمع فديتك لي وردّ جوابي ما قلته لك سابقاً بكتابي

واعطف على النائي ولو في رقعة تنبي عن الأحباب والأصحاب

وابعث قريضاً طالما قد صغته كالدرّ عقداً في أوان شبابي

لا تحسبنّ البعد يضعف مابيا فالودّ مهما بنت ملء أهابي

كم زفرة لي نحوكم أرسلتها ورسائل طويت بغير جوابي

وأصاحب لي في النوى جرّبتهم فوجدت ودّهم كلمع سراب

وتزوج الشيخ محمد علي بري من امرأة في بيروت، باتت عنده ليلة واحدة وفرّت، بعد أن قبضت خمسماية ليرة لبنانية. وعندما علم الحاج حسين قصفة بذلك، أرسل له هذه الأبيات وذلك في ٢٥ كانون الأول ١٩٦٠:

زواجك ليس عن رأي مصيب ولكن كان عن خطأ غريب

زواج باطل عندي وجهل بلا رأي البعيد أو القريب

أقامت ليلة معكم وبانت ... ولم تألف مصاحبة الأديب

عهدتك لا تميل إلى الغواني ... ولا تنحاز للحّظ المريب

وليس تقودك الحسناء طوعاً ... لأجل مرامها قود الجنيب(1)

ألم تعلم بأن العمر ولّى ... وأن الموت آت عن قريب

ألم يردعك عن ذا الجهل سنٌّ ... ولا ما حُمَّ فودك من مشيب

تدّرع بالعفاف وكن تقيّاً ... ليحمدك القريب مع الغريب

فأجابه محمد علي بري بهذه الأبيات:

(زواجي كان من أمر الحبيب ... هو الخلاّق علاّم الغيوب

حملتُ مصائب الأيام فرداً ... أفتّشُ في النساء على نصيبي

فلا الأبصار تعمى في لقاها ... ولكنّ العماوة للقلوب

تبّدت للأديب هناك خودٌ ... كفاها الله من مال الأديب(2)

وخادعة تردّت في رداء ... عليها الخزي من ثوب قشيب

فأظهرت القناعة بعد فقر ... يمضّ القلب في جمر اللهيب

* * *

لذلك يا «حسين» أردت وصلاً ... إليها قبل «مَشْوَرَةِ» القريب

ولم أعلم بأن المكر فيها ... يحدّثني وينفق من جيوبي

و «صاحبها» أتى بيتي فقالت ... أخي هذا وما قالت حبيبي

وآثار الخيانة قد تبّدت ... عليها بعد إظهار العيوب

فحالاً قد جريت لها طلاقاً ... يسير بها على أشقى الدروب

---

(1) الجنيب: الحصان.

(2) الخود: الفتاة الجميلة.

وان خسارتي ليست بشيء
وليس المهر من أمر عجيب

فأجابه الحاج حسين بهذه الأبيات:

مشت تختال بالثوب القشيب
لتغري الناس بالمرأى العجيب

ترنّح قامة وتهزّ عطفاً
جميل الشكل كالغصن الرطيب

إذا اصطدمت بأي فتى غريب
أرته ملامح الشيء الغريب

فتاة ما لها خُلُق ودين
مُعَوَّدَةٌ على «نهب الجيوب»

لحاها الله لم تظفر يداها
ضحىً في غير أثواب الخطيب

هو الشيخ الأديب ومذ رأته
كثير البذل محلول القضيب

أصابت قلبه لما رمته
بنبل زُلٍّ عن طرف مريب

سقته الكأس صرفاً أم سقاها
فمالا والهوى ملء القلوب

فأضحى لم يفق حتى أرته
«نجوم الظهر» لا نجم الغروب

ترامت نحوه وعليه مالت
كما مال الحبيب على الحبيب

ودبّت من مخازيها عليه
فؤاداً لا يملّ من الدبيب

ولمّا أن رأته «أميركياً»
وان الأصل «لبنان الجنوب»

وإن جيوبه ملئت «فلوساً»
فحامت حول هاتيك الجيوب

بخمسة مائة ظفرت وفرّت
ولكن لم تعد عند الغروب

أظنّك ذبت خوفاً من فتاها
فأجريت الطلاق على الدروب

وكنت تودّ لو بقيت ودامت
ولو نسبت لعباد الصليب

فأجابه محمد علي بري بهذه الأبيات:

وقوفي بين أطلال الحبيب
لأطفي القلب من حرٍّ اللهيب

هناك أرى من الفتيات شمساً
تضيء بوجهها عند الغروب

يزيّن جيدها عقد لطيف
نفيس جاء من در وروب

فأجابه الحاج حسين:

وقوفك في «بجامات» «وروب» على جنب الشوارع والدروب

وقوف تشمئزّ النفس منه وفيه تحار أفكار اللبيب

وقوف في صبيحة كلّ يوم بلا عمل إلى وقت الغروب

تلاحظ أي غانية تراءت ولو كانت على سفح الكثيب

فلم ينفعك قولك أن هذا الو قوف هناك من أجل الحليب

كأنّك في مكانك ليث غاب تحفّز للإنقضاض أو الوثوب

ولم ترجع عن الوقفات يوماً وعن تلوين شعرك بالخضيب

إلى ان وقعت على فتاة تقول أذا بدت للشمس غيبي

لها من لحظها الفتّان سيف أحدُّ وأمضى من سيف الحروب

فقلت لها أقدمي نحوي فإنّي أودّ بأن تكوني من نصيبي

وقلت لها وقولك كان صدقاً خذي يا منيتي ما في جيوبي

وزوري غرفتي تجدين فيها لزوم البيت من كلّ الحبوب

وفيها كلّ ما تهواه نفسي وما تبغين من مسك وطيب

فأعجبها كلامك ثم جاءت تفوق بجريها «ريح الجنوب»

سباك جمالها فدفعت حالاً لها الأموال من كفّ رحيب

فما جلست بقربك واستقرّت ودار عليك فوها بالضريب

أتى شابٌ فقالت ان هذا أخي قد جاء خلفي يا حبيبي

وأنت بحيث معتادٌ لهذا عرفت المكر بالغرِّ الغريب

دفعت دراهماً أصبحت منها نظيف الكفّ مقطوع النصيب

وعنك حكاية بالغرب شاعت وراحت بين شبّان وشيب

أتذكر ذات يوم حين قامت عليك قيامة الرجل المهيب

منحتك محض نصحي لم توافق | على قولي وثرت إلى الحروب
ونالك من عنادك ما أصاب الـ | أصابع وانهزمت على الدورب

وزار الشيخ محمد علي بري بلدة السلطانية، ولم يحضر لزيارة الحاج حسين، فأرسل له هذه الأبيات وذلك عام ١٩٦٤:

يا صديقي كيف أنكرت الصديق | ورفيقي كيف ضيّعت الرفيق
كنت إن جئت إلى الحيّ أرى | وجهك الوضّاح والزيّ الأنيق
قد أتيت الحيّ ما لي لا أرى | ذلك المنطق والشعر الرقيق
إن تقل ضعت طريقي عجباً | من دليل ضلّ عن نهج الطريق
أتركت السهل للقرب لنا | وسلكت الوعر في «وادي الحريق»
قد عهدناك وفيّاً مخلصاً | حافظ العهد إلى كلّ صديق

وعندما ترك الحاج حسين وظيفة «المخترة»، بعد أن خدمها سبعةً وعشرين عاماً أرسل له الشيخ محمد علي بري قصيدة مطلعها:

(بعدت عن الوظيفة والعناءِ | ورحت تعوم في بحر الصفاء)

فأجابه الحاج حسين بهذه الأبيات وذلك عام ١٩٦٤:

قريضك دلّ عن حسن الوفاء | وعن صدق المحبّة والولاء
تهنّئني وعادتك التهاني | تمازجها بأنواع الثناء
تركت وظيفة لا خير فيها | فمنها لم أجد غير العناء
وظائف لا يفاد المرء منها | فليس لها سوى «واو وراء»
أراها يا أخي مهما تسامت | تحطّ إلى الحضيض من العلاء
قضيت بعبئها عشرين عاماً | وسبعاً من قضاء في قضاء
ولما ان رأوا مني امتناعاً | وإني لا أميل إلى البقاء
تزاحمت الوفود عليَّ حتى | ظننت البيت ينبع من ورائي

وكـلّ طـالـب مـنـي رضـاء وأيـن مـن الـقـبـول إلـى رشـائـي

أبـت لـي هِـمَّـتـي إلا ابـتـعـاداً ودلـوي لا يـكـون مـع الـدلاء

أَرَحْـتُ الـيـوم أفـكـاري وكـانـت مـن الأشـغـال دومـاً فـي عـنـاء

وكـلّ لـواعـج الأعـصـاب بـانـت وبـان لـبـعـدهـا عـنّـي شـقـائـي

رضـيـت بـأن أعـيـش رهـيـن بـيـتـي وأعـمـالـي إلـى رب الـسـمـاء

تبنين والشاعر إبراهيم قصفة

وكما كانت تبنين وشعراؤها وزعماؤها محطة لغالبية شعراء جبل عامل في هذه الحقبة، كذلك كانت محطة مهمّة من محطات الشاعر الراحل إبراهيم قصفة.

وقد استطعت الحصول على بعض القصائد التي قالها إبراهيم قصفة مدحاً أو رثاءً أو مباسطات إخوانية في زعماء ووجهاء تبنين وشعرائها، من الململمات التي استطاع الأديب الأستاذ فخر الدين فخر الدين أن يجمعها ويحفظها له وللشعراء السادة حسن فخر الدين، حسين فخر الدين ويوسف فخر الدين.

قال الشاعر إبراهيم قصفة يمدح النائب محمد علي غطيمي[1]:

حيٍّ الشهامة حيٍّ صاحب الكرم ... حيٍّ البسالة حيٍّ صاحب الهمم

حي الممثل في تبنين عصبته ... والناشر الحق بالإصلاح بالعلم

هو البطل الذي بالخلق متضح ... للخلق مبتهج في ثغر مبتسم

هو النور قد يهدي الأنام به ... من ضلَّ منه فمن ذاك الطريق عمي

(١) شعراء بلدة السلطانية. مخطوط ـ جمع فخر الدين فخر الدين، ص١٧.

هو الغطيمي من طابت سريرته بالقلب مرتبط في سورة الشيم
شهم كريم فلن نحصي فضائله مهما نعدّد بالقرطاس والقلم
لا أرهب القوم إني قد أفضّله على الطائي بين الجود والكرم
لم يلبس الثوب إلا ملؤه شرف لا ينجز الوعد إلا الصدق بالكلم

* * *

حيٍّ الشبيبة بل حي بني الكرم لا بل وحيٍّ أهيل الفضل والشيم
حيّاهم الله مذ جاؤوا على عجل حتى يشق طريق السير للأمم
جاؤوا بحزم وعين الله تألكهم من كل سوء وعين الله لم تنم
متلفعين بفضل والوقار بهم للخلق أشهر من نار على علم
متباعدين عن الفحشاء ليس لهم عار بغير يد المعروف والذمم
متَغطّرفين أسود زانهم بطل أبو حسين أليف الجود والكرم
لا ينزحون فعن أمر يفوه به ولا يستردّون منه لفظة الكلم
سلوا التاريخ عن صرح يلوذ به يبقى مع الدهر بنياناً من القدم
هي القلعة الشمّاء إن تختال شاهقة فوق اعتلاء بأركان من الضخم
تلقى بها الطير بالأوكار صادحة طول الليالي مع الأيام بالنغم
والناس تقصدها من كل ناحية حتى يروها على بذخ من القمم

وقال إبراهيم قصفي يرثي علي طالب فواز[1]:

الحزن بعدك يا علي طويل والدمع في طول الزمان يسيل
والنار تضرم بالفؤاد من الأسى وتمضّ للأحشاء وهي شعول

---

(١) شعراء بلدة السلطانية. م.س. ص٢٠.

لم يطفها الدمع الغزير من البكا
أبداً ولم يُروَ البكاء خليل

أرثيك يا ذاك الصديق وإنني
مهما رثيتك بالكثير قليل

أرثيك يا ذاك الخليل وأنه
لا غرو أن يرثي الخليل خليل

أرثيك والزفرات من طي الحشا
تعلو وأما حرْها فدخيل

أرثيك بل أرثي شهامتك التي
فيك استقرت بالتراب نزول

أأبا حسين كيف فارقت الحمى
ورحلت عنا والفراق طويل

وتركت أنجالاً لبعدك ولّهاً
يبكون فقدك والفقيد كفيل

وتحنّ أمّهم إليك بلوعةٍ
تبكي كما الخنساء وهي ثكول

وترف فوقك بالنهيد جوانح
وتُشق من عظم المصاب ذيول

وأنين من بيروت يرديك الردى
والخلق حولك يعتريه ذهول

حلّيت في تبنين جاءك أهلها
وأتت شباب بالبكاء كهول

متسارعين إلى لقائك صفوة
يعلو بك الترحيب والتأهيل

أأبا حسين كنت من أهل الدنا
ولأنت حرٌّ ما إليك مثيل

ما بال طوّحها الزمان فأذبلت
بيد الردي ما هكذا المأمول

ناداك ربك مذ أجبت لدعوةٍ
طوعاً وحثّك للمنون رحيل

وسرت إلى الرحمن روحك في العلى
تمشي وضوء الفرقدين دليل

دفنوك في جدث بثوب طاهر
وحنوطك الكافور والتغسيل

رفقاً بني فواز ان مصابكم
عم الجميع وحمله لثقيل

فتذّرعوا بالصبر بعد فقيدكم
فالصبر في الحمل الثقيل جميل

وسقى ضريحاً قد يضمّك رهمة
مزن السحاب من الإله هطول

وقال أيضاً يرثي أبا خطاب أحمد عثمان:

أبأيِّ نظم محزن أرثيكا ... وبأي دمع هاطل أبكيكا

يا من نأيت عن الإخوان مرتحلاً ... فوق البحار وأرض الغرب تدعوكا

عجّلت نفسك للمنون برجعة ... فالغرب من كأس الردى يسقيكا

قد زرت تبنين أحياناً على عجل ... يعتزّ لو دمت فيها العمر أهلوكا[1]

ما مر عام وفيك الشمل مجتمع ... حتى تبدّد والأيام تطويكا

ما دمت دمنا على خير وفي رغد ... حتى أتتنا جميع الكتب تنعيكا

يا أحمد فالدار بعدك أقفرت ... وتفطّرت أكباد كلّ ذويكا

يا أحمد قد كنت تسمح للندى ... وتجود للعافين في ناديكا

بل كنت أحمد ذو مجد وذو كرم ... فيض النوائل يهمي من أياديكا

قد كنت توطىء بالإصلاح مبتسماً ... بين الخلائق والقصّاد تأتيكا

وعليك تزهو بالوقار ملامح ... بين المجالس والنُّهى تزهيكا

ومصيبة عظمت لدينا انها ... بكر إذا ما الدهر قد يقصيكا

فارقت دنيانا وما لك شامت ... ومؤنّب فيها يؤنّب فيكا

ما كنا نعلم منك آخر لفظة ... عند النزاع بها فينطق فوكا

هلاّ ذكرتنَّ الأحبة عندما ... أزمعت تظعن أم ذكرت «أخوكا»

حملوك والأعلام تخفق بالأسى ... وتلوح للتوديع مذ حملوكا

دفنوك في أرض بعيد غورها ... يا ليتهم في الغرب ما دفنوكا

---

(١) هذا البيت من البحر البسيط وغيره من الكامل.

وقال يهجو علي رستم (أبو حسين) بسبب دين لم يستطع سداده مستعيناً بابن عمه الشاعر الحاج حسين قصفة:

لا العضو ينفعني ولا المختار

لا العضو ينفعني ولا المختار — حتى ولا يحمي حقوقي الجار
ساهجّ من بلد به كثر الأذى — وغداً ستنبو بالحسين الدار
ساكون مديوناً وليس يعينني — أحد فأين الأهل والأنصار
أين المغيث فلست أسمع صوته — إلا ابن رستم صوته هدّار
في كل يوم قد يجيء مطالباً — بديونه فكأنّه مغوار
فنفضت جيبي لم أجد قرشاً به — وتخاصم الجزدان والدينار
يا أهل المروءة والشهامة والوفا — فأنا بجيرتكم أنا محتار
سابيع قنبازي إذا لم تدفعوا — عني الديون وتنقضي الأوطار
لكن إذا ما بعته سينالكم — من كل هجو هاطل مدرار
أأكون مديوناً وفي أحيائكم — عضو يقنعس لقّةً تنذار
ولماذا أنت غدوت مختاراً لنا — تنهي وتامر أيها المختار

وقال السيد حسين فخر الدين يمدح محمد علي غطيمي[1]:

محمد يا بن المصطفى أنت مفزعي — وغيثي إذا ما ضنت السحب بالقطر
جُزيت من الإحسان خيراً ونعمةً — وذكراً أثيلاً عبق الكون بالنشر
فأنت زعيم الفضل وابن زعيمها — وكشاف داجي ظلمة الغي والوزر

(١) شعراء بلدة السلطانية، مخطوط، م.س، مكتبة السيد فخر الدين فخر الدين، ص ١٧.

تردّيت في برد المكارم والندى
وتوّجت في تاج الجلالة والفخر
لقد سمت أبناء الزمان مكارماً
وفقت على هام المجّرة والنسر
فكم لك من ذكر إذا ما سمعته
شممت أريج الندى من ذلك الذكر
وكم من أيادٍ حزتها بفضائل
وطوّقت جيد الدهر كالعقد في النحر
وكم لك في أبناء عامل والورى
على غابر الأزمان من منّة تجري
وكم معدم أثريته بعد يأسه
فأنقذته من عالم العسر لليسر
تعاليت أن يحصى معاليك مادح
بوصف وهل بحر يكيف بالحصر

عرفناك بالإسم الشهير وقد غدى
ثناؤك في الأمصار كالمسك والعطر

فيا معدن الإحسان لا زلت راقياً
على كل حالٍ من ذوي النهي والأمر

أثيبك شكراً في القريض وليس لي
تمكن من أداء فضلك والشكر

جزى مُجزي الإحسان جدي «محمد»
محمد في يوم الجزاء من الأجر

ولا زلت يا ابن المصطفى في كلّ شدّة
من الله محفوظاً بألوية النصر

ويمنحك الغفران في يوم محشر
ويكسوك في الجنات من حلل خضر

«نعشت» قلوب الهاشميين مذ غدى
نداؤك في أبنائهم أبداً يجري

وقال السيد حسين أيضاً يرثي وجيه تبنين الأول مصطفى أفندي غطيمي[1]:

هوى اليوم ركن المجد والجو أظلما
وطرف المعالي يمزج الدمع والدما
وفجر الندى قد غيض بعد عبابه
وقد كان للعافين في الجدب مغنما
وسمر العوالي بالمنون تقصفت
وذا الصارم البتار بات مثلّما
لقد خسف البدر الذي يهتدي به
وقد كسفت شمس الظهيرة في السما
لقد حل في تبنين أعظم حادث
فهو ما سيأتي وما قد تقدما
مصاب له رضوى تزلزل عندما
قضى معدن الإحسان والفضل عندما
فطرفي بعد المصطفى دأبه البكا
وقلبي أضحى من نداه مكلّما
لقد كان عين الخلق بل كان نورها
فمذ بان عنها النوم فاجأها العمى
وقد كان أنساً في المحافل كلها
فبعدك عاد الأنس حزناً ومأتماً
وقد كنت للأيتام عوناً وموئلاً
وكفك غيث مدة العمر قد همى
فيا عين جودي بالدموع لفقد من
بكته سراة الناس عرباً وأعجما

---

(١) شعراء بلدة السلطانية. م.س. ص ٧٧.

بظلك كنا لا نراع لحادث وكنت لنا أماً رؤوماً ومنعماً

رحلت وخلّفت العيون بواكياً تسيل من الأجفان دمعاً معندما

ورحت وأبقيت القلوب على جوى تزيد على مر الليالي تضرّما

فيا ملجأ الأيتام بعدك أصبحت تروح وتغدو حول رمسك حوّما

بلا كافلٍ أمست تئن بزفرةٍ فلم تر بين الخلق كهفاً ولا حمى

ظعنت بثوبي عفةٍ وكرامةٍ وفوقك غفران من الله خيّما

إلى جنة حفّت بحورٍ ورحمةٍ عليك بها الرحمٰن عفواً تكرما

وقد كنت لا أسلوك ما عشت مصطفى

ولست بسالٍ ذلك الخطب لولا ما

أتى نجلك السامي لناخير سلوة إذا ما سماء العرف بالجدب أظلما

محمد من وافى على النجم قدره علاءً وأحساناً عطاءً تكرّما

فيوم الوغى تلقاه كالسيف مصلتاً

ويوم الندى تلقاه كالسيف إن هما

هو الماجد الحبر الذي ذاع صيته وكفّاه للعافين كالبحر قد طمى

لقد هام في حب الفضائل كاهلاً وقد بات في المجد المؤثّل مغرما

محمّد لا تجزع فما المصطفى سوى

مُمَنّع ركن للفخار تهدّما

وما أنت إلا نجله فاحذُ حذوه ومدّ إلى العلياء كفاً ومعصما

فأنت منار الرشد للخلق قد غدا فؤادك من تقوى المهيمن مفعما

وما زال وكّاف من العفو هاطل على جَدَثٍ ضمَّ الأبيّ المكرّما

قال السيد حسين مراسلاً الشيخ أحمد بري[1]:

وافت ألوكة ذي الثناء العاطر الفذ أحمد والأديب الماهر
في طيّها درر تنظم عقدها كُلُمٌ محبرَةٌ بسلكِ الخاطر
فكانها شهب النجوم سوائراً بسما الطروس بلا مشقة سائر
حتى وردن على مرابع قلعة شمّاء تشمخ في جناح الطائر
فكست مرابعها الأنيسة بهجة كالغيث أمطر أرض روض ناضر
وتارجّت من نشر قائم طيّها فكأنّها بالمسك فارة تاجر
اهدى لنا فيها السلام فاعربت من عهد ودّ من ليس بداثر

وقال السيد حسين فخر الدين يرثي الشاعر علي أمين رستم[2]:

حزب التضامن قد فجعت بماتم
فليبك طرفك أدمعاً من عندم

حزب التضامن قد رميت بنكبة فأجبت رغماً بالسنام الأعظم
أفهل ترى يوماً كيومك أيّماً؟ فيه وسمت على القلوب بميسم
يوم غدا فيه ابن رستم ظاعناً فوق الرقاب فيا له من مأتم
فمصابه أقذى العيون من الأسى وفراقه مرٌّ كطعم العلقم
هتف الحمام به فلبّى مسرعاً وأجاب داعية القضاء المبرم
فحباه مولاه باكرم تحفة وسقاه من حوض النبي الأكرم
محفوفة بالعفو والرضوان والغفران والولدان من متكرم
فاية نفس لا تذوب صبابة أم أي قلب من جوى لم يكلم

---

(١) شعراء بلدة السلطانية.جمع السيد فخر الدين فخر الدين. مخطوط، ص ٨٤.

(٢) ديوان السيد حسين فخر الدين مخطوط، ص ٧٠.

تلك الأسود فمن يجر فريسها أم من يمر بغابها المتأجّم

شربت كؤوساً للفراق فأصبحت غصصاً واقذاءً لعين أو فم

تباً لدَهر حادثات صروفه أردت عميداً والحسام المخذم

كيف الحمام دنا إليه وطالما قد هابه بل جاء كالمستسلم

لله رزء حط أكباد الورى وتزلزلت منه هضاب يلملم

حزب التضامن من قد تبدل أنسهم بالحزن قد واروا لجثة ملحم

يتهافتون على السرير بواكيا ودموعهم تحكي الغمام المسجم

حملوه فوق رقابهم وقلوبهم من بدرهم تهوي عليه وترتمي

دفنوه بدراً في الثرى ثم انثنوا متراجعين بزفة المتألّم

لولا التآسي بعده في يوسف وبصنوه وبشبله النائي الكمي

وبجملة الشبان أرباب الحجى من قد سموا فوق السماك بسلّم

الضاربون بكل عضب باتر والطاعنون بكل أسمر لهذم

يتسابقون إلى الفضائل مثلما يتسابقون إلى علا وتكرّم

فأكفهم كالسحب تهمي بالندى قامت مقام الغيث ان لم يرزم

صبراً ذريه فإنما هي غمة تجلي وان الصبر أكبر مغنم

وقال السيد حسين فخر الدين يرثي الشيخ أحمد بري[1]:

القلب مذ غيبتك الترب يا قمر من الأسى بلظى الأشجان يستعر

يا واصلاً بالسجايا الغرّ أجمعها الله أكبر كيف اغتالك القدر

قد كنت للرشد بدراً يستضاء به فالرشد بعدك لا عين ولا أثر

---

(١) م. س. ص ٨٧.

من للمساجد بالأذكار يعمرها ومن به يقتدي ان ضلّت البشر
قد كنت للزهد عنواناً وكان لمن يرومك عن علاك الورد والصدر
وللتهجد جنح الليل خير فتى يحلو له في رضاء الخالق السهر
فاذهب عليك سلام الله ما طلعت
شمس وما لاح في جنح الدجى قمر
فوق الضريح سحاب المزن منهمل
وأنت في الترب والغفران منغمر

وقال السيد حسين يمازح أبا فهد نمر دكروب(١):

ألا يا بن دكروب المكنّى بنمر الفيل قد خنت العهودا
فكيف نسبت لي أني خؤون ولم ارسل لنحوكم قصيدا
واعلم انك الفذ المفدّى وكنت بعلمنا الرجل الوحيدا
ولكن قد فتحت عليك باباً فخذ يا صاح في ما قد أريدا
شحنت كتابك الآتي وعيداً ترانا نرهب العدد العديدا
وكنت أظن عقلك في صواب ولكن قد حزنت فكن رشيدا
فإنك ان تكن نمراً هزيلاً فكنت وربك الأسد الشديدا
أخي حسن رعاه الله قرماً اذان لبطشه البطل العنيدا
عصابة معشر إما غضبنا تبيت لنار غضبتهم وقودا
تدين لبطشنا الدنيا جيمعاً وصيّرنا الدهور لنا جنودا
وغايتك الهبوط إلى الدنايا ودوماً دابنا نمشي صعودا
أتينا غيل تبنين المكنّى فلم نلق بها بطلاً حميدا
وما تبنين غير رباط خيل لنا نجتاز حائطها المشيدا

---

(١) م. س. ص ٨٨.

ولـكـن هـل أتـيـت ديـار قـوم تـرى بـيـض الـلـيـالـي لـهـنّ سـودا
فـانـي ان غـضـبـت عـلـى أنـاس يـكـن لـحـلـيـفـهـم أبـداً خـمـودا
وانـي ان عـقـدت عـهـود قـومٍ فلست أخون ما عشت العهودا
فـنـحـن الـهـاشـمـيـون الـمـذاكـي بـاسـيـاف لـنـانـقـري الـحـديـدا
ونـحـن فـجـدّنـا الـمـخـتـار حـقـاً وكـلّـكـم لـنـا كـنـتـم عـبـيـدا
وان تـفـخـر عـلـيـنـا فـي أنـاس فـبـيـرق داركـم لـلـكـل سـيـدا
الا فـاقـصـر عـن الـهـذيـان إلا جـعـلـت لـكـم بـأرجـلـكـم قـيـودا

ورثى السيد يوسف فخر الدين حسن سلمان مقلد بقوله:[1]

يا دهر بعد أبي سلمان لن تجدا مـن الأنـام حـمـيـاً لا ولا عـضـدا
يـا دهـر مـالـك مـنّـا كـل آونـة
تـسـتـاصـل الـصـيـد حـتـى الـعـز والـسَّـنَـدَ
يا دهر جُرْتَ فكم افنيت من فئة من الخلائق لم «تحصي» لها عددا
يا دهر ألبستنا ثوب الأسى خلساً والعين أورثتها من بعده الرمدا
يا دهر ما لك قد ورّثتنا صمماً من النعاة فأضحى شملنا بددا
يا دهر هل لك من وتر فتأخذه حتى أخذت عزيز القوم منفردا
كيف اقتحمت عليه وهو في ملأٍ من الشُباب فلن تخشى إذاً أحدا
اظـن أنـك لـمـا جـئـت فـي رجـل وجئته حين خف الدم أو فسدا
سـددت سـهـمـك فـي قـلـب الـعـلـى سـهـمـاً
فـجـمـرة الـحـزن لـم تـخـمـدا إذاً أبـداً
أخـرسـت سـمـع بـنـي الـدنـيـا بـنـعـي فـتـى
قـد كـان بـيـن شـبـاب الـعـصـر بـدر هـدى

---

(١) ديوان السيد يوسف فخر الدين، مخطوط جمع السيد فخر الدين فخر الدين، ص٦٦.

ما كنت أحسب ان الموت يرهبه وكان يرهب في سطواته الأسدا

فإن نعي أبي سلمان حين سرى في البرق كلّم منا البرق والكبدا

قد كان في البأس يجلو كل معضلة

وكان حرزاً من الأعداء بل رصدا

وكان قطب رحى الأوطان يكلؤها فاليوم لا كائناً تلقى ولا عضدا

وكان بين ذوي الأبطال مشتهراً

فالكل منهم له في البأس قد شهدا

يقرّ كل لسانٍ في شجاعته فإن أتى منكراً أعرف به الحسدا

لكنما الدهر ذو غدر وذو إحن فلم يدع من سراة الخلق لي أحدا

لو كنت يا حسن تفدي بأنفسنا جئناك يا حسن منا بألف فدا

صبراً ذويه فإن الصبر درعكم فاستعملوه رداءً وأظهروا الجلدا

لكنّما الصبر أجر فيه فائدة يا آل مقلد صبراً فاللقاء غدا

فالحزن مشترك في كل نائبة أين المفر وأمر الله قد نفدا

آل الفقيد تأسّوا في بني حسنٍ ان التأسّي بأهل البيت قد وردا

كل المصائب قد تكون صغيرة إلا مصيبتنا في سيد الشهدا

مولى قضى ظامياً حول الفرات وقد

ذادته عنه سيوف البين ان يردا

ما برّد الماء يوم الطف غلمته وقت الهجير فليت الماء ما بردا

سُقياً لرأس ترى فيه فقيدكم من صيّب العفو يهمي دائماً أبداً

قد قلت مذ سطرّ الأدباء فعلته

أرخّت يا حسن سيف الهوى غمدا

ذي الحجة ١٣٦٣

وبمناسبة تأسيس جمعية أدبية في ميتشغن كتب الشاعر إبراهيم قصفة فقال:[1]

«سيدي نعلمكم بأننا أسسنا جمعية في (مشكن) ودخل بها ما ينوف عن ماية واحد وجعلنا الرئيس محمد عجمي وكاتم الأسرار السيد حسن فخر الدين والمعاون علي دكروب والنائب عبد الكريم بزي من بنت جبيل والمحافظ عقيل جابر من البلد المذكور والكاتب ملحم أمين وأمين الصندوق مصطفى الملا والبواب أمين الشاعر. وقد رتبّوا لهم قاعة وصرنا نجلس كل جمعتين مرة وصارت الجمعية مهمة حتى تذاكر فيها القريب والبعيد فقمت أنا قدمت لهم قصيدة متغزلاً ومادحاً أبناء الجمعية فقلت وهي:

يا من غدت تسبي الأنام جهارا — طود تحير بوصفها الأفكارا

فتانة اللحظات ترمي بالحشى — ناراً تؤجج حرّها وسعارا

فالجسم منها مثل ليل حالك — يلوي على بدر بدا فأنارا

والطرف منها كالسهام فإنه — يرمي القلوب ويخطف الأبصارا

لُجي الفؤاد إذا جاءت معطفة — بالوصل منها أو يشوق شفارا

قسماً بها وبنور طلعتها التي — تحيى القلوب وتأجل الأعمارا

ما هذه الأوصاف تلقى بواحد — إلا محمّد صاحب الأنوارا[2]

أعني أبا موسى همام ماجد — فعصاه أضحت تلقف الأسحارا

قد رشحوك بنو الوراء بجمعهم — فرئيسهم تغدو لك التذكارا

---

(١) شعراء بلدة السلطانية، مخطوط، ص٣٦.

(٢) يعني به محمد عجمي - أبو موسى .

تقري الوفود ببذلٍ لا يماثله بحر الزخير ومزنة «الأمطارا»
فبذاك قد تمت أمور عصابة تلك النجوم الزهر والأقمارا
فعلي يا فخر الملا ومعاونٍ صرف الأمور وسهّل الإعسارا
فبفضله وبفخره وبباسه ساس الأمور وكاتم الأسرارا
وبملحم الفذ المشهّم من غدا غيض الحواسد للعدا قهارا
وكذا الأمين على خزائن مالهم ذاك الشجاع الفارس المغوارا
لا أستطيع أعد جمع خياركم كم قد نظمت بمدحكم أشعارا
صلوا على خير الأنام محمد بالحشر ينجو من عذاب النارا

فقرأناها على الإخوان نهار الجلسة، فابتهجوا بها كثيراً وما ندري إذا كان فيها أبيات ملحونة أم لا لأني لم «تاقن العربية مليح».

وكانت تتم المراسلات والمباسطات الإخوانية إن في المهجر أو في جبل عامل بين شعراء تبنين وزملائهم من شعراء عاملة، وبالأخص مع شعراء بلدة السلطانية. ومن هذه القصائد، قصيدة نظمها الشاعران إبراهيم قصفة والسيد يوسف فخر الدين. إلى الشيخ محمد علي بري. وقد ضمناها من الألفاظ المحكية الإنكليزية ما زادها فكاهة وجمالية. وهذه القصيدة أثبتها الأستاذ فخر الدين فخر الدين في الديوان المخطوط الخاص بعمه السيد يوسف فخر الدين. وقد جاء فيها:

بالشعر دُقّت جرّتي بالكوز وجرت مياه الغرب من حاووزي
وتسرّبت ما بين كل حديقة فيحاء تسقي عودها المهزوز
ما بات يجري بالغنا جريانها ودفيقها من فوق كلّ مفوز

حتى (بمشغن) قد تلاطم موجها ... كالبحر محتملاً بفرط جروز[1]

فهوى بها ذاك المحمّد سابحاً ... بالقعر يضرب رأسه والعيز[2]

وينادي يا حسن الطويل ألا إنني

قد ضاع رشدي يا أخي ورموزي

فأتاه صاحبه إليه قائلاً ... دع قولكم عنّي وكلّ ركوز

كشفّت طيزك بالقريض إلى الورى

بئس القريض وبئس تلك الطيز

لو تستحي ستّرتها في لفّة

بيضاء قد ديست بشسع «الشوز»[3]

لكن أبيت بأن تعود مُسَتَّراً ... ومعزّزاً في ذروة التعزيز

دع عنك تنظيم القريض وعد إلى

وصل الحمير الغبر وانهز «إيزي»

واقنع إذا جاءت إليك حمارةٌ ... سوداء مفحمة كشبه الزيز

كم جحشة جرّيتها من إذنها ... وهتكتها في داخل الدهليز

لله درّك من خطيب ماهر ... بالنقص والتعريض والتنهيز

طزّ بلفتّك التي لفيّتها ... من فوق رأس فارغ مهزوز

---

(١) الجروز: الأكول، السريع الأكل، الشره.

(٢) العيز: الشيء الصلب.

(٣) الشوز: مأخوذة من اللغة الإنكليزية وتعني النعل.

وشاركهم في هذه المعركة الحاج حسين قصفة فقال:[1]

نظم القريض بشيخنا المعزوز ... مثل القصّي على رصيص غروز
ومرّده بالشوز عن حوض الهوى ... أشفى لقلب العاجز المهزوز
كم بات مفترش العبيد على النقا ... عجزاً يماثل نهزه المعجوز
من منكما يضع الخطام بانفه ... ويقوده كالمقرن الملزوز
ان الفنيق فلا يرد جماحه ... إلا بوضع خطامه في الفوز[2]
آه علــى مــن دقّــه أو رقّــه ... حتى يرى كالجردق المخبوز[3]
كم نزّ في ظهر الأثان ولم يكن ... عوضاً أليف الزنج بالمعزوز
ولصفعة الموسوق كم من مرة ... همز القريض وليس بالمهموز
من مبلغ مني الخطيب مقالة ... تدعي عزيز القوم غير عزيز
نقماء، تنحله ليصبح جسمه ... بيد افتتاح البطن كالمبلوز
قد ساءني منه الجواب وإنما ... باب المزاح ليافع ومجوز
هيهات يحجبه الفرار ودونه ... طعن كعشب اليابس الملزوز
ان كان من فَشَلَ الورى متعجّباً ... كحزوز خط واضح ورموز
لم يحتجب عنا بنفثة سحره ... مهما ارتدى بهياكل وحروز
فلسوف نتبع ظعنه ولوانه ... قد حل في (باريس) أو (تبريز)

---

(١) شعراء بلدة السلطانية، م. س. ص٥٨.
(٢) الفنيق: فحل اسفاد والخطام: حلقة الأنف.
(٣) الجردق: الرغيف.

كتب الأستاذ فخر الدين في مقدمة ديوان شعر والده السيد حسن فخر الدين فقال:

الصفات الحميدة

نقلت هذه القصيدة عن مخطوطة قديمة كتب في أعلاها: «قال الشيخ محمد علي بري وهي الصفات الحميدة».

ويقول الحاج حسين قصفي في المخطوطة:[١]

«هذا كنا جميعاً في بلاد المهجر في ولاية من الولايات المتحدة إذا زارنا الأخ المحترم السيد حسن فخر الدين قمنا له بالواجب حسب العادة ثم آخر السهرة قام البعض منا إلى اللعب بالورق وحينما غادرنا ذلك الزائر الكريم ووصل بلدته التي يقطن فيها قص تلك القصة على الشيخ محمد علي بري وأخبره ان البعض منا عدل عن مسامرته إلى لعب الورق وطلب منه أن يبادر بهجونا عموماً وتعهد له أن يكون سعفته فما شعرنا إلا وقد وردت علي قصيدة من الشيخ وهي كما يلي (سنذكر القصيدة والرد عليها).

وقال لي الحاج حسين قصفي شفهياً: «إنه هو الذي نظمها وقدمها للشيخ باسمه إلى الحاج حسين قصفي وعلي أمين رستم وعلي حسن مقلد المشهورين بلعب الورق أما الأسباب فهو ان محمد البرجي قال للشيخ محمد علي بري ان الحاج حسين قصفي

---

(١) الفنيق: فحل السفاد، والخطام: الانف.

وعلي أمين رستم وعلي حسن مقلد يذكرونه بسوء فشكا الأمر لوالدي الذي نظم القصيدة».

أما رأيي، فإن القصيدة من نظم والدي ذلك لأنها تتسم بشاعريته الخاصة، أما أسباب نظمها فهو السبب الذي ذكره الحاج حسين قصفي، والسبب الذي ذكره والدي، أي لنظم القصيدة سببان: الأول وهو ان والدي عندما زارهم وقاموا إلى اللعب لم يهجهم فوراً، ولكن انتهز فرصة ذكرهم الشيخ محمد علي بسوء فنظم القصيدة وأرسلها الشيخ إليهم باسمه. والسببان مذكوران في القصيدة نفسها وهذه هي:[1]

أتى البرجي شبه الليث ضاري	يهددني بأرباب القمار
كأن (الكرد) جلبهم ضلالاً	وصار شعارهم لعب القمار
إذا ما زارهم شهم أديب	كرامتهم لهم نادي القمار
وإن جادت قرائحهم بنظم	عروسة شعرهم لعب القمار
وإن ظمئوا لشرب الماء يوماً	فماء زلالهم لعب القمار
وان شعروا بمسغبة فكانت	حلاوة طعمهم لعب القمار
وإن راموا التأنسّ في مكان	فلم يؤنسهم غير القمار
فلا يدرون من وفد سلاماً	ولم يصغوا لغير بني القمار
إمام (برازيل) ينادي	هلموا للفروض إلى القمار
يقوم تهجداً فيهم عشاءً	لما سهروا الظلام على القمار
زعيمهم العلي عشيق (لورا)	يكوّز أنفه لعب القمار

(١) ديوان السيد حسن فخر الدين مخطوط، جمعه السيد فخر الدين فخر الدين، ص١٧.

أبو حسن أخوه يهيم وجداً وشوقاً لا يحول عن القمار
يجول على المخادع كي يرقي اصيحاباً تدير يد القمار
فينفق ما حواه بنهش جلدٍ ومزّق جلده لعب القمار
كذا نجل الأمين غدا عشيقاً لمائدة حوت لعب القمار
ويتبعهم حسينٌ كل آنٍ يدور برأسه ذكر القمار
عليٌّ المقلديُّ حوى ذكاءً يروق له التغزل بالقمار
ويصحبه عليٌّ رستميٌّ حديث الدهر في لعب القمار
وفي القصفيِّ قد شاهدنا ليثاً شجاعاً في ممارسة القمار
سجايا لا تليق بكل شهم ولا يرضى بها غير الحمار

الرد على القصيدة من الجميع أي على الشيخ محمد علي بري:

لقد أرسلت قافية القمار فأهديناك قافية الحمار
حمار جاءنا في زي شيخ وشيخ جاء في زي الحمار
له ذنب يوائم دفتيه وآذان كآذان الحمار
وإست مثل است البغل عارٍ يطرطر بالفلا مثل الحمار
ومأكمة ككلب الحي أقعى يفنعص مثل فنعصة الحمار
وقرحفة بلا لحم وشحم مجردة كقوصرة الحمار
وظهر مذ عرى من كل جَلٍّ تقعّر جلده مثل الحمار
وصدر لا يطيق الكرب فيه بحبل البغل أو حبل الحمار
وأكتاف إذا ألقت عليها القنا تل مثل أكتاف الحمار
وذرعان إذا ما راح يجري إلى نقل الحجارة كالحمار
ومعرفة لحاها الله أمست مكنفشة كمعرفة الحمار

لعمري لو نظمنا الدرّ عقداً لضاع العقد في جيد الحمار

وركب الصافنات تمر رهواً لأجدر من مدابلة الحمار

نمارس في الرجال اخا ذكاءٍ ونعرض عن ممارسة الحمار

عرفنا الشيخ شيخاً جاهلياً «سبا» عرض الحمارة والحمار

وصال على العبيد بتلٍّ رمل كصولته على أم الحمار

فكم آنسنا في جيبيه ضوءاً بليل يستدلّ على الحمار

ليركبه ويغدو إلى صديقٍ حمارٌ راح في اثر الحمار

أرسلت هذه القصيدة من علي أمين رستم إلى الشيخ محمد علي بري

سكوتك أولى من نضال وأملح وبعدك أوقى من لقاء وأصلح

ومدحك أحرى في رجال عرفتهم خنانيذ أوفى منك عقلاً وأرجح

فما ضرّهم ذم الكثيب وأهله مذّمة قومٍ بالظبي ليس يجرح

الا يا «حجيج» الرمل أي مذمة نقص على الغادين فيها ونشرح

وآية درب لم تمشوا أكفكم بنا قصها والبعض أشفى وأفضح

فاتهمتونا بالقمار ولم نكن نساوي الذي عيرانة البر ينكح

واطمحتم الأبصار جهلاً ببلدةٍ فما زال طرف الجهل بالجهل يطمح

هجونا فاهديناك منّا الوكة وأنا سنهجو كل ضالٍ ونقدح

فرحنا فالبسناك جلاً مزمزماً يظل الذي في غير ذكراك يمزح

اخذت قليلاً لم يسامرك بساعة الا بئس خل منك أردى وأقبح

تحالفتم سراً فبتم على لظى وكل أتى في أنهر الهجو يسبح

تـأبـطـتـم شـراً أنـاخ بـكـلـكـل	على ابط رمل حيث بات المسبّح

لحا الله شراً بان من سطح رملكم	الـم عـشـاءً والـخـنـاذيـذ تـفـسـح

فهل ينكر الهاجون ما قد أصابهم	ووجه حليف الشيخ ما زال يكلح

وهل ينكر الهاجون منا قصائداً	ورمح قريض المتشغيين مطرح

لـقـد قـيـل ان الـقـوم قـامـت رحـالـهـم	فـلا بـاس كـلـب الـدار بـالـدار يـنـبـح

وردّ السيد حسن فخر الدين بقوله:[1]

اشـاقـك يـا مـحـفـوظ وجـد مـبـرّح	إلـى الـنـظـم أم قـد كـنـت سـكـران تـمـزح

وهـل كـنـت فـي نـادي الـقـمـار ولـم تـزل	بـبـحـر مـعـاصـي الـلـيـل تـكـبـو وتـسـبـح

نظمت قريضاً لونه القمار انما	شـذاه كـغـوط الـسـامـري وأقـبـح

وتهوي بكم لو كنتم في صوابكم	فلست بنظم فلذة المجد تجرح

ولا خير في نظم فضضت ختامه	ولم يبق فيه اليوم للشيخ مطرح

فـخـذ مـن يـراع الـهـاشـمـي قـصـيـدةً	بـهـا الـهـجـو فـي جـوف الـصـداقـة يـطـفـح

إذا مـا اهـتـدى الـكـلـب الـبـعـيـد عـلـى الـحـمـى	فـإن سـبـاع الـحـيّ فـي الـحـيّ تـمـرح

وما ساءني نبح الكلاب فجمهروا	وهرشوا اذا شئتم وعوّوا ونبّحوا

بـأي زمان كنت أخشى نضالكم	وفي أي حين كان لي الوجه يكلح

---

(١) ديوان السيد حسن فخر الدين مخطوط، جمعه السيد فخر الدين فخر الدين، ص١٧.

وفـــي أي يــوم لــم أروع جـــمــوعــكــم

وفتكي بكم من عزة الصبح أوضح

وفـي سـفـحـات الـرمـل يـوم اجـتـمـاعـنـا

فـمـن كـان مـنـا مـرهـف الـحـد يـطـرح

تعيرنا بالرمل والرمل شاهد — بان قريض المتشغيين أملح

ومنهم سراة القوم في كل محفل — وغيرهم بحرٌ من النظم يطفح

فهل عندكم (برجي) شبه رسولنا — إذا اوفدته الناس بالأمر يفلح

وهل عندكم شيخ شبيه محمد — له منطق يسبي إذا يتنحنح

فـأنـتـم صـنـاديـد الـقـمـار وعـمـركـم

من الميسر المذموم لم تتزحزحوا

خصوص بكم أسماء لا تنكرونها — زعانيف منك كل تيس مدحدح

خلقت لنظم الشعر لا استعيره — ولا ابن صاروفيم عندي يفتح

وعلّمتكم من منطقي كل درة — وعنكم فخار العامليين (ترجّحوا)

وفي كل يوم تشهرون سلاحكم — وفي اي وادٍ كنتم لم تشلحوا

خناجركم تخشى الأرامل فتكها — واما على الآساد في السر يفضح

الا يا رجال الخير أين بطونكم — فعند أبي خطاب عيش مملح

عليك أبا خطاب ان حل ركبهم — بناديك فاحذران مراسك تشلح

فمهما ظلمت الكلب لا ترضينه — ويرقب ان يغتال نعل مشرح

خذوا عقدة من نصف مليون عقدةٍ

وننظر يوم الفصل من كان أرجح

وكتب كذلك السيد يوسف فخر الدين يشارك في معركة القصيدة القمارية فقال:[1]

إن كنت عن ربع الأحبة قاصي ... أفهل يجوز الشك في إخلاصي
جسمي وحقهم لدى ذكراهم ... يهتز من رأسي إلى أخماصي
بي حرقة لو يعلموا تأخيرها ... في مهجتي لتشفعوا بخلاصي
نار شظاياها وحر سعيرها ... ذهبا بكل شجاعتي وخواصي
لم يطفها ان لم يكن لقياهم ... ماء الفرات ودجلة والعاصي
يا ساكن داراً أبت عرصاتها ... «وجوانباها» ان تضم قلاصي
كم لي بها من وقفة اعرابها ... حبي ووجدي لا حنين رصاصي
خطأٌ تصوّرني لكم سبابة الأو ... هام فهي خليقة ابن العاصي
سبل الهوى فيكم سلكت ولم أكن ... أبداً عهدت سواكم قناصي
لم يثنني عن حبكم بعدي ولو ... شط المزار فأنتم خواصي
يا من له خفضت جبابرة البلا ... د وطاطات شم الأنوف نواصي
وتحصنوا بذرى جنود لا ترى ... من كل بناء ومن غواص
تشكون هجري ثم أشكو هجركم ... (حيّاننا)؟ فمن الملام العاصي
عبثاً أحاول لاجتياز جنودكم ... حيناً ولكن لات حين مناص
وفي (راقة) رقراق حبكم فلم ... لا تتلثموا قلبي من الأقفاص
ومودتي زلزالها ماء الصفا ... كجداول جار على «بحصاص»
ان تحكموا فبذمة العدل احكموا ... فخري به ان كان فيه قصاصي

---

(١) شعراء بلدة السلطانية، فخر الدين فخر الدين، مخطوط، ص٢١.

خاتمة

هل انتهى زمن اللقاءات والندوات الأدبية في عصر المعلوماتية والإنترنت!.

تتباين أراء الأدباء والشعراء والنقاد حول مستقبل المنتديات والصالونات الأدبية ومصيرها، فمنهم من يغالي في تفاؤله ويرى ان التراجع الملحوظ في عدد الحضور هو غيمة عابرة، ومنهم من يرى ان عصر الصالون الأدبي في معناه الكلاسيكي يقترب من النهاية.

وأنصار الصالون الأدبي يؤكدون، ان الصالون كأداة كلاسيكية لنشر الأدب والشعر وأنواع المعرفة الإنسانية، يستحيل الإستغناء عنه، ما دامت حاجة الإجتماع متأصّلة في النفس الإنسانية، وبالتالي سيبقى الشكل الأفضل لتواصل الشاعر والأديب مع الناقد والمتلقّي.

وهناك القائلون بأن التطوّر العلمي وتطوّر الإعلام المرئي والمسموع باستمرار، سوف يؤثران سلباً على الصالونات والمنتديات الأدبية، وعلى اعتمادها كوسيلة متطوّرة لعرض الإبداعات الأدبية والشعرية.

ولكن مهما تعدّدت الآراء وتناقضت، فهناك حقيقة مفادها ان الصالون الأدبي، هو المكان الأفضل لالتقاء المتلّقي والمتذوّق للأدب والناقد.

وهناك من يعزو انحسار مشجّعي اللقاءات الأدبية إلى حالة مستجدّة عابرة انتجتها التحولات الكبيرة في أنظمة الإعلام المرئي والمسموع الذي حوّل العالم بأكمله إلى قرية كونية صغيرة، تسمح للمتذّوق وللناقد ان يطّلع على إبداعات العالمين العربي والأوروبي والغرب بأكمله، وهو مستلقياً على كرسيّ هزاز داخل منزله أو غرفة نومه.

و«في هذا الصدد يرى صاحب دار نشر «لحد خاطر»، ان ثورة الأنترنت والكومبيوتر الحالية، موازية للثورة الصناعية في القرن التاسع عشر[1].

لكن الحرب الأهلية اللبنانية التي استمرّت أكثر من عشرين سنة، زعزعت البنيان المعرفي بأكمله، واحتل التلفزيون والبرامج الإذاعية والكتاب والصحافة، الحيّز الأكبر من ساحة الصالونات والملتقيات الأدبية.

وكما لم يعد للملتقى الأدبي الأهمية التي كانت له قبل الخمسينات وقبل الحرب، كذلك تراجعت مبيعات الكتب والمطبوعات كافة، في المكتبات وفي معارض الكتاب، ولم يعد للكتاب أهميّته

---

(١) جريدة الأنوار، العدد رقم ١٣٩٨٦ ، الأحد ١٦ نيسان سنة ٢٠٠٠.

السابقة. ويعود ذلك إلى أسباب عديدة منها: الحرب اللبنانية، التي ساهمت في ضرب القطاع التعليمي العام والخاص. وأبعدت المتعلّمين والمثقّفين عن الكتاب والمطالعة، وجعلتهم أسرى المشاهدة التلفزيونية نتيجة ملازمتهم المنزل معظم الوقت، مما نمّى لديهم ميلاً نحو المرئي والمسموع، ونفوراً من الكتاب، ومن الملتقى الأدبي، إضافة إلى الهمِّ المعيشي الضاغط. وقد أبعدت هذه الأمور مجتمعة الإنسان اللبناني كلياً عن الكتاب واللقاءات الأدبية، إلا قلّة من الشعراء وأساتذة الجامعات الذين يحاولون بين الفينة، والفينة إعادة مجد الصالون الأدبي في لقاء هنا ولقاء هناك، ولكن يأتي واحدهم إلى اللقاء: خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء، يدفعه حب الظهور بالمظهر الأدبي والخجل من أقرانه خطوة، ويدفعه الملل. وعدم إيمانه بقدرة الشاعر المحاضر على جذب السامعين وسخف الموضوعات، خطوتين إلى الوراء. فتجد ان أكبر صالون أدبي لا يضم أكثر من ثلاثين أو أربعين سامعاً ومحاضراً في كافة أنحاء جبل عامل ولبنان.

ترى هل يعود لصالونات حلب سيف الدولة مجدها ولمنتديات تبنين حمد البك تألّقها، أم أن عصر الأسواق والمنتديات الشعرية والأدبية قد ذهب ولن يعود!.

الأمين: السيد عبد الله

كتب عنه صاحب الأعيان فقال: كان عالماً فاضلاً صالحاً شاعراً، قرأ في جبل عامل على المرحوم الشيخ عبد الله نعمة في جبع. ثم سافر إلى العراق وقرأ على عدة مشايخ منهم الشيخ مرتضى الأنصاري. وصارت له صداقة أيام وجوده في العراق مع عبد الباقي العمري الشاعر الشهير، ومع السيد صالح القزويني، صاحب القصائد الطويلة في أئمة أهل البيت، عليهم السلام. ثم عاد إلى جبل عامل وتوطّن قرية شقراء إلى أن توفي فيها (الأعيان ـ الثامن ـ ص٥٩).

الأمين كاظم

السيد كاظم ابن السيد أحمد الأمين ولد في شقراء سنة ١٢٣١هـ (١٨١٥م) وتوفي في بغداد سنة ١٣٠٣هـ (١٨٨٥م).

«كان عالماً فاضلاً حافظاً متقناً مؤرّخاً. أوحد زمانه في الإحاطة والضبط وحفظ التواريخ والآثار ووثائق العربية. وهاجر من جبل عامل إلى النجف الأشرف لطلب العلم في الخامسة عشرة من عمره.

قرأ على الفقيه الشيخ مشكور الحولاوي وتزوّج بابنته، بقي

مكباً على طلب العلم حتى فاق أقرانه وامتاز على أهل زمانه وخاصة في علوم اللغة والتاريخ ليس له أي أثر مطبوع بل له مخطوطات في التفسير واللغة والتاريخ.

وقد ذكر السيد محسن الأمين في آخر الترجمة: «له عدة مجاميع مشحونة بالفوائد، هي عندي بخط يده، وله منتخب كشكول البهائي، هو أيضاً عندي. بخطه» (الأعيان - الثامن - ص٤٧٥).

الأمين: السيد محمد

السيد محمد الأمين الثاني ابن السيد علي. كتب عنه السيد محسن فقال: «ولد في حدود سنة ١٢٣٠هـ (١٨١٢م)، وتوفي في شهر رمضان سنة ١٢٩٧هـ (١٨٧٩م)، كان رئيساً جليلاً عظيم النفس، توصّل لأن يتولّى منصب إفتاء بلاد بشارة وخالط الحكام والأمراء وسما مقامه عندهم. وهابته الرؤساء وتهافتت عليه الوفود. وكانت دارته في شقراء كعبة الوفّاد ومنهل الرواد. استبدّ على إخوته ولم يبال بأحد منهم، ومنعهم من قرية الصوانة فالتجأوا إلى حمد البك وبعده إلى علي بك أمراء تبنين. فكانوا يساعدونهم عند عداوتهم معه، ويخذلونهم إذا صالحوه. ومع ذلك لم تجد مساعدتهم لهم شيئاً. تحول في آخر أمره إلى الصوانة. وسكنها وهجر شقراء.

الحاريصي: الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عيسى الحاريصي

قال السيد محسن الأمين في أعيانه: أنه توفي يوم السبت ١٦ شعبان سنة (١١٨٥هـ) والحاريصي نسبة إلى حاريص. قرية قرب تبنين. عالم فاضل شاعر مجيد، يعدّ في

طليعة شعراء جبل عامل في ذلك العصر، وعقبه في حاريص إلى اليوم. وكان شاعر الشيخ ناصيف النصار، شيخ مشايخ جبل عامل في ذلك العصر، أي أمير أمرائه. وله فيه وفي غيره مدائح، وخاصة آل صعب الشيخان علي الفارس وحيدر الفارس.

وقد ذكر السيد محسن الأمين ان قصائد الشيخ ابراهيم الحاريصي في مدائح أمراء الصعبية مجموعة وموجودة عند احفادهم. ولعلمي انه لا يوجد أي مخطوطة للشاعر الحاريصي وشعره مذكور فقط في أعيان الشيعة وفي المقالات التي كتبها الشيخ سليمان ظاهر عنه في مجلدات العرفان.

ويقول السيد محسن ان قصائده تدل على اطلاع واسع وعلم بالوقائع التاريخية القديمة. ومعرفة برجال التاريخ. كذلك تضمّن شعره الكثير من الحكم والأمثال جديرة بأن تندرج في خانة الشعر الخالد.

الحر الصوري: الشيخ ابراهيم

يقول السيد محسن الأمين أنه سمع من بعض الفضلاء انه ليس من آل الحر. وقال ان نسبه إلى صور بسبب سكنه فيها. ويشير السيد محسن إلى ذكر القصيدة التي وردت في كتاب الغرر الحسان لصاحبه المير أحمد حيدر شهاب، تلك القصيدة التي ردّ فيها الشيخ ابراهيم الحر على الشيخ عبد الغني النابلسي.

وليس للشيخ ابراهيم الحر، أي ذكر آخر سوى الذي ورد في كتاب الشهابي والذي نقله السيد محسن الأمين عنه.

زيدان: الشيخ علي

الشيخ علي زيدان: ولد في قرية معركة من قرى الجبل العاملي، وتوفي فيها سنة ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م).

كتب عنه السيد محسن الأمين فقال: كان عالماً فاضلاً أديباً شاعراً. قرأ على الشيخ علي السبيتي وعلى الشيخ حسن القبيسي في أنصار وعلى السيد على الأمين في شقرا. لم يترك أي أثر مكتوب سوى ما أورده السيد محسن في الأعيان.

السبيتي: الشيخ علي محمد

الشيخ علي محمد السبيتي، الكفراوي نسبة إلى كفرا، من قرى جبل عامل، ولد في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ١٢٣٦هـ (١٨٢٠م) وتوفي بها سنة ١٣٠٣هـ (١٨٨٥م).

قال عنه السيد محسن الأمين في أعيانه: عالم، فاضل ثقة، ثبت صالح، زاهد، نحوي، بياني، لغوي، شاعر، كاتب، مؤرّخ، مصرّح بالحق، غير مداهن. كان حسن النادرة، ظريف المعاشرة، كان مشهور بعلم اللغة والبيان والنحو والتاريخ، له من المؤلّفات الجوهر المجرّد في شرح قصيدة علي بك الأسعد. (مفقود). وكل الكتب التي ذكرها السيد محسن له مفقودة. ويشك البعض في مقدمة ديوان شبيب باشا الأسعد بأنها للشيخ علي السبيتي وليست لشبيب باشا. وهي مقدمة تاريخية مهمة، تلقي الضوء على التاريخ العسكري والسياسي والشعري لجبل عامل.

سليمان: الشيخ حسن

الشيخ حسن آل سليمان العاملي.

ذكره حيدر رضا الركيني في تاريخه فقال عنه: وفي رجب سنة ١١٨٤هـ ، زادت الجنان شرفاً وزينت الحور العين لقدوم العالم الفاضل الأجلّ الشيخ حسن سليمان قدّس الله روحه ونوّر ضريحه.

وقال عنه صاحب الأعيان: «كان يسكن بلدة أنصار وقيل قلعة مارون (دير كيفا) في ساحل صور. والظاهر انه كان يسكن أنصار ثم سكن قلعة مارون وكان في عصر الشيخ ناصيف النصار شيخ مشايخ جبل عامل. وعصر عباس المحمد النصار، حاكم صور. وقد روي عنه النزق وحدة الطبع وسرعة الغضب ومخاطبة الحكام. ولم يذكر له أي كتاب.

شرارة: الشيخ علي

هو الشيخ علي ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ أمين شرارة. ولد في بنت جبيل سنة ١٣٠٢هـ، وتوفي فيها سنة ١٣٧٥هـ.

تلقى العلم على يد السيد نجيب فضل الله وعلى يد الشيخ عبد الكريم شرارة. والشيخ موسى مغنية.

كان يعد من الفضلاء المبرزين. حاضر البديهة، كثير الإلمام بالفروع الفقهية والعلوم العربية. ذو ذوق جميل. كان من أوائل المدرّسين الذين التحقوا بالمدارس الحكومية بعد دخول جبل عامل في دولة لبنان الكبير وقد تخرّج على يده العديد من شعراء وأدباء بنت جبيل وقرى الجوار.

شمس الدين: الشيخ علي مهدي

ولد الشيخ علي مهدي شمس الدين في مجدل سلم من قضاء مرجعيون شرقي تبنين سنة ١٨٨٤م. يرقى نسبه إلى الشهيد الأول شمس الدين محمد بن مكي الجزينّي العاملي. مؤسس أول مدرسة في مجدل سلم عُيِّن سنة ١٩٢٢ قاضياً شرعياً في محكمة مرجعيون الجعفرية.

له ديوان (الوطنية والحياة)، مطبوع. وأغلب قصائده السياسية منشورة في مجلة العرفان. وله عدة كتب ودواوين مخطوطة أشار إليها الدكتور علي حجازي في دراسته عنه.

الصائغ: السيد علي

هو السيد علي المشهور بالصائغ الحسيني العاملي. ذكر السيد محسن الأمين في أعيانه أنه توفي ودفن في تلة صدّيق من منطقة تبنين العقارية سنة ٩٨٠هـ من تلامذة الشهيد الثاني وقبره إلى الآن موجود شرقي جامع صديّق في العقار العائد ملكيته للسيد حسين عبد الله صالح (أبو محمد السبع). وربما يكون نسب آل صالح الحسيني يتصل بنسب السيد علي الصائغ وهذا ما يفسر وصول ملكية العقار عن طريق الإرث لأحد فروعهم.

صادق: الشيخ ابراهيم

الشيخ: ابراهيم صادق من آل يحيى الطيباوي المخزومي. ولد في قرية الطيبة من قرى جبل عامل سنة (١٢٢١هـ ١٨٠٧م) وتوفي بها سنة ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م). كتب السيد محسن الأمين عنه فقال: كان في حياة والده منصرفاً عن طلب العلم. فلما توفي والده وكان عمره إذ ذاك إحدى وثلاثون سنة. تحرّكت نفسه لطلب العلم، فهاجر إلى النجف لهذه الغاية سنة ١٢٥٢هـ. أقام بالنجف سبعاً وعشرين سنة، ثم عاد لجبل عامل ومنها إلى الخيام سنة ١٢٨٠هـ، فمكث فيها عاماً وبعض العام، وتركها وقصد الطيبة، بلدة آبائه وأجداده بناء لإلحاح زعماء تبنين، علي بك ومحمد بك الأسعد. وتوفي فيها سنة ١٢٨٤هـ.

سلمان: الصولي

الرومي الملكي الكاثوليكي الدمشقي توفي في ١٤ أيار سنة ١٨٩٩، طبع ديوانه في مصر سنة ١٨٩٤ وله من المخطوطات «كتاب حصن الوجود في عقائد اليهود»[1].

---

(١) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، الاب لويس شيخو اليسوعي، المشرق، مج٢١، سنة ١٩٢٣، ص٤٣٨.

الطرشيحاني: الشيخ صالح

ذكره الأب لويس شيخو اليسوعي في كتابه الآداب العربية في القرن التاسع عشر وذكر له بعض القصائد الشعرية في معرض حديثه عن الشاعر الشيخ عبد الله الحلبي والقصائد التي أوردها الأب لويس شيخو مدح في البشيرين: بشير الشهابي وبشير جنبلاط، مما يدل على انه كان من مجايلي ومعاصري حمد البك قبل معاصرة علي بك الأسعد.

عباس: السيد موسى

السيد موسى ابن عبد السلام عباس الموسوي العاملي

توفي سنة ١٢٥٣هـ ، يبدو أنه من سادات دير سريان في جبل عامل. ولد وترعرع فيها. ثم سافر إلى العراق وتبحّر بالعلوم العقلية والنقلية. ويعتبر أحد شعراء عصره المكثرين. وقد ذكر السيد محسن الأمين ان له ديوان شعر مخطوط بلغ أربعة آلآف بيت. أكثره في مدح العترة النبوية الطاهرة وزعماء جبل عامل من آل نصار، حمد البك وعلي بك ومحمد بك الأسعد.

عباس: السيد هاشم

لم يشر السيد محسن الأمين في أعيانه إلى سنة ولادة الشاعر، بل أفادنا بأنه توفي سنة ١٩١٥م وهو من مواليد دير سريان في جبل عامل ولم يترك السيد هاشم ديواناً مطبوعاً. باستثناء ما نشر له من قصائد في أعيان الشيعة ـ المجلد العاشر ـ.

العبد الله: عبد الحسين

ولد الشاعر في بلدة الخيام سنة ١٩٠٠ وتوفي سنة ١٩٩٠م ودفن في البلدة. بينما ذكر الشاعر في أحد مذكراته أنه ولد سنة ١٣١٤هـ أي سنة ١٨٩٣م.

نشأ في بلدة الخيام وتعلّم في كتاتيبها. عمل في دوائر القضاء فترة طويلة من الزمن متنقلاً بين تبنين وبنت جبيل وكافة المناطق اللبنانية.

لم يصدر له سوى ديوان شعر واحد هو «حصاد الأشواك» وهو مطبوع.

عز الدين: الشيخ محمد علي

ولد في كفرة من جبل عامل وتوفي سنة ١٣٠١هـ عن عمر ناهز السبعين سنة في قرية حانوية ودفن فيها.

قال عنه السيد محسن الأمين انه كان عالماً فقيهاً زاهداً عابداً ورعاً ثقة مؤلفاً مصنّفاً أديباً شاعراً.

لم يكن له نظير في الجبل العاملي في المواظبة على المطالعة والتدريس والتأليف والتصنيف. وقد نال إجازة العلامة علي بن الميرزا خليل الطهراني النجفي في الإفتاء.

قرأ في حداثا على الشيخ علي مروة وفي النميرية على السيد علي ابراهيم الحسيني وفي جبع على الشيخ عبد الله نعمة سافر بعدها إلى العراق طلباً للعلم وقضى فيه ست سنوات عاد بعدها إلى كفرة ليفتح حوزته العلمية المشهورة التي تخرّج منها العديد من المشايخ والعلماء من آل الأمين وآل مغنية وآل مروة وآل شرارة.

له العديد من المؤلفات ذكر منها السيد محسن الأمين عشرة مؤلفات (الأعيان، التاسع، ص٤٤٨). أهمها سوق المعادن وهو ما زال مخطوطاً، وقد قام السيد حسين محمد شرف الدين بنشره على حلقات في مجلة أمل سنة ١٩٨٧م.

فخر الدين حسن (السيد)

ولد في السلطانية سنة ١٨٨٤م وتوفي ودفن فيها سنة ١٩٦٣م.

كان سريع البديهة حاضر الخاطر، يمارس الشعر تسلية وتمضية لأوقات الفراغ، باستثناء ما قاله في المناسبات الوطنية، فجاء شعره طبيعياً يعبر عن واقع شاعر لم يدرس قواعد اللغة كما انه لم يكن مطلعاً على الحركات الأدبية السائدة بالرغم من قضائه شطراً كبيراً في حياته في الولايات المتحدة الأميركية.

لم يترك أي أثر مطبوع باستثناء ما جمعهُ له ولده السيد فخر الدين فخر الدين من قصائد ومنظومات. وهي ما زالت مخطوطة.

فخر الدين حسين (السيد)

ولد في السلطانية سنة ١٨٨٠م وتوفي ودفن فيها سنة ١٩٦٤م.

قضى حياته متنقلاً بين لبنان وديترويت ميشيغن، ألفّ مع شعراء تبنين والسلطانية في المهجر جمعية أدبية. كان له حضور دائم في كل المناسبات السياسية والإجتماعية في جبل عامل.

لم يترك أي أثر مطبوع، باستثناء المخطوط الذي جمعه له الأستاذ فخر الدين فحر الدين.

فخر الدين يوسف السيد

ولد في السلطانية سنة ١٨٩١م، وتوفي في الولايات المتحدة سنة ١٩٤٠م.

هاجر إلى الولايات المتحدة كغيره من المهاجرين كان فريداً في أخلاقه، شهماً كريماً، بذّ أقرانه بمواقف الرجولة والشهامة والمثالية. وكان شعره قليلاً ولكن بالرغم من قلته فقد جاء ليعكس شهامته ومثاليته وعزّة نفسه. كان ذا خيال خصب، وشاعرية مميّزة. ولو قدّر له وتعلّم أساليب وقواعد اللغة العربية لكان له شأن مميّز في تاريخ الأدب العاملي.

أسّس في المهجر جريدة أسماها «الفردوس» كان يكتبها بخط يده ويوزّعها على أصدقائه ومعارفه. لم يترك أي أثر مطبوع. وقد جمع له الأستاذ فخر الدين فخر الدين ما وصلت إليه يداه من قصائد وضمّها في دفتي مخطوط موجود في مكتبته.

القرشي: الشيخ عباس

ابن الشيخ محمد بن عبد علي. ولد في النجف. وتاريخ ولادته غير معروف على عادة أغلب الشعراء، وتوفي ودفن في حلب سنة ١٢٩٧هـ. كان يتردّد على جبل عامل وينزل قصور قلعة تبنين ضيفاً على زعيمها علي بك الأسعد، أول ما ترك النجف نزل جبل عامل وسكن في جبع. له ديوان مخطوط، ذكر الشيخ محمد تقي الفقيه في كتابه «جبل عامل في التاريخ» الطبعة الأولى سنة ١٩٤٦م، أنه موجود في مكتبته وله كتاب الحماسة القرشية - جزآن - مطبوع -.

وذكر صاحب الأعيان، انه شرح ديوان أبي تمام وانه كان يحفظ عشرين ألف بيت من الشعر. وله إطلاع تام على التاريخ الإسلامي. حلو الحديث، حاضر البديهة. وله أشعار في غاية الجودة، أكثرها مقاطيع من البيت والبيتين والثلاثة، فأكثر، ولا تكاد تبلغ العشرة.

قصفة: إبراهيم (الحاج)

ولد في قرية السلطانية سنة ١٨٩٠م وتوفي ودفن فيها سنة ١٩٥٥م. لم يعمّر طويلاً فقد مات عن عمر يقارب الـ ٦٥سنة. كان على قسط وافر من الذكاء وحدة الذهن وحضور البديهة، محب للنكتة كيفما حضرت. تلقى مبادىء القراءة والكتابة في القرآن الكريم. وكانت ثقافته لا تتعدى بعض القصص الشعبية وقصائد شعراء الجاهلية. بدأ ينظم الشعر بالعامية وانتهى بنظم القصائد العمودية. أكثر شعره مفقود. باستثناء ما جمعه الشاعر فخر الدين فخر الدين وهو مخطوط.

قصفة: الحاج حسين

الحاج حسين علي قصفة، مختار بلدة السلطانية وشاعرها.

ولد في السلطانية سنة ١٣٠٥هـ، وتوفي ودفن فيها سنة ١٣٨٥هـ.

نشأ في القرية وتتلمذ على يد شيوخها. بدأ أول أمره شاعراً بالعامية، زجّالاً، وبعد أن عبّ ونهل من علوم العربية ومبادئها وتعرّف على شعر شعرائها، بدأ ينظم الشعر الموزون المقفّى.

سافر مرتين إلى الولايات المتحدة الاميركية.

المرة الأولى سنة ١٣٣٠هـ، وأقام فيها حتى سنة ١٣٣٧هـ. ثم عاد إلى الوطن وبقي فيه سنة واحدة وعاد إلى المهجر الأميركي مرة ثانية سنة ١٣٣٨هـ، وبقي فيه حتى سنة ١٣٤٨هـ. شكل مع شعراء تبنين والسلطانية في ديترويت جمعية أدبية. امتاز شعره بالسلاسة والرقة والسهولة. له ديوان شعر مخطوط، إضافة إلى بعض الكتب المطبوعة والمخطوطة.

قعيق: الشيخ سلمان بن علي

الشيخ سلمان بن علي قعيق العاملي، كتب عنه صاحب الأعيان فقال: «كان عالماً فاضلاً زاهداً عابداً، شاعراً أديباً. عصره

مقارب لعصرنا. قرأ على الشيخ مهدي مغنية وعلى السيد محي الدين آل فضل الله. وسكن دير قانون النهر. وتوفي فيها».
ولم يذكر سنة ولادته أو سنة وفاته.

الكاظمي: الشيخ حبيب

الشيخ حبيب بن طالب البغدادي الكاظمي نزيل قرية جويا.

كتب عنه السيد محسن الأمين فقال: كان حيّاً سنة ١٢٦٩هـ والله أعلم كم عاش بعدها.

شاعر مجيد متفنّن، خفيف الروح. يجمع شعره الرقة والإنسجام وأنواع الطرائف. أصله من العراق. سكن جبل عامل ومدح أمراءها حمد البك وعلي بك الأسعد ومحمد بك الأسعد. ولا تزال ذرّيته في جبل عامل إلى اليوم». قال عنه الشيخ محمد مهدي مغنية في كتابه «جواهر الحكم» الشاعر المفْلّق الذي إذا خطب أعجب، وإذا أنشد أطرب. كان أسرع الناس بديهة وأذكى قريحة. سريع البديهة، حسن المحاضرة، صاحب أجوبة مسكتة. جزل الكلام: إذا تكلّم أعجب كل سامع. ينشيء القصيدة الطويلة في الوقت القصير. وشعره كثير، يكاد لا يحصى. وحسن كالسهل الممتنع».

مرتضى: السيد حسين

أبو سعيد السيد حسين مرتضى لم تعرف سنة ولادته، توفي سنة ١٢٥٨هـ ودفن في دمشق.

شاعر وأديب، تنمى جذوره إلى عائلة السادات من آل المرتضى في عيثا الجبل. وانتقل والده منها بعد معركة يارون إلى بعلبك وسكن فيها.

كان على صلة ودّ وصداقة مع فارس الناصيف ومحمد الناصيف. وله عدة قصائد يمدح فيها مشايخ تبنين من آل نصار.

مرتضى: عبد المطلب

السيد عبد المطلب، ابن السيد جواد مرتضى. ولد في قرية عيثا الجبل من جبل عامل سنة ١٢٩٩هـ وفيها توفي سنة ١٣٦٢هـ فاضل شاعر، درس في عيثا الجبل على شيوخ القرية وعلى والده. (الأعيان - الثامن - ص١٩٩).

لم يترك الشاعر أي أثر مطبوع أو مخطوط، بل له عدة قصائد، يحفظ المعمرّون من أهل بلدته والجوار نتفاً منها. إضافة إلى بعض القصائد المتناثرة في مجلة العرفان العاملية.

مروة: الشيخ علي حسين

كتب عنه صاحب الأعيان فقال: «الشيخ علي ابن الحاج حسين مروة، من تلاميذ جده السيد علي الأمين. كان عالماً فاضلاً أديباً شاعراً. توفي سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م) في بولاق من القطر المصري وهو في طريقه إلى الحاج». والأقرب إلى الظن انه من قرية حداثا. فآل مروة هم عائلة أدب وشعر وتخرّج منها العلماء، وقد كان من شعراء حمد البيك وعلي بك الأسعد.

مروة: الشيخ محمد نجيب

الشيخ محمد نجيب مروة: ولد في قرية الزرارية حوالي سنة ١٢٩٩هـ (١٨٨١م)، وتوفي سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م)، في قرية عيثا الجبل ودفن فيها.

نشأ وترعرع في قرية سلعا، فما دخل مدرسة ولا قرأ عند معلم. تلقّن مباديء القراءة والكتابة على يد والده ولما شبّ، تتبع الكتب وشيوخ اللغة والأدب، فاتقن اللغة وقواعدها، وسلك طريق الشعر الفكاهي والهزلي، حتى غدا أحد أعلامه.

من أشهر مؤلّفاته: الروض الزاهي في الأدب الفكاهي. مقدمة كتاب رحلة الشتاء والصيف عدا الكثير من المؤلّفات المخطوطة. قضى حياته الأدبية مراسلاً أدباء تبنين وشعرائها. وكان يقضي

معظم الجلسات الأدبية فيها إما في خيمة الشيخ محمد بري الأدبية أو في منتدى السيد يوسف مصطفى صالح الأدبي أو في دكانة الحاج سعيد فواز.

مغنية: جعفر

كتب عنه السيد محسن الأمين فقال:

توفي بعد سنة ١٢٨٣هـ في مدينة صور ونقل إلى طير دبا ودفن فيها، كان من الأفاضل في علم المقدمات. أما في تربية الطلبة المبتدئين فليس له نظير. وتخرّج على يده الشيخ موسى شرارة. استدعاه أمير جبل عامل على بك الأسعد إلى قلعة تبنين، لإدارة المدرسة الموجودة داخل القلعة، التي كانت مخصّصة لأولاد أمراء تبنين ووجهاء المنطقة. انتقل بعدها إلى شقرا لتعليم أولاد السيد محمد الأمين. وبعدها عاد إلى صور للتعليم في المدرسة الرشدية «الحكومية».

مغنية: محمد مهدي

هو الشيخ محمد ابن الشيخ مهدي مغنية العاملي ولد سنة ١٢٥٢هـ، وتوفي في طير دبا. طلب العلم في طير دبا وحانويه وبنت جبيل. وذكر السيد محسن الأمين انه عاشره وعاصره. كان فاضلاً ذكياً أديباً ظريفاً مؤرخاً. له كتاب جواهر الحكم ونفائس الكلم. وهو كتاب أدب وتاريخ. ترجم فيه عدداً من علماء جبل عامل له حوادث كثيرة مع علي بك ومحمد بك الأسعد

كونه كان موظفاً في دائرة الحسابات والضرائب في القلعة. وقد حاول الولاة الأتراك دفعه للشهادة ضد بكوات تبنين بتهمة اختلاس الضرائب.

الواكد: الشيخ صليبي

أبو واكد، من عائلة آل علي الصغير، أمراء جبل عامل، سكن قانا من ساحل صور، وذريّته فيها إلى اليوم. لم يترك أي أثر مطبوع. جمع له السيد محسن الأمين بعض النتف الشعرية في المجلد السابع من الأعيان، صفحة ٣٩٠.

يحيى: الشيخ ابراهيم

ولد سنة ١١٥٤هـ بقرية الطيبة من جبل عامل وتوفي سنة ١٢١٤هـ بدمشق عن ستين عاماً. ودفن بمقبرة باب الصغير شرقي المشهد المنسوب إلى السيدة سكينة. وقد ذكر السيد محسن الأمين، انه كان للشيخ ابراهيم قبر بني وعليه لوح وفيه تاريخ الوفاة وقال أنّه رآه وقرأ ما كتب عليه، ولكنه هدم في زمانه.

والشيخ ابراهيم يحيى هو جدّ آل صادق العامليين أبناء الخيام والنبطية وغيرها من القرى العاملية.

فهرس المصادر والمراجع

- ابن سناء الملك : ديوان ابن سناء الملك، ابن سناء الملك عز الدين أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد المتوفي سنة ٦٠٨هـ - ١٢١٢م، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٥م.
- إبراهيم قصفة : ديوان شعر مخطوط.
- أحمد عارف الزين : جريدة جبل عامل - المجلد الأول صيدا - سنة ١٩١١م.
- أحمد عارف الزين : العرفان، المجلد الخامس، صيدا سنة ١٩٦٤م.
- أحمد عارف الزين : العرفان، المجلد السادس سنة ١٩٢٠م - صيدا.
- أحمد عارف الزين : العرفان، المجلد ٤٣- صيدا سنة ١٩٥٦م.
- أحمد عارف الزين : العرفان، المجلد ٤٦- صيدا سنة ١٩٦١م.
- الأب لويس شيخو اليسوعي : مجلة المشرق - المجلد العاشر، بيروت، سنة ١٩٠٧م.
- حسن الأمين : مستدركات أعيان الشيعة ٨ مجلدات - دار التعارف، ط ١- بيروت سنة١٩٩٨.

- حسن الأمين : عصر حمد المحمود، ط ١، بيروت، دار التراث الإسلامي، سنة ١٩٧٤م.
- حسن صالح : تاريخ تبنين دار الجمان - بيروت الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠.
- حسن صالح : أنطولوجية الأدب العاملي ثلاثة مجلدات، دار الجمان، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨.
- حسن فخر الدين : ديوان شعر مخطوط.
- حسين فخر الدين : ديوان شعر مخطوط.
- حلمي النمنم : زينب فواز الرائدة المجهولة، ط ١، القاهرة، دار النهر، سنة ١٩٩٨م.
- حيدر رضا الركني : جبل عامل في قرن ١١٦٣هـ - ١٢٤٧هـ تحقيق حسن محمد صالح، دار الجمان، بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩م.
- الحاج حسين قصفة : ديوان شعر مخطوط.
- شبيب باشا الأسعد : العقد المنضّد ط ١، استامبول - سنة ١٣٠٩ هجرية.
- زينب فواز : الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور ط ١، القاهرة، سنة ١٩١٢م.
- زينب فواز : رواية حسن العواقب أو الغادة الزاهرة ط ١، بيروت، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي تحقيق فوزية فواز، سنة ١٩٨٤م.
- علي حسن مقلد : ديوان شعر مخطوط.

- علي مروة : روائع الأدب الفكاهي العاملي ط ٢، بيروت، دار الأضواء، سنة ١٩٨٦م.
- العماد الأصفهاني : الفتح القسّي في الفتح القدسي لا طبعة - لا تاريخ - لا دار نشر.
- المقدسي أبو شامة : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين - مجلدان، لا طبعة، لا تاريخ، لا دار نشر.
- محمد تقي الفقيه : جبل عامل في التاريخ، ط ٢، بيروت، دار الأضواء، سنة ١٩٨٦م.
- محمد جابر آل صفا : تاريخ جبل عامل، ط ٢- بيروت دار النهار، سنة ١٩٨٠م.
- محمد نجيب مروة : الروض الزاهي في الأدب الفكاهي، لاط. لا تاريخ، لا دار نشر.
- محسن الأمين : أعيان الشيعة، عشرة مجلدات، دار التعارف - ط١، بيروت، سنة١٩٨٣.
- محمد عطا الله دكروب : تبنين، صور ومشاهد مخطوط.
- فخر الدين فخر الدين : أوراق الحنين - ط١، بيروت، دار الحرف العربي، سنة ١٩٩٠.
- يوسف فخر الدين : ديوان شعر مخطوط.

فهرس البلدان

• س •

• ط •

• ع •

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ ك ـ

ـ ل ـ

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الظاء

حرف العين (ع)

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الشعر والقوافي

القافية	البحر	الموضوع	الشاعر	الصفحة
سماري	البسيط	تفضيل تبنين على بنت جبيل	عبد الحسين عبد الله	٧٤
الجوابا	الوافر	الحنين إلى تبنين	الشيخ يوسف بري	٨٠
أغناما	البسيط	وصف محمد يوسف مقلد راعياً	الشيخ أحمد بري	٩١
اليقظان	الكامل	الحنين إلى لبنان	محمد يوسف مقلد	٩٨
الشهامة	الوافر	سرقة العمامة	الشيخ محمد نجيب مروة	١٠٩
كتب	البسيط	تفضيل تبنين على القرى المحيطة بها	الشيخ محمد نجيب مروة	١١٤
مختار	البسيط	مدح تبنين ومختارها	عبد الحسن عبد الله	١١٥
صلاتي	الكامل	هجاء بنت جبيل وأهلها	عبد الحسين عبد الله	١١٦
البلبل	الكامل	مدح تبنين	عبد الحسين عبدالله	١١٧
المساخر	الطويل	الدفاع عن تبنين وأهلها	علي مهدي شمس الدين	١١٨
أشرار	البسيط	هجاء أهل تبنين	عبد المطلب مرتضى	١١٩
داريا	مجزوء الهزج	هجاء أهل تبنين	أبو الحكم الأندلسي	١٢٢
المغنم		تخليص تبنين من الفرنجة	ابن سناء الملك	١٢٣
فتور	البسيط	هجاء أهل تبنين	العماد الأصفهاني	١٢٤
القرار	الكامل	تخليص تبنين	العماد الأصفهاني	١٢٦
دعا	البسيط	رثاء السيد علي الصايغ	حسن صاحب المعالم	١٢٩
العوازب	الطويل	مدح«أبو»حمد البيك	إبراهيم يحيى اليباوي	١٣١
معتدل	المتقارب	مدح «أبو» حمد البيك	إبراهيم الحر الصوري	١٣١
الحمل	المتقارب	هجاء أهل تبنين	أحمد عمر دبوس	١٣٣
دلالها	البسيط	هجاء الشيخ ناصيف النصار	عبد الغني النابلسي	١٣٥

فهرس الموضوعات

